

# النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع

دكتور  
كمال عبد الحميد الزيات

دكتور  
طلعت إبراهيم لطفى

دار غريب  
للطباعة والنشر والتوزيع  
القاهرة



هام :

هذه النسخة من الكتاب مخصصة فقط  
للأشخاص الذين لا يستطيعون الحصول على  
النسخة الأصلية



[dz-sociologie.blogspot.com](http://dz-sociologie.blogspot.com)



<http://www.facebook.com/dz.sociologie>



# النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع

دكتور

كمال عبد الحميد الزيات

استاذ علم الاجتماع المساعد بأداب بنى سويف

دكتور

طلعت إبراهيم لطفى

استاذ علم الاجتماع بأداب بنى سويف

دار غريب  
للطباعة والنشر والتوزيع  
القاهرة



الكتاب : النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع

المؤلف : د. طلعت إبراهيم لطفى، د. كمال عبد الحميد الزيات

رقم الإيداع : ٢٦٥٩

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-215-394-7

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للناسر ولا يسمح

باعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أى قسم من أقسامه ، بأى

شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى من الناسر

الناسر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاطوغلى ( القاهرة )

ت : ٣٥٤٢٠٧٩ فاكس : ٣٥٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣، ١ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

ت : ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق

١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول  
والمعرض الدائم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





## محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
<b>الفصل الأول: مفهوم وطبيعة النظرية السوسيولوجية</b>	١٣
أولاً : الدراسة العلمية للنظرية السوسيولوجية	١٤
ثانياً : البناء التصوري للنظرية السوسيولوجية	٢١
ثالثاً : البناء المنهجي للنظرية السوسيولوجية	٣٢
رابعاً : البناء الميداني للنظرية السوسيولوجية	٤٩
<b>الفصل الثاني: المنظور الوظيفي :</b>	٦٥
مقدمة :	٦٧
أولاً : المبادئ الأساسية التي يركز عليها المنظور الوظيفي	٦٨
ثانياً : رؤية المنظور الوظيفي لطبيعة الإنسان والواقع الاجتماعي	٧٠
ثالثاً : المتطلبات الوظيفية والنسق الاجتماعي	٧١
رابعاً : الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة	٧٥
خامساً : البناء والوظيفة والخلل الوظيفي	٧٥
سادساً : الاتفاق الاجتماعي	٧٧
سابعاً : تقييم المنظور الوظيفي	٧٩
ثامناً : تطبيق المنظور الوظيفي في تفسير الظواهر والنظم	
والمشكلات الاجتماعية	٨٢
<b>الفصل الثالث: منظور الصراع</b>	٩١
مقدمة	٩٣
أولاً : المنظور الماركسي للصراع	٩٥
ثانياً : منظورات الصراع الحديثة	١٠٠
ثالثاً : رؤية منظور الصراع لطبيعة الإنسان والواقع الاجتماعي	١٠٤



الموضوع	الصفحة
رابعاً : جوانب الاتفاق والاختلاف بين منظور الصراع والمنظور الوظيفي .....	١٠٦
خامساً : تقييم منظور الصراع .....	١٠٨
سادساً : تطبيق منظور الصراع فى تفسير الظواهر والنظم	
والمشكلات الاجتماعية .....	١٠٩
<b>الفصل الرابع : منظور التفاعلية الرمزية</b> .....	١١٧
مقدمة .....	١١٩
أولاً : أهمية الرموز والمعانى فى التفاعلية الرمزية .....	١٢٠
ثانياً : رؤية التفاعلية الرمزية لطبيعة الإنسان والواقع الاجتماعى .....	١٢٢
ثالثاً : إسهام بعض العلماء فى تطور التفاعلية الرمزية .....	١٢٣
رابعاً : جوانب الاتفاق والاختلاف بين التفاعلية الرمزية وغيرها	
من منظورات التفاعل الاجتماعى .....	١٢٥
خامساً : تقييم منظور التفاعلية الرمزية .....	١٣٠
سادساً : تطبيق المنظور التفاعلى فى تفسير الظواهر والنظم	
والمشكلات الاجتماعية .....	١٣١
<b>الفصل الخامس : المنظور الاثنوميثودولوجى</b> .....	١٣٩
مقدمة : .....	١٤١
أولاً : الجذور الفكرية لمنظور الاثنوميثودولوجى .....	١٤٣
ثانياً : المفاهيم الأساسية فى المنظور الاثنوميثودولوجى .....	١٤٥
ثالثاً : تصور المنظور الاثنوميثودولوجى للواقع الاجتماعى .....	١٤٩
رابعاً : تصور المنظور الاثنوميثودولوجى لطبيعة الإنسان وقدراته .....	١٥١
خامساً : المناهج المستخدمة فى الدراسات الاثنوميثودولوجية .....	١٥٣
سادساً : مدى الشمول فى المنظور الاثنوميثودولوجى .....	١٥٦
سابعاً : المضمون الأيديولوجى لمنظور الاثنوميثودولوجى .....	١٥٨
ثامناً : تقييم المنظور الاثنوميثودولوجى .....	١٦٠
خاتمة . .....	١٦٤

الموضوع	الصفحة
الفصل السادس: منظور التبادل الاجتماعى	١٦٧
مقدمة :	١٦٩
أولاً : الملامح الأساسية لمنظور التبادل الاجتماعى	١٧١
ثانياً : منظور بلاو عن التبادل فى الحياة الاجتماعية	١٧٦
ثالثاً : مدى الالتقاء بين منظور بلاو وغيره من الاتجاهات النظرية	١٨١
رابعاً : تقييم مدى إسهام منظور بلاو فى تطوير نظرية التبادل الاجتماعى	١٨٦
خاتمة	١٩١
المراجع :	
أولاً : المراجع العربية	١٩٣
ثانياً : المراجع الأجنبية	١٩٧





## مقدمة

يعد هذا الكتاب من بين الكتب الأساسية فى النظرية الاجتماعية المعاصرة ، حيث يتضمن عرض أحدث النظريات أو المنظورات الأساسية فى علم الاجتماع مثل: المنظور الوظيفى ، ومنظور الصراع ، والمنظور التفاعلى . كما يعرض هذا الكتاب بالتفصيل لبعض أشكال المنظور التفاعلى مثل المنظور الاثنوميثودولوجى ، ومنظور التبادل الاجتماعى .

ولم يكتف هذا الكتاب بعرض المنظورات الأساسية فى علم الاجتماع وتقييمها، بل حاول توضيح كيفية تطبيق هذه المنظورات فى تفسير بعض الظواهر والنظم والمشكلات الاجتماعية ، مثل الأسرة ، والتنشئة الاجتماعية ، ومشكلة عدم المساواة بين النوعين ، والمشكلات الحضرية ، والمشكلات البيئية ، ومشكلة الجريمة.

وتعتبر محتويات هذا الكتاب بمثابة جهد تعاونى مشترك قام به المؤلفان ، وذلك بعد اكتسابهما لخبرة متواضعة فى مجال تدريس النظرية الاجتماعية المعاصرة للطلاب سواء فى مرحلة الليسانس أو مرحلة الدراسات العليا.

وقد قام الدكتور طلعت إبراهيم لطفى بنشر عدة مقالات فى موضوع النظرية، هى : المداخل النظرية فى دراسة التنظيم<sup>(١)</sup> ، والمنظور الاثنوميثودولوجى ومدى إسهامه فى تطوير نظرية علم الاجتماع المعاصرة<sup>(٢)</sup> وبيتر بلاو ومدى إسهامه فى تطور نظرية التبادل الاجتماعى<sup>(٣)</sup> .

كما تحمل الدكتور / كمال عبد الحميد الزيات أعباء تدريس مقرر النظرية الاجتماعية المعاصرة لسنوات عديدة فى أقسام الاجتماع بكل من جامعة المنيا

---

(١) طلعت إبراهيم لطفى ، « المداخل النظرية فى دراسة التنظيم » ، حولية مجلة الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، قطر ، العدد الثامن ، ١٩٨٥ .

(٢) طلعت إبراهيم لطفى ، « المنظور الاثنوميثودولوجى ومدى إسهامه فى تطوير نظرية علم الاجتماع المعاصرة » ، مجلة العصور ، لندن : دار المريح للنشر والإنتاج الفنى ، يوليو ١٩٨٦ .

(٣) طلعت إبراهيم لطفى ، « بيتر بلاو ومدى إسهامه فى تطور نظرية التبادل الاجتماعى » ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، العدد ٤٦ ، ١٩٩٤ .

وجامعة القاهرة (فرع بنى سويف) ، فضلا عن وجود كتاب له بعنوان (بناء النظرية فى علم الاجتماع) (١) .

وقد رأى المؤلفان أن ما ورد فى المقالات العلمية التى نشرها الدكتور طلعت إبراهيم لطفى فيما يتعلق بموضوع النظرية، بالإضافة إلى ما جاء فى الكتاب الذى نشره الدكتور / كمال عبد الحميد الزيات يشكل محتويات كتاب متواضع يدور حول النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع .

ويحتوى هذا الكتاب على مقدمة وسبعة فصول رئيسية. يوضح الفصل الأول مفهوم وطبيعة النظرية السوسيولوجية. وتعرض الفصول التالية للمنظورات الأساسية فى علم الاجتماع ، حيث يعرض الفصل الثانى للمنظور الوظيفى، ويشرح الفصل الثالث لمنظور الصراع، ويتناول الفصل الرابع المنظور التفاعلى ، ويدور الفصل الخامس حول المنظور الاثنوميثودولوجى، وأخيرا يعرض الفصل السادس لمنظور التبادل الاجتماعى.

ومن خلال عرض ومناقشة المنظورات المختلفة فى علم الاجتماع، تم شرح كثير من المفاهيم المرتبطة بالنظرية الاجتماعية المعاصرة، حيث إن هذه المفاهيم تشكل أحد عناصر البناء المنطقى للعلم .

وأرجو أن تجد محتويات هذا الكتاب القبول من قبيل الطلاب والزملاء المهتمين بالنظرية فى علم الاجتماع . كما أرجو أن يجد الباحثون وطلاب الدراسات العليا فى هذه المحتويات ما يساعدهم على تبني إحدى النظريات كموجه نظرى لدراساتهم، ويعاونهم على القيام بعملية التحليل السوسيولوجى لنتائج هذه الدراسات فى ضوء التعميمات أو القضايا النظرية التى تثيرها مختلف النظريات الاجتماعية المعاصرة .

والله ولى التوفيق

المؤلفان

القاهرة فى يناير عام ١٩٩٩

---

(١) كمال عبد الحميد الزيات ، بناء النظرية فى علم الاجتماع : نموذج نظرية تقسيم العمل، القاهرة : مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٩١ .

## الفصل الأول

### مفهوم وطبيعة النظرية السوسيولوجية

مقدمة

- أولاً : الدراسة العلمية للنظرية السوسيولوجية
- ثانياً : البناء التصوري للنظرية السوسيولوجية
- ثالثاً : البناء المنهجي للنظرية السوسيولوجية
- رابعاً : البناء الميداني للنظرية السوسيولوجية





## الفصل الأول

### مفهوم وطبيعة النظرية السوسيولوجية

#### مقدمة :

- تتجه البحوث والدراسات السوسيولوجية فى مدارس علم الاجتماع المعاصر نحو الاهتمام بالبحث عن المعلومات الواقعية التى تتصل اتصالاً مباشراً بجانب من جوانب المجتمع بهدف البحث عن دور النظرية فى توجيه البحث العلمى وقيادته .

- ولاستخدام النظرية فى توجيه البحث العلمى يتطلب الأمر معرفة طبيعتها، وأشكالها ، ومفهوماتها والصور المختلفة التى تشكلها والتصورات المتباينة التى تعبر عنها ، وهذا الإطار العام يتبلور حول بناء متكامل للنظرية السوسيولوجية يوجه البحث العلمى نحو الأهداف التى يسعى إليها بدءاً من التصورات النظرية إلى دراسة الوقائع الميدانية فى ضوء إطار منهجى يربط بين النظرية كفكر والبحث العلمى كمنهج والواقع الاجتماعى كحقل للتجارب العلمية فى مجال دراسة الوقائع الاجتماعية كما هى كائنة بالفعل بهدف تفسير هذا الواقع ووضع الخطوط العريضة التى يمكن أن توجه البحث العلمى نحو الهدف الذى يسعى إليه .

ولتوضيح أسس الدراسة العلمية للنظرية السوسيولوجية يمكن أن نستخلص إطاراً عاماً لبناء النظرية فى علم الاجتماع يتحدد فى العناصر الآتية :

- التعريف بالنظرية السوسيولوجية ومفاهيمها الأساسية .
- البناء التصورى للنظرية السوسيولوجية.
- البناء المنهجى للنظرية السوسيولوجية.
- البناء الميدانى للنظرية السوسيولوجية.

وهذا الإطار العام يمكن أن يوجه البحث العلمى نحو القضايا الأساسية التى تتناولها النظريات المعاصرة فى أشكالها المختلفة وفقا للموجهات الأيديولوجية والأطر العلمية التى تسلكها فى العرض والتفسير والتحليل .

#### أولاً : التعريف بالنظرية السوسيولوجية ومفاهيمها الأساسية :

- تعتبر النظرية جزءاً أساسياً من الحقيقة الواقعية فى حياتنا اليومية وهى الأساس الكامن وراء تفسير كل فرد لما يفعله ويشاهده يومياً من ظواهر اجتماعية وفيزيكية .

- وتعرف النظرية بأنها مجموعة من العلاقات التى تفسر ظواهر التفاعل فى إحدى مجالات الأنشطة التى يمارسها الإنسان الفرد والجماعات الاجتماعية والمجتمع بوجه عام فهى علاقات تبادلية متفاعلة بين الفرد والجماعة والمجتمع فى إطار ظواهر التفاعل الفيزيقي والاجتماعي داخل البيئة الاجتماعية وتعتبر عن مجموعة المعايير والأيديولوجيات والقيم التى تتمثلها هذه البيئة لتفسر ما يحدث داخلها ، ومن الطبيعي أن تختلف المعايير والأيديولوجيات والقيم باختلاف البيئات واختلاف المجتمعات كما تختلف أيضاً فى البيئة الواحدة باختلاف الزمان .

- فالنظرية هى عملية تنظير الأفراد لواقعهم البيئي والاجتماعي حيث يؤلون بيئتهم الاجتماعية والفيزيكية فى إطار مجموعة من الأفكار والأيديولوجيات والتجارب التى تفسر الحقيقة التى يعيشون فيها .

- والواقع أن أساس أى نظرية هو نموذجها أو ما يعرف بمثال الحقيقة، وهذا النموذج يتكون من عنصرين رئيسيين :

١ - تصور الظاهرة موضوع التفسير فى ضوء النظر إلى المجتمع كمجموعة من النظم المتفاعلة .

٢ - افتراض وجود علاقة عليية (سببية) بين هذه النظم باعتبار أن البناء الاجتماعي يتكون من مجموعة من الوظائف الأساسية التى تشبع حاجات النسق ويتطور ديناميكياً للاستجابة لهذه الحاجات وفق ميكانيزمات التوازن.

- فى ضوء هذه الاعتبارات يمكن القول أن أى علم إمبيريقى (واقعى) يرتكز أساسا على الملاحظة حيث يتم التعبير عن ملاحظة ظاهرة محددة فى زمان ومكان محدد. هذه الملاحظة تخضع للتحليل والتمحيص على أساس علمى يتضمن التحليلات الإحصائية لمدى انتشار الظاهرة وتسلسلها الزمنى ومعاملات التوافق والارتباط والمقارنة لمرحل نموها التدريجى حتى يمكن التوصل إلى التعميم والقانون العلمى الذى يحكم خط سير الظاهرة لإمكان التنبؤ بما سوف تكون عليه فى المستقبل .

- والنظرية العلمية هى تفسير لمجموعة من الجهود المتراكمة والمتجمعة للباحثين والعلماء الذى يتخصصون فى علم معين وتنتهى إلى صياغة لمجموعة كبيرة من التعميمات التى تنتمى إلى نماذج متعددة ومختلفة .

- والنظرية هى مجموعة من القضايا التى تتوافر فيها الشروط الآتية :

( أ ) أن تعبر عن مجموعة من المفهومات بطريقة دقيقة ومحددة .

( ب ) التسيق والترابط المنطقى بين القضايا بعضها ببعض .

( ج ) أن تصاغ فى شكل يُمكن من التوصل إلى التعميم والاستنباط .

( د ) أن تكون هذه القضايا قادرة على إثراء المعرفة العلمية .

- ويمكن ملاحظة أن النظريات العلمية فى مجال النظرية فى العلوم الإنسانية ليست مسلمات يقنع الباحث بصحتها بل هى قضايا قابلة للتمحيص الميدانى قد يؤكدها وقد ينفيها وقد يعدلها وفقا للزمان والمكان .

- ولذلك يكون من الضرورى تحديد الفرق بين النظرية فى المعرفة العلمية والنظرية فى العلوم الإنسانية .

**النظرية فى مجال العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية :**

- إن أى نظرية فى العلوم الطبيعية كالفيزياء أو الكيمياء بوجه عام هى نظرية واحدة على مستوى عالٍ من التجريد أو مجموعة من النظريات المرتبطة



بعضها ببعض حيث تتضمن النظرية فى مجال العلوم الفيزيائية كل جوانب المعرفة العلمية المطلوبة .

- وليس من الممكن فهم معنى النظرية العلمية ودورها فى العلم دون أن نفهم أولا معنى العلم ومكوناته وطبيعة النظرية العلمية وعلاقاتها بمكونات العلم ، وفى ضوء ذلك نستطيع إلقاء الضوء على النظرية الاجتماعية باعتبارها صورة من النظريات العلمية .

- ويمكن القول إن المعرفة العلمية بوجه عام هى مجموعة من المعانى والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية التى يكونها الإنسان حول جوانب الكون الذى يعيش فيه، ولا شك أن مصدر المعرفة دائماً هو الواقع سواء كان هذا الواقع فيزيائيا أو بيولوجيا أو اجتماعيا . غير أن هناك فرق بين معرفة تصور هذا الواقع باختلاف نوع المعرفة ذاتها . فالمعرفة العلمية اكتسبها الإنسان من خلال محاولاته للسيطرة على الطبيعة بجوانبها الفيزيائية والبيولوجية والاجتماعية محلولا إخضاعها لإرادته من خلال محاولات تكيفه مع البيئة التى يعيش فيها وتفاعله معها .

يعنى ذلك أن المعرفة العلمية تركز على تصور الواقع موضوعيا وتعكس هذا الواقع كما هو عليه من حيث خصائصه النوعية والجوهرية بحيث يمكن التفاعل مع هذا الواقع لإمكان التحكم فيه والسيطرة عليه .

- ويستطيع العلم التوصل إلى تصوير الواقع تصويرا موضوعيا باستخدام منهجا علميا يتميز بمجموعة من الخصائص أهمها :-

١ - الاعتماد على الملاحظة العلمية المحسوسة للأشياء التى لها وجود موضوعى فى الطبيعة . فالعلماء يتميزون بالمرونة فى تفسيراتهم للظواهرات التى يدرسونها ، فإذا ظهرت أدلة تنفى ما سبق أن توصلوا إليه فإنهم يرفضون هذه التفسيرات أو يعدلون منها .

٢ - تتميز الملاحظة العلمية بالدقة فى وصف الأشياء التى يلاحظها الباحث طبقا لما هو عليه فى الواقع بعد تمحيص ومحض دقيق لها .

٢ - يعتمد العلماء فى ملاحظتهم على أساليب القياس الدقيقة التى تحدد بدقة طبيعة الشئ الملاحظ وخصائصه النوعية التى تميزه عن غيره .

٤ - يهتم العلماء بتسجيل ملاحظاتهم بدقة ويستخدمون أجهزة للتسجيل الدقيق فى مختلف المجالات .

٥ - يتميز العلماء بالموضوعية فى وصف الشئ المدروس بصورة أقرب ما يكون عليه فعلا دون تدخل ذاتى من جانب العالم . فالحكم هنا حكما موضوعيا يعتمد على الأدلة الملموسة المستقاة من الملاحظة الدقيقة والمحددة والمنظمة والمسجلة بدقة والتى تتوفر فيها الموضوعية .

٦ - يسلم العلماء بمبدأ الحتمية Determinism باعتبار أن جميع مظاهر الكون هى نتاج لأحداث طبيعية ترتبط بالماضى والحاضر فى نسق من العلاقات السببية التى تربط بين السبب والمسبب فى حدوث الظاهرة موضوع الدراسة فى إطار الظروف البيئية التى تحدث فيها .

٧ - ينظر العلماء إلى الظواهر الطبيعية بأنها مترابطة ومتفاعلة بعضها مع بعض بهدف الكشف عن طبيعة هذا الترابط والتفاعل للتوصل إلى القوانين التى تحكمها ، ولقد تمكن العلماء استرشادا بهذا المبدأ من التوصل إلى قوانين فى مجال العلوم الفيزيائية والبيولوجية والظواهر الاجتماعية مثل قوانين الجاذبية الأرضية وعلاقاتها بالأجرام السماوية وقوانين الطاقة وتأثيرها على النبات والإنسان وسائر الكائنات الحية .

٨ - يسلم العلماء بأن هناك درجة من الثبات النسبى والانتظام فى ظواهر الكون. فظواهر الكون فى حالة تغير دائم، ولكن هذا التغير يسير وفق نظام ثابت نسبيا ويتكرر على نفس الصورة إذا ما توفرت نفس الظروف ، ولذلك فإن العلماء يهتمون بالبحث عن القوانين الثابتة نسبيا وراء كل ما هو متغير .

- يتضح لنا بما سبق أن المعرفة العلمية فى مجال العلوم الطبيعية تختلف عن أنواع المعرفة فى مجال العلوم الإنسانية من حيث إن طبيعة الظواهر الطبيعية

قابلة للدراسة العلمية التى تخضع للملاحظة العملية الدقيقة واستخلاص النتائج عن طريق الملاحظات المنظمة والدقيقة والمحددة كما هى واقعة فى الكون ، إلى جانب استخدام القياس والتجارب العلمية للتوصل إلى استنتاجات عامة تفسر هذه الظواهر وتبين العلاقات الترابطية والسببية بينها على أساس الخبرة الحسية الملموسة والمنطق العقلى الذى يفسرها .

- وتعتبر النظرية فى مجال العلوم الإنسانية أحد العناصر الأساسية للمعرفة العلمية ، فهى معرفة جزئية فى أحد فروع المعرفة الإنسانية حيث إن الطبيعة البشرية دائمة التغير والتبدل ومن الصعوبة إخضاعها للتجريب العملى كما هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية ، فنتائج البحوث فى مجال المعرفة العلمية فى العلوم الطبيعية مؤكدة بنسبة كبيرة إلا فى حالة حدوث عوامل عارضة قد تؤثر فيها نتيجة لاكتشافات علمية متجددة يتوصل إليها العلماء ، وهذا يعنى أن هناك اختلافا جوهريا بين النظرية السوسولوجية والنظرية العلمية فى مجال العلوم الفيزيائية<sup>(١)</sup> فالنظرية العلمية فى مجال العلوم الفيزيائية تتضمن كل جوانب المعرفة العلمية المطلوبة بينما النظرية السوسولوجية تعتبر جزءا من المعرفة السوسولوجية المطلوبة<sup>(١)</sup> .

ولقد تبلورت النظريات السوسولوجية المعاصرة حول النظريات الكبرى التى تميز الفكر السوسولوجى المعاصر وأهمها النظرية البنائية الوظيفية ، والنظرية المادية التاريخية ، والنظرية التفاعلية الرمزية ، وتتضمن كل من هذه النظريات الكبرى بناءات فرعية تختلف باختلاف الاتجاهات الفكرية التى تميز فكر علماء الاجتماع فى مدارس علم الاجتماع المعاصر على مختلف اتجاهاتهم وفلسفاتهم التى ينطلقون منها فى تفسير الظواهر الاجتماعية .

- يعنى هذا أن النظرية السوسولوجية تعتبر جزءا أساسيا من الحقيقة العلمية فى حياتنا اليومية ، وهى الأساس الكامن وراء كل مذاهب المعرفة الإنسانية وكل تفسير لأنماط السلوك المختلفة التى يسلکها الأفراد والجماعات داخل

---

(١) سمير نعيم أحمد ، النظرية فى علم الاجتماع ، دار المعارف ، ص ١٧ - ٣٣ .

البناءات الاجتماعية المتعددة والمتباينة ، وهذا يفسر أن النظرية السوسيولوجية تعبر عن مجموعة من العلاقات المتفاعلة بين الأفراد والجماعات في كل مظاهر النشاط الإنساني المميز لحياتنا اليومية .

- وعالم الاجتماع في تفسيره لظواهر التفاعل الإنساني في الحياة اليومية داخل بيئتهم الفيزيائية والاجتماعية في إطار النسق القيمي الذي يتضمن مجموعة المعايير والقيم التي يتمثلها الأفراد والجماعات داخل بيئة اجتماعية معينة في ضوء افتراضات تحاول تفسير الأفكار السائدة داخل أنماط البناءات الاجتماعية المختلفة والمستمدة من نتائج بحوث ودراسات سابقة تفسر طبيعة هذه البناءات والخصائص المميزة لها .

- ولذلك تعتبر النظرية السوسيولوجية على درجة كبيرة من التعقيد حيث هناك الكثير من العوامل المتباينة والمتداخلة في تركيب البناءات الاجتماعية المختلفة واختلاف الطبيعة البيولوجية والإتولوجية للأفراد داخل البناءات البسيطة والمركبة وعلاقاتها بعضها ببعض . فالنظرية السوسيولوجية هي عملية ديناميكية لمحاولة تفسير الحقيقة الاجتماعية تفسيراً نظرياً .

- ويحاول علماء الاجتماع في تفسيراتهم الحقيقة الاجتماعية للبيئات الاجتماعية والفيزيائية المختلفة في إطار وضع نموذج أو مثال تعبر عن الحقيقة المميزة لنمط معين من المجتمعات يمكن أن يتمثل مع غيره من الأنماط المشابهة له .

- ويتكون هذا النموذج من عنصرين أساسيين :

١ - تصور الظاهرة موضوع الدراسة كمجموعة من النظم المتفاعلة بعضها مع بعض .

٢ - افتراض قيام علاقة سببية بين هذه النظم وتتخذ هذه النماذج في علم الاجتماع أحد ثلاثة أشكال أساسية :

( أ ) تصور المجتمع على أنه نسقا متكاملا يؤدي وظائفه بطريقة منظمة ومعمارية . ويتمثل في المدخل البنائي الوظيفي .

( ب ) تصور المجتمع على أنه نسقا ديناميكيا متغيرا يسير عليه الصراع الراديكالي القائم على أساس التنافس والاستقلال ويتمثل في المدخل المادي التاريخي .

( ج ) تصور المجتمع على أنه يضم مجموعة من الظواهر الاجتماعية ترتبط بعلاقات تفاعلية بين الأشخاص في إطار عمليات التنشئة الاجتماعية وأنماط السلوك الجمعي والأدوار التي يؤديها الأفراد في المجتمع . ويتمثل ذلك في المدخل الاجتماعي النفسى أو ما يطلق عليه في نظريات علم الاجتماع المعاصر بالتفاعلية الرمزية أو السلوكية الاجتماعية .  
وهذه التصورات الثلاثة سوف نعرض إليها بالتفصيل فيما بعد .

#### معنى النظرية الاجتماعية :

- اهتم كثير من المفكرين والعلماء بتعريف النظرية السوسيولوجية بهدف التفرقة بينها وبين النظرية العلمية في مجال العلوم الطبيعية وقدم هؤلاء تعريفات عديدة أهمها :-

١ - تعريف «بلالوك» للنظرية باعتبارها تحتوى على قضايا أشبه بقوانين تربط بين متغيرين أو أكثر في نفس الوقت .

٢ - «تعريف «جيب» للنظرية بأنها مجموعة من الأحكام المترابطة منهجيا لتؤكد مشاهدات واقعية تفسر خصائص معينة من الأحداث والأشياء .

٣ - تعريف «هيج» للنظرية باعتبارها مجموعة من القضايا والأحكام النظرية في تفسير ظواهر الحياة الاجتماعية .

٤ - تعريف «رينولدز» للنظرية باعتبارها جزءا من المعرفة العلمية في شكل قوانين أو بديهيات أو تفسيرات سببية لعلاقة ظواهر المجتمع بعضها ببعض .

٥ - تعريف «ويلر» بأن النظرية هي مجموعة من العلاقات المتكاملة على درجة معينة من الصدق في تفسير ظواهر المجتمع ومشكلاته .

- ومن مجموع هذه التعريفات يمكن أن نستخلص أنه على الرغم من أن كل من العلماء يهتم بجانب معين في تعريف النظرية إلا أن هناك خصائص عامة مشتركة فيما بينهم باعتبار أن النظرية الاجتماعية هي مجموعة من القضايا المترابطة والمتناسقة منطقياً في تفسير ظواهر المجتمع ونظمه ومشكلاته على أساس من التجريد وقوانين المنطق والربط بين العلاقات القائمة بين ظواهر المجتمع بهدف تأكيدها أو رفضها أو تعديلها طبقاً للملاحظات الواقعية في الواقع الاجتماعي الملموس لبيئة معينة <sup>(١)</sup>.

- وفي ضوء هذه التعريفات يمكن أن نستخلص أن النظرية الاجتماعية تتكون من بناء تصوري لظواهر المجتمع ومشكلاته ونظمه في إطار منهج يربط بين النظر والتطبيق بواسطة منهج علمي يحدد طبيعة البناء المميز للنظرية السوسيولوجية في ضوء المنهج العلمي المميز للنظرية العلمية في مجال العلوم الطبيعية .

### ثانياً : البناء التصوري للنظرية السوسيولوجية :

مدخل : مشكلة المنهج في علم الاجتماع :

تعتبر النظرية أحد العناصر الأساسية للمعرفة العلمية في علم الاجتماع، وهذا يعني أن هناك اختلافاً جوهرياً بين النظرية السوسيولوجية والنظرية العلمية في مجال العلوم الفيزيائية فالنظرية العلمية تتضمن كل جوانب المعرفة العلمية المطلوبة، بينما تعتبر النظرية السوسيولوجية جزءاً من المعرفة العلمية المطلوبة، فالنظرية الوظيفية على سبيل المثال قد تعرضت لكثير من الجدل العلمي خلال حقبات تاريخية متعددة ، وأثيرت حولها الكثير من القضايا التي تفسر أوجه الاتفاق أو الاختلاف ، ونفس الوضع يمكن أن يقال بالنسبة لمعظم النظريات السوسيولوجية.

---

(١) جراهام كينلوتسن، تمهيد في النظرية الاجتماعية، ترجمة محمد سعيد فرج، ١٩٩٠، ص ١٩-٢٥.



وينحصر بناء المعرفة العلمية فى مجال علم الاجتماع حول تحديد الإطار المنهجى والمشكلات النظرية التى ترتبط بتفسير الظواهر الاجتماعية ، وهذا ما يعرف ببناء المنهج التجريبي وبناء النظرية السوسيولوجية ، فبناء النظرية يتضمن إجراء مجموعة من التجارب التى تفسر العوامل المترابطة فى تحديد نمط العلاقات بين الظواهر بعضها ببعض ، ولذلك يتخذ المنهج العلمى فى التفسير والتحليل إطاراً منهجياً عاماً يبدأ بوضع الفروض حول طبيعة العلاقات الترابطية بين الظواهر فى تطورها وفى ثباتها خلال مرحلة الدراسة والبحث ، وبذلك يكون هدف البناء النظرى تفسير العلاقات المترابطة بين الظواهر، من وجهة نظر معينة؛ ومطابقة النتائج التى تسفر عنها النتيجة وتفسير مدى اتفاقها مع طبيعة العلاقات المرئية المشاهدة .

وفى ضوء هذا التفسير تهدف النظرية إلى التنبؤ بشكل العلاقات بين الظواهر فى المستقبل بما يكسبها خاصية معينة تعبر عن مضمون النظرية واتجاهها بالبحث نحو التكامل . وهذا يعنى أن خطوات التحليل المنطقى فى تفسير الظواهر الاجتماعية يعتبر من أكثر المناهج شيوعاً لأنها تحصر مجال المعرفة الإنسانية فى البحث عن مدى ترابط المنهج التجريبي ببناء النظرية التى تشخص الظاهرة عن طريق بناء العلاقات العامة التى تترابط معها من حيث :

( أ ) التعبير عن مجموعة معينة من الظواهر .

( ب ) التداخل والترابط بين المعانى والمفاهيم العلمية .

( ج ) إمكانية التنبؤ بوضع الظاهرة الاجتماعية مستقبلاً فى إطار تطبيقى محدد .

وبذلك يمكن للتجربة الاجتماعية أن تفسر الإطار التراكمى لثقافة المجتمع الذى يتطلب التفسير والتحليل لكل من هذه الجوانب بطريقة أكثر عمقاً (1) .

فهدف العلم إذن هو بحث وتفسير مجموعة من الظواهر فى الواقع الملموس، وهذه الظواهر تمثل وحدة متكاملة تتجسد فى نسق من التنظيمات غير الرسمية

---

(1) David Willer, Scientific Sociology, theory and Methods, Prentice Hall, N.Y., 1967. PP.3 -4.

فى التفسير والتحليل بهدف إيجاد التكامل بين الفروض والواقع الملموس عن طريق النظرية، ولا تكتفى المعرفة العلمية بتفسير الظواهر فحسب، وإنما تذهب إلى أبعد من ذلك للنتيئة بشكل حدوثها، وقد تتجه إلى البحث فيما وراء العلاقات والروابط المستمدة من النظرية لاختبارها بهدف التوصل إلى نتائج قد تنفى النظرية أو صياغتها فى شكل جديد لتكون أكثر كفاءة وأكثر تأثيراً وأكثر بساطة .

وتتحدد مشكلة المنهج فى علم الاجتماع حول كيفية استخدام التجريب المعملى فى البحث والتحليل، وإذا كان علم النفس قد توصل إلى مرحلة متقدمة من استخدام التجريب فى دراسة ظواهر المجتمع من المنظور السيكلوجى، إلا أن علم الاجتماع لم يتوصل بعد إلى هذه المرحلة، وإن اتجهت كثير من الدراسات نحو اتخاذ المنهج الكمى فى الدراسات الميدانية ، بينما ما زالت هناك دراسات تجمع بين المنهج الكمى والمنهج الكيفى فى آن واحد فهناك من الظواهر الاجتماعية لا يمكن تفسيرها فى ضوء الأرقام، ولذلك فإن استخدام أسلوب التكامل المنهجى بين المنهج الكيفى والمنهج الكمى يعتبر من أكثر المناهج ملائمة، ولقد احتلت هذه المناهج مكاناً بارزاً فى الدراسات السوسولوجية المعاصرة .

وإذا كانت كثير من دراسات علم الاجتماع المعاصر لم تتوصل بعد إلى نظرية محددة المعالم فإن الأمر يكون على درجة كبيرة من التعقد لاختبار قضايا نظرية تفسر ظواهر فروع التخصص المختلفة فى هذا العلم وترابطها مع الواقع الاجتماعى وهذا يتطلب التوصل أولاً إلى نموذج تصورى فى ضوء تراث ودراسات ظواهر علم الاجتماع حتى يمكن تحديد النموذج المنهجى والنموذج الميدانى كإطار عام يلقي الضوء على جانب محدد من النظرية فى تفسير الظواهر الاجتماعية يستمد مادته من الأسس النظرية والمنهجية لعلم الاجتماع العام .

فعلم الاجتماع يهتم بتحديد طبيعة العلاقة بين النظرية والبحث الاجتماعى، والبحث الاجتماعى يستخدم لتقييم طبيعة النظريات للوقوف على مدى صحتها ومطابقتها للواقع الاجتماعى ، ويمكن أن نميز بين نمطين أساسيين من النظرية ، النمط الأول يعرف بنمط النظرية الواقعية "Substantive theory" وهذا النمط

يهتم بشرح وتفسير طبيعة العلاقات الاجتماعية فى شكل اجتماعى معين. والنمط الثانى يعرف بنمط النظرية الشكلية «Formal theory» التى تقوم على أساس دراسة نماذج متعددة تهدف إلى تعميم السمات المشتركة بين كل منها فى الواقع الاجتماعى<sup>(١)</sup>.

وتمر النظرية السوسولوجية بمراحل متعددة تتمثل فى الآتى :

( أ ) الملاحظة : وقد تكون ملاحظة مباشرة من الميدان، أو ملاحظة غير مباشرة من السجلات الرسمية .

( ب ) صياغة الفروض : وتستمد من قضايا نظرية سابقة أو من الملاحظة المباشرة ، أو من الدراسات الميدانية .

( ج ) الاستقراء : ويتمثل فى تحليل النتائج التى يتوصل إليها البحث والنتائج المماثلة فى البحوث الأخرى .

( د ) التعميم : ويتحدد فى صياغة قضايا عامة تفسر المتشابهات فى نتائج البحوث وفى بناءات متعددة .

( هـ ) بناء النظرية : ويتجسد فى صياغة القوانين التى تحكم سير الظاهرة، وقد تكون فى صياغة كمية أو صياغة كمية . ويعتمد بناء النظرية على الاستنتاج المنطقى للقضايا المترابطة فى تفسير الظاهرة فى ضوء مناهج وضعية وأساليب موضوعية تصلح للقياس المنهجى فى دراسة العلاقات المترابطة بين الظواهر ونتائجها التى توصلت إليها الدراسات الأخرى<sup>(٢)</sup> .

والواقع أن هناك كثيراً من الجدل العلمى والمناقشات النظرية حول إمكانية النظرية السوسولوجية فى الوصول إلى القوانين العلمية الدقيقة فى تفسير ظواهر السلوك الإنسانى ، ولكن هناك إتجاه عام بين علماء الاجتماع يؤكد أن قوانين

---

(1) David Silverman.: The Theory of Organizations, A, Sociological Fianework London, 1970, Pp. 229-230 .

(2) Walter, Willace, Sociociological Theory, Aldine Pub. Chicago, 1969, P,3.

السلوك الاجتماعي سوف تحقق فاعليتها ، عندما يتوصل علماء الاجتماع إلى الكشف عن إمكانية إجراء القياس العلمى فى تفسير ظواهر المجتمع ومشكلاته، وفى إطار هذا الاتجاه يميل مجموعة من علماء الاجتماع إلى استخدام قضايا العلوم الطبيعية ونتائجها والمطابقة بينها وبين ما يحدث فى الواقع الاجتماعى ، بينما يتجه البعض الآخر إلى تفسير العلاقات الاجتماعية فى إطار تبادل يفسر نمط العلاقات الرسمية وغير الرسمية داخل النسق الاجتماعى .

وفى إطار هذا المفهوم يتحدد بناء النظرية فى علم الاجتماع فى ثلاثة محاور مترابطة ومتداخلة كل منها مع الأخرى وتتمثل فى الآتى :

- ١ - بناء النموذج العام للنظرية .
- ٢ - تكوين الفروض .
- ٣ - تكوين النسق الشكلى .
- ٤ - تكوين نموذج النظرية .

ومن خلال مناقشة هذه المحاور الثلاثة يمكن التوصل إلى النماذج التى تتناسب مع بحوث علم الاجتماع وفروعه المختلفة التى تستمد مادتها ومنهجها من النظرية السوسيولوجية العامة، فى إطار علم الاجتماع العام ثم فى إطار دراسة الظواهر الاجتماعية.

#### ١ - بناء النموذج العام للنظرية :

احتلت النماذج النظرية فى دراسة النظم الاجتماعية مركزاً هاماً ومؤثراً فى تطور النظرية السوسيولوجية (\*) ويمكن أن نميز بين نموذجين متناقضين من نماذج النظرية، أحدهما يرتبط بالتفسير الماركسى الذى ينظر إلى النظام

---

(\*) يعتبر «سير رايت ميلز» أول من وجه الاهتمام إلى التصور السوسيولوجى للنموذج النظرى فى النظرية السوسيولوجية المعاصرة ، فالتصور السوسيولوجى يساعد الباحث على الفهم 'للمعمق لأحداث التاريخ فى ارتباطها بالوقائع الاجتماعية وكيف يتفاعل فيها وهذا يربط بين 'لتاريخ والخصائص النوعية للمجتمعات الإنسانية فى ظل ظروف اجتماعية معينة مثال ذلك نظريات دوركايم وأوجست كونت وكارل ماركس وغيرهم تعكس إطاراً اجتماعياً للظروف التى عاشوا خلالها:

الاجتماعى بأنه يعلو فوق مستوى الأفراد نتيجة لاستخدام الأقلية سياسة القوة ، وهذا النموذج يعرف بنموذج نظرية الصراع التى تفسر قيام البناء الاجتماعى على أساس وجود الصراع بين الجماعات ، وعلى العكس من ذلك يعرض الفكر السوسيولوجى نمودجا متناقضا فى بناء النظرية يقوم على أساس فكرة التضامن، ويتضح ذلك فى فكر دور كايم من خلال تحليله للعوامل المؤثرة فى التنظيم الاجتماعى، والواقع أن بذور نموذج نظرية التضامن ترجع إلى فكر سان سيمون، وتطورت فيما بعد عند أوجست كونت وفريدريك ليلاى حتى أميل دور كايم وماكس فيبر ثم سوركن وكارل مانهيم ومع تطور النظرية السوسيولوجية المعارضة ظهرت نظرية الميكرو سوسيولوجى (الوحدات الصغرى) Microsociology فى فكر جورج ميد وهذا الاتجاه يسود الفكر السوسيولوجى الأمريكى المعاصر<sup>(١)</sup> فى مقابل نظرية الماكرو سوسيولوجى (الوحدات الكبرى) Macroseciology .

وتعتبر النظرية السوسيولوجية عملية خلق وتكوين المفاهيم العلمية المميزة لها فى إحدى مجالات التخصص فى علم الاجتماع ، وتشكل مجموعة من العلاقات المتكاملة والمترابطة على درجة عالية من الصدق والثبات، لذلك يتطلب بناء النظرية قبل مرحلة التحقيق من الصدق والثبات، وضع مجموعة من الفروض للتحقق من مدى صحتها وصدقها وثباتها، ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن التوصل إلى الثبات الكامل هو مطلب أساسى لبناء النظرية .

## ٢ - تكوين الفروض :

وتعتبر مرحلة تكوين الفروض أولى مراحل بناء نموذج النظرية، وتتمثل الفروض خلال مرحلة بناء النظرية فى شكلين أساسيين ، الشكل الأول يمكن النظر إليها كنسق رسمى من الافتراضات Proposition والشكل الثانى يمكن النظر إليها

= انظر: -

- C. Wirght, Mills, : The Sociological Imagination, Oxford U. Press, London, N. Y., 1966, PP. 7-10.

(1) Eberhard A. Tiryakian, : Structural Sociology, in: Theoretical Sociology (eds), Appleton Century N.y., 1970 , P.III.

كنسق عملى يتكون من إضافة تفسيرات احتمالية إلى النسق الشكلى ، باعتبار أن الشكل الرسمى للفرض العلمى يتضمن تحديد علاقة العناصر الجزئية بالعناصر الكلية ، وبذلك يتضمن كل فرض أو افتراض مجموعة من المصطلحات التى ترتبط مع غيرها من المصطلحات الأخرى ككل، وفى هذا يرى راسل "Russell" أن الاختلاف بين الفروض والنظرية يتمثل فى أن الفروض هو اختلاف ذاتى لأن الباحث فى النظرية يعتقد اعتقاداً معيناً حول الظاهرة التى يدرسها فى الوقت الذى يركز فيه معظم فكره حول الفرض العلمى (١) .

### ٣- تكوين النسق الشكلى :

ينظر «فيليب فرانك» إلى النظرية كمجموعة من القضايا فى إطار استخدام النسق الشكلى والنسق العملى بمفهوم يتدرج من التماثل إلى الاختلاف فى درجة التقدم العلمى الرسمى وغير الرسمى ، ولا يتضمن النسق الشكلى أى تفسير نظرى أو عملى للعلاقات القائمة فى تفسير الظاهرة موضوع البحث .

ويهدف النسق الشكلى للنظرية إلى بناء العلاقات بين المصطلحات المتضمنة لها كلما أمكن ذلك ، والتأكيد هنا على شكل العلاقات ذاتها وليس على مشتقاتها أو تغييرها أو حتى معانيها الأسمية ، وليس هناك قواعد عامة يمكن أن تحدد طبيعة العلاقة البنائية للأنساق الرسمية فى إطار وضع القواعد العامة للقضايا المنطقية والرياضية .

فالنسق الشكلى للنظرية ليس من الضرورى أن يكون مستنتجاً من الفروض أو الافتراضات المستنتجة من غيرها، وإنما من الضرورى أن تكون العلاقات بين قضايا النسق الشكلى فى حالة تناسق ووضوح ومتضمنة فى إطار النتائج التى أمكن التوصل إليها من الأجزاء بحيث لا تتناقض نتائجها المستمدة من الأجزاء بعضها البعض الآخر، بمعنى أن النتائج المستمدة من النسق الشكلى يجب أن تدخل كلية فى داخل ذات النسق بحيث تكون بعيدة عن الغموض .

---

(1) David, Willer, op.cit P.9.



ولكن كيف يمكن للنسق الشكلي أن يستخلص النتائج المكونة لبناء النظرية ؟  
لتفسير ذلك يمكن أن نتخذ من المستخلصات الأساسية التي توصل إليها  
دوركهايم في نظريته عن الانتحار مثالا لذلك ، فمع استبعاد العامل السيكولوجي  
والسلالي والوراثي كعوامل مؤثرة في حدوث الانتحار، توصل دوركايم إلى نتيجة  
مؤداها أن معدلات الانتحار تختلف باختلاف ثلاثة عوامل اجتماعية تتمثل في :  
( ١ ) الانتحار الأناني ، ويختلف نسبيا مع درجة التكامل الاجتماعي في الهيئة  
الإجتماعية .

( ب ) الانتحار الغيري ، ويختلف اختلافا مباشراً مع درجة التكامل الاجتماعي في  
المجتمع .

( ج ) الانتحار الأنومي : ويختلف اختلافا مباشراً مع درجة الأزمات الاقتصادية  
وضعف المعايير الأخلاقية.

ففي إطار هذه الاستنتاجات يتكون بناء نموذج النظرية على الشكل الآتي :

الأوضاع الاجتماعية — الحالة السيكولوجية — النتيجة وذلك على  
النحو التالي

- تكامل اجتماعي منخفض + أنانية = معدلات انتحار مرتفعة

- تكامل اجتماعي مرتفع + غيرية = معدلات انتحار مرتفعة

- أزمات اقتصادية + لا معيارية = معدلات انتحار مرتفعة (١)

ويجدر الإشارة هنا إلى أن تقرير الحالة السيكولوجية قد استخدمت في بناء  
النموذج لارتباطها بالعوامل الاجتماعية ، وعند مطابقة النسق النظري بالنسق  
الواقعي ، فإنه يكون في الإمكان التوصل إلى درجة معينة من الثبات حتى تصبح  
النتائج مؤثرة وتصل إلى مرحلة النظرية، وبذلك تتحول الفروض إلى نسق شكلي  
محدد وثابت وواضح قد يرقى إلى مستوى النظرية.

(1) Ibid, P.10.

#### ٤ - تكوين نموذج النظرية :

يهتم نموذج النظرية بتفسير مجموعة من الظواهر نظرياً بهدف التحقق من فروض مستنتجة من قضاياها النظرية ، وتصبح القضايا النظرية في مستوى النظرية العلمية عندما يحدث التطابق بين النموذج النظري والنموذج الواقعي وغالباً ما يستخدم مفهوم النموذج كرمز للنظرية المشكلة أو شبه المشكلة في العلوم الاجتماعية .

وقد يكون النموذج وصفى تحليلي أو كمي ، والنموذج الكمي يعرف بالنموذج الرياضي وهو ذلك النموذج الذي تتطابق فيه النتائج الميدانية مع النسق الشكلي لبناء النظرية ، فمثلاً اعتبرت دراسة دور كاييم لأنماط الانتحار كنموذج للنظرية الرياضية ، وهناك نماذج متعددة في تراث علم الاجتماع مثل نموذج النظرية البنائية الوظيفية، ونموذج نظرية الصراع ، وغيرها... والنموذج الرياضي يتفق مع ما يطلق عليه «روبرت ميرتون» بإصلاح التصورات السوسيولوجية العامة General Sociological Orientations أو ما يمكن أن يطلق عليه بالنموذج العام لارتباطه بالنظرية التي تعرف بالنموذج النظري فالنموذج العام يعتبر نمطاً آخر من أنماط النماذج النظرية، وهو يشير إلى مجموعة المادة الميدانية والاحصائية بدرجة تفوق إشارة النموذج النظري إليها، فمثلاً قد يشير النموذج العام إلى الإطار الكلي لمراحل تطور الجماعة بينما قد يقتصر النموذج النظري على مرحلة واحدة منها أو على عنصر واحد من اهتمامات الجماعة، وقد يرتبط النموذج العام بالبناء الاجتماعي ككل بينما قد يرتبط النموذج النظري بنوع معين من الجماعات الفرعية .

ويمكن الإشارة هنا أن «ميرتون» يميز بين النظريات ذات المدى المتوسط والنموذج العام، فهي ليست على درجة واحدة من التماثل لأن هناك اختلافاً بين النماذج النظرية والنماذج العامة باعتبار أن كلاهما متساويان في المعنى والمفهوم ولكنهما ليسا على درجة واحدة من التوازي في ارتباط نظرية المدى الوسيط بالنموذج النظري لها . فقد تتضمن النظريات ذات المدى الوسيط إطاراً للنموذج

النظرى والتفسيرات العملية له وكذلك النسق الشكلى المقنن، بينما يشكل النموذج النظرى بمفرده جزءاً من هذه النظرية (١).

وبذلك يتضمن نموذج النظرية مجموعة من المفاهيم المرتبطة بتفسير الظواهر الواقعية، وهذه المفاهيم يمكن صياغتها فى نسق محدد من المصطلحات العلمية المستخدمة فى كل تجربة ذاتية ومثل هذه المصطلحات تتميز بالوضوح والتقارب فى المعانى، وهذا الوضع والتقارب يضيف مفاهيم جديدة يمكن الاستفادة منها فى بناء النموذج، ومثال ذلك ما هو واضح فى استخدام مصطلح القوة Power فى أكثر من مجال واحد من مجالات المعرفة العلمية، فهو يحمل معانى متقاربة فى شقين مختلفين تمام الاختلاف فى مجال العلوم الطبيعية، وأيضاً فى مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية .

وتشير المفاهيم المستمدة من النموذج النظرى إلى تفسير جزء واحد فقط من الظاهرة موضوع الدراسة وليس إلى جميع الأجزاء ، وهذا يعنى أن النماذج النظرية لا يمكنها أن تكون نماذج كلية تشتمل على كل جوانب الظاهرة المدروسة، فعملية تفسير الظاهرة الاجتماعية تهتم بجوانب معينة وتهمل بعض الجوانب الأخرى، وهذه العملية لا تهتم بطريقة عشوائية بل لها أسسها المنهجية التى تتحدد بالرجوع إلى شكل النموذج الذى يهدف إليه التفسير، ولذلك يتطلب استخدام المفاهيم لنموذج معين إطاراً من التسلسل المنطقى، باعتبار أن المنطق ينطوى على تفسير الظواهر المتضمنة فى النموذج ويهدف إلى تفسير المفاهيم المرتبطة به ، وهذا يحدد أساس بناء العلاقات بين الظواهر فيما يمكن أن يطلق عليه بمصطلح الميكانيزم «Mechanism» أو ميكانيزم النموذج. ومثال ذلك يتضح فى بناء نظرية تقسيم العمل فيها ، وتبعاً لدرجة تضامنها الاجتماعى سواء كان هذا التضامن تضامناً عضوياً أو آلياً، واستخدام «دوركايم» المنطق العقلى فى تحليل طبيعة وشكل العلاقات التى تربط بين درجة تقسيم العمل فى المجتمع ونمط التضامن

---

(1) Ibid, PP. 16-17.

الاجتماعى السائد فيه فى إطار التطور التاريخى لنمو المجتمعات ، وهذا المنهج اتبعه الكثير من علماء الاجتماع فى تفسير الظواهر الاجتماعية .

وتعتبر حركة التغير من شكل ونمط العلاقات والتغير فى الحركة من مرحلة إلى أخرى هى وصف الميكانيزم أى الأساس المنطقى لبناء النظرية ، ولذلك يمكن اعتبار حالات الصراع بين الأشكال الاجتماعية بعضها ببعض نموذجا لنظرية الصراع، وحالات الاعتماد المتبادل بين الأنساق نموذجا للنظرية الوظيفية... وغيرها (١).

وفى ضوء هذه الاعتبارات يمكن تصور النموذج النظرى والنموذج العام فى إطار تكاملى لبناء النظرية فى علم الاجتماع كأساس يتطابق مع الاتجاه المعاصر فى مناهج البحث الاجتماعى على النحو الآتى :

( أ ) يتكون ميكانيزم نموذج النظرية فى علم الاجتماع فى إطار تفسير العلاقة الوظيفية المتبادلة بين الظاهرة موضوع الدراسة والبناء الاجتماعى، وهذا الميكانيزم يعكس البناء المنطقى للتفسير والتحليل ويمهد لبناء النموذج فى شكل رموز تعبر عن الجوانب المرتبطة بالواقع الاجتماعى، وهذا النموذج يعبر عن صورة الفكر التى تمثل صورة النتائج الأساسية لطبيعة الأشياء . ويمكن الاعتماد على التراث العلمى المتراكم فى هذا الفرع من المعرفة السوسولوجية كإطار تستمد منه التصورات النظرية .

( ب ) لا تمثل مشكلة التطابق بين التفسيرات النظرية والتفسيرات الواقعية فى علم الاجتماع مشكلة نظرية أو منهجية ففى هذا يؤكد «زيتربرج» Zetterberg أنه من الصعوبة بمكان التوصل إلى الترابط الكامل بين التفسيرات النظرية والتفسيرات الواقعية ، فقد يكون التفسير النظرى تعبيراً عن مقياس جزئى من التفسير العملى .

( ج ) تشير عملية التطابق بين التفسيرات النظرية والنتائج الواقعية إلى درجة الثبات المطلوبة فى بناء النموذج النظرى ، وهذه النتائج يكون فى الإمكان

(1) Ibid, PP. 18 - 20.

إعادة اختبارها مرة أخرى فإذا وصلت إلى مستوى متوقع من الثبات بالنسبة للنسق الرسمي فيمكن أن يطلق عليها نظرية ، ولذلك فإن درجة ثبات النظرية تتحدد في درجة التفسير الواقعي لأن عملية الثبات في التفسير الواقعي أو عدم الثبات ترتبط بمشكلة التطابق.

( د ) إذا لم تتوصل النظرية إلى درجة الثبات المطلوبة فإنها تصبح حقيقة غير ثابتة ، وفي هذه الحالة تعتمد على إطار النسق الشكلي المكون لها وتصبح درجة الثبات في هذه الحالة معتمدة كلية على النموذج، فإذا كانت النظرية لم تتمكن من التوصل إلى درجة الثبات المطلوبة ، فالأمر لا يتطلب رفض النظرية إلا بعد بحث وتمحيص الظروف الواقعية المتاحة تحت تأثير وجود التفسيرات النظرية لإمكان إتاحة الفرصة لوضع تفسيرات جديدة حتى يمكن إعادة صياغة الميكانيزم للتوصل إلى درجة ثبات النسق الشكلي في النظرية (١) .

في ضوء هذا الإطار العام لبناء نموذج نظرية في دراسة الظواهر الاجتماعية من المنظور السوسيولوجي يتطلب ذلك تحديد نموذج النظرية الذي يتطابق مع موضوع الدراسة وتحديد منهج التحليل المناسب لهذا النموذج .

### ثالثاً : البناء المنهجي للنظرية السوسيولوجية :

يمكن أن نميز بين أربعة مناهج أساسية أتبعها علماء الاجتماع في تحليل الظواهر الاجتماعية تتمثل في الآتي :

١ - منهج التحليل البنائي Structural analysis : ويعتبر هذا المنهج عملية أساسية أولية في تحليل الظاهرة الاجتماعية تهدف إلى وصف وتصنيف الأنماط البنائية الواضحة في الظاهرة الاجتماعية ، وفي هذا المنهج يحاول عالم الاجتماع كشف وتسجيل الخصائص والسمات البنائية الظاهرة في التفاعلات الاجتماعية داخل النسق الاجتماعي وتحديد العلاقات والروابط الثقافية داخل هذا البناء.

---

(1) Ibid, P. 20.

٢ - منهج تحليل العمليات Process analysis : ويهدف هذا المنهج إلى البحث عن مجرى سير العمليات التي تحدثها الظاهرة الاجتماعية في البناء الاجتماعي، فعالم الاجتماع يحاول تفسير الظاهرة الاجتماعية وطبيعة التنظيم الاجتماعي من خلال دراسته لظواهر الصراع والمنافسة التي تحدث داخل إطار التنظيم ، ويحاول اختبار الأبعاد المختلفة لكل ظاهرة وقياس كل منها بمتغير واقعي أو أكثر، ثم تمحيص العلاقات الدينامية القائمة بين هذه المتغيرات والأبعاد ، كذلك أيضاً يتهم عالم الاجتماع ببحث ودراسة التغيرات التي تحدث في إطار هذه العلاقات من وقت إلى آخر .

٣ - منهج التحليل السببي Causation analysis : ويهدف هذا المنهج تمحيص العلاقات السببية في حدوث الظاهرة الاجتماعية ، والكشف عن العلاقات العارضة الوقتية بين التغيرات المختلفة والعوامل المؤثرة في حدوث الظاهرة. ويتخذ هذا المنهج أساليب تجريبية متعددة للتطبيق الميداني الواقعي في دراسة الأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع، إلى جانب الأدوات الإحصائية التي تحدد خط سير الظاهرة وتطورها والبحث عن المؤثرات المتداخلة في حدوث الظاهرة باعتبارها جزءاً من كل ، كذلك يهتم منهج التحليل السببي بأسلوب التقييم التاريخي للظاهرة لتحديد أسباب حدوثها وعواملها .

٤ - منهج التحليل الوظيفي "Functional analysis" ويعتبر هذا المنهج من أكثر المناهج التي تعرضت للمناقشة والتحليل ، فلقد اهتم دور كايم بهذا النوع من التحليل في دراسته لظاهرة التضامن الاجتماعي ، وعلى وجه الخصوص في دراسته للعمليات التي تؤدي بالمجتمعات للوصول إلى حالة من التضامن والتماسك في إطار دراسته للنظم الاجتماعية، فالأسرة مثلاً ظاهرة اجتماعية ونظام اجتماعي من أهم وظائفها تحقيق التضامن بين أفرادها ، كذلك الوضع بالنسبة لكل النظم والظواهر الاجتماعية الأخرى، فلكل منها وظيفة تؤدي إلى حفظ النظام وتوازنه ، وهذه الوظائف تختلف بنائياً باختلاف حجم المجتمع وكثافته<sup>(١)</sup>.

(1) Marvin, Olsen, : The Process of Social Organization, Holt Rinehart and winston, N.Y., 1968 PP. 219- 221.

ولقد اتجه اهتمام علماء الاجتماع فى العصر الراهن نحو الاهتمام بالمنهج البنائى الوظيفى ، الذى يشتمل على إطار تكاملى يجمع بين هذه المناهج فى دراسة التنظيم الاجتماعى، وهذا المنهج يرجع إلى أصول نظرية فى تراث علم الاجتماع وله قواعد منهجية فى ضوئها يمكن التوصل إلى بناء نموذج منهجى فى دراسة جوانب معينة من الظواهر الاجتماعية .

وسوف نشير بشئ من الإيجاز إلى الأصول النظرية والقواعد المنهجية لمنهج التحليل البنائى الوظيفى فيما يلى :

#### ١- الأصول النظرية لمنهج التحليل البنائى الوظيفى :

يمكن القول أن بذور النظرية البنائية الوظيفية قد بدأت منذ اهتمام «اميل دوركايم» فى دراسته لظاهرة تقسيم العمل ، وفى تحديده للأسباب والمؤثرات التى تنتج عن الظاهرة لأول مرة بعد أن كانت الظواهر الاجتماعية تدرس بطريقة منفصلة عن السبب والمؤثر<sup>(١)</sup>. ولقد اتبع هذا المنهج من بعده علماء الأنثروبولوجيا، حيث اهتم «راد كليف براون» B. Brown الذى يعتبر من أشهر علماء الأنثروبولوجيا بتحديد مفاهيم الوظيفة الاجتماعية Social Function ، غير أن تحديده لهذا المفهوم جاء فى إطار تفسير النموذج لمعنى الوظيفة فى العلوم البيولوجية حيث أكد «براون» على درجة التطابق بين العمليات السيكلوجية والحاجات الأساسية التى تكفل حياة الكائن الحى داخل الوحدات البنائية المكونة للمجتمع، ويرتبط ذلك بإطار العمل والعلاقات الاجتماعية وقوانين المجتمع وعاداته وتقاليده التى تعتبر جزء لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية ككل. فالوظيفة كمفهوم، فى فكر «راد كليف براون» تعنى وظيفة أى نشاط متكرر الحدوث ، وهذا النشاط يحدد الدور الذى يؤديه فى الحياة الاجتماعية ويساهم فى تحقيق أو ضمان استمرار الوجود البنائى ، وهذا المفهوم يفترض وجود بناء من العلاقات القائمة بين الوحدات المكونة للبناء الاجتماعى ، وتتميز هذه العلاقات بالترابط والتساند بين مجموع الأنظمة الاجتماعية التى يتكون منها المجتمع أو النسق الاجتماعى ، وأيضاً

---

(1) Iazarsfield. Main trends in Sociology George Allc, Union, 1973. P.50.

ينطوى هذا المفهوم على تحليل فكرة الوظيفة باعتبارها مساهمة الجزء فى الكل الاجتماعى بهدف المحافظة على استمرار وجود المجتمع ، ولعل هذا التفسير أدى إلى شيوع قاعدة التوافق فى المنظور البنائى للنظرية السوسيولوجية باعتبارها نظرية بنائية وظيفية، ولا شك أن نظرية دور كايم فى تفسيره للحياة الجمعية القائمة على فكرة أن المجتمع هو مصدر الجزاء : تفسر إلى حد بعيد المفاهيم النظرية السوسيولوجية البنائية فى إطارها العام، باعتبار أن العقل الجمعى يعتبر المحدد لحياة الجماعة وهو المؤثر فى المحافظة على كيان المجتمع ووجوده وضمان بقائه الذى يؤمن استمراره المورفولوجى عن طريق عملية التشبث الاجتماعية التى تغرس فى ذوات الأفراد الشعور بضرورة الالتزام بالمعايير والقيم التى يرتضيها العقل الجمعى أو رأى الاجتماعى العام، وهذا الامتثال المجتمعى يكون نتيجة لظواهر القلق التى يشعر بها أفراد المجتمع فى حالة عدم امتثال أفرادهم لمعايير الجماعة وقيمها ، فلمواجهة هذا القلق يضع المجتمع عقوبة وجزاء لمن تسول له نفسه الخروج على الامتثال لقواعد ومعايير الجماعة، وهذا يؤكد سلطة المجتمع فى توقيع العقوبة الجمعية على الأفراد الخارجين على قواعده ونظمه ومعاييرهم، وفى نفس الوقت تحقق هذه السلطة غاية الجماعة وأهدافها فى الحفاظ على الاستمرار البنائى للمجتمع .

وتطورت فكرة البناء والوظيفة فى فكر مالينوفسكى Malinowski حيث اهتم بدراسة التحليل الوظيفى فى إطار الأنساق الاجتماعية والثقافية التى تلعب دوراً هاماً فى الحياة الاجتماعية بمعنى أن اهتمامه هذا يتحدد فى دراسة مؤثرات الوظيفة داخل النسق الثقافى العام عن طريق دراسة الطريقة التى يرتبط بها الناس بعضهم ببعض داخل النسق الاجتماعى، باعتبار أن الأجزاء المكونة للنسق الاجتماعى تؤدى دوراً هاماً فى المجتمع ، وبذلك تعتبر الوظيفة عملية أساسية داخل البناء الاجتماعى ترتبط مع غيرها من الأجزاء الأخرى ارتباطاً عضوياً ومباشراً<sup>(1)</sup> .

---

(1) R. Merton, : Social theory and Social structure, The Free Press, N.Y., 1957. PP.20-21.



وفى إطار هذا المفهوم ارتبطت النظرية البنائية الوظيفية بالنظرية السوسيولوجية من خلال إسهامات علماء الاجتماع الذين اهتموا بمنهج التحليل الوظيفي أمثال «تالكوت بارسونز» وزملائه الذين تأثروا بكتابات «فالفايدو وباريتو» واهتم بهذا المنهج فى الفكر السوسيولوجى المعاصر كل من (دافيز) و(مور) و(هوايت) ... وغيرهم .

ويرتكز الأساس العقلى للنظرية الوظيفية فى علم الاجتماع على مفهوم النسق، حيث تصبح النظرية البنائية الوظيفية غير ذات قيمة إذا لم تهتم بتحليل الأنماط الاجتماعية للسلوك الإنسانى كأجزاء من الأنساق الاجتماعية المكونة للسلوك والمعتقدات ، فتحليل النسق (System) إذن تعتبر نقطة اهتمام أساسية فى النظرية السوسيولوجية فى إطار ما اصطلح عليه فى التفسير السوسيولوجى المعاصر بعلم اجتماع الأنساق الصغيرة Micro Sociology وعلم اجتماع الأنساق الكبيرة Macro Sociology وهذا التفسير يعتبر من أحدث الاتجاهات العلمية فى التفسير السوسيولوجى المعاصر لنظرية النسق الاجتماعى ، فعلم اجتماع الأنساق الصغيرة والأنساق الكبيرة ليس إلا مجرد نظرية لا يمكن أن تحل محل نظرية عامة، وهى النظرية التى تهتم بدراسة الجزئيات المكونة للوحدات الاجتماعية الكلية بدءاً من مستوى المجتمع المحلى إلى مستوى المجتمع العام أو بمعنى آخر دراسة الجزئيات المكونة للنسق الاجتماعى من مستوى التكامل إلى مستوى التباين، ويتمثل المستوى الأول فى الأجزاء الأولية المكونة للنسق مثل الأسرة وجماعة العمل وجماعة الأصدقاء ، أما المستوى الثانى فيتمثل فى نسق الطبقة والأمة والدولة ، وفى ضوء هذا الإطار التحليلى تهدف النظرية السوسيولوجية إلى التعميم المنهجي سواء فى إطار النظريات الميكروسوسيولوجى أو النظريات الماكروسوسيولوجى<sup>(1)</sup>.

---

(1) James, Coleman & E.Etzioni, Macrosociology, Research and theory The Allyn & Bacon Series, N.Y., 1970, PP. 107 - 108.

وانظر أيضاً : - Amitia, Etzioni, The active Society, the Free Press, N.Y, 1972, PP.49 - 50.

## ٢ - الأسس والقواعد المنهجية لتحليل البنائى الوظيفى :

انعكست أفكار واتجاهات المدرسة البنائية الوظيفية فى أفكار (روبرت ميرتون) "R. Merton" عن الوظائف الواضحة والوظائف الكامنة، وهذه الأفكار تمثل نقطة تحول فى تاريخ علم الاجتماع ، كما تتخذ شكلا وظيفياً هاماً لبحث مشكلات المجتمع ، فهذه الأفكار تدور حول نظرية أساسية فى فكر (ميرتون) تتلخص فى ثلاث قضايا هى :

( أ ) أن الأجزاء الاجتماعية النوعية تلعب دوراً هاماً وفعالاً داخل النسق الاجتماعى العام .

( ب ) تمتلك الأجزاء الاجتماعية وظائف ذات طبيعة سوسيولوجية .

( ج ) أن الأجزاء الاجتماعية مستقلة ومتراصة بعضها مع البعض الآخر فى نفس الوقت .

فالنظرية البنائية الوظيفية تقوم على أساس فكرة الترابط بين العناصر المتساندة فى الوحدات المكونة للبناء الاجتماعى، ويتطلب ذلك التعرف على طبيعة العلاقات التبادلية داخل النسق الاجتماعى من الناحية الوظيفية، بمعنى أن النظرية الوظيفية تتضمن مجموعة من القضايا الأساسية فى تحليل وجهة النظر الوظيفية التى تحقق استمرار البناء الاجتماعى ، وهذا يتطلب بالضرورة وجود عناصر بنائية تؤدى وظائف معينة من شأنها أن تحدث مجموعة من المتغيرات فى النماذج السلوكية داخل هذا البناء .

وفى إطار هذا المفهوم تهتم الاتجاهات البنائية بتفسير الدور والوظيفة التى تؤدىها ظاهرة ما أو نظام معين فى البناء أو النسق أو التنظيم باعتباره جزء من كل هو البناء الاجتماعى ، باعتبار أن كل نظام اجتماعى داخل النسق يرتبط مع غيره من النظم الأخرى .

والنظرية الوظيفية لا تقتصر فقط على احتوائها لمجموعة من القضايا التى تشير إلى وجود متغير ذات دلالة لظاهرة معينة، كما أنها فى نفس الوقت لا تعنى

تجسيد مجموعة المتغيرات التي تعمل وظائفها على استمرارية النظام وبقائه، وإنما معنى أن وجود النظام فى ظل نسق اجتماعى معين يتوقف على مدى توافر مجموعة من العناصر أو المتغيرات التي تدخل فى نطاق النظرية البنائية والتحليل البنائى الوظيفى . ولا يعتمد الاتجاه الوظيفى بالضرورة على منهج التحليل البنائى الوظيفى الذى يهدف إلى تصنيف فاعلية الظواهر أو النظم إلى ثلاثة جوانب تتحدد فى الوظائف الواضحة ، والوظائف الكامنة، والخلل الوظيفى.

ومهما يكن من شأن ، فإن هناك مستويين من التحليل يعرف المستوى الأول بالتحليل الوظيفى ، وهو أسلوب منهجى ، ويعرف المستوى الثانى بالتحليل السوسيولوجى وهو أسلوب تفسيرى فى هيكل معرفى مقنن ويتجسد فى تفسير السلوك من خلال تحليل وظيفته الإيجابية وصلته بأنماط السلوك الأخرى.

وسوف ينحصر اهتمامنا فى هذا المجال على منهج التحليل البنائى الوظيفى فى النظرية السوسيولوجية من حيث :

- ١ - الاتجاهات العامة لمنهج التحليل البنائى الوظيفى .
- ٢ - إسهامات العلماء فى منهج التحليل الوظيفى .
- ٣ - نموذج لمنهج التحليل البنائى الوظيفى .

#### ١ - الاتجاهات العامة لمنهج التحليل البنائى الوظيفى :

يمكن تحديد الاتجاهات العامة فى الأسس المنهجية للتحليل البنائى فى الاعتبار الآتية :

- ( أ ) يهتم منهج التحليل البنائى الوظيفى بتفسير أسباب استمرار النظام الاجتماعى على الرغم من الضغوط الخارجية والداخلية من أجل إحداث التغير.
- ( ب ) يهتم التحليل البنائى بدراسة وتحليل نتائج العمليات الاجتماعية التى تتأثر بالعوامل الإنسانية ولذلك يتجه علماء الاجتماع إلى تحليل الظواهر الاجتماعية المنفصلة والظواهر المرتبطة بها فى سلسلة لا متناهية من أجل نمو وتقديم المجتمع .

( ج ) يهتم التحليل البنائي بدراسة العملية الاجتماعية الحاسمة المؤثرة في شكل التفاعل المؤثر في قوى التغير البنائي وهذا ما يعرف بمصطلح التوازن الدينامي "Dynamic Equilibrium" .

( د ) يؤكد المذهب البنائي الوظيفي على تمييز الخصائص المنطقية المنظمة للتنظيمات التي ينظر إليها كأنساق فرعية من حيث:

- حدود هذه التنظيمات ومدى اهتمامها بالأهداف التي تسعى إليها .
- البحث عن الحاجات التنظيمية أو الوظيفية المحددة أو المؤثرة في درجة التكيف والتكامل الاجتماعي والدرجة التي يمكن بها إشباع هذه الحاجات .
- النظر إلى التنظيمات الاجتماعية باعتبارها أنساق مفتوحة ينظر إليها كمصادر متفاعلة مع المشكلات الاجتماعية داخل الأنساق .

ولقد وجهت إلى النظرية البنائية بعض الانتقادات تتمثل في أن اتجاهات التحليل الوظيفي يقتصر على دراسة التنظيم أو النسق الواحد، وهذا الاهتمام يعتبر قاصراً وضيق الحدود لاقتصاره على تحليل العلاقات الداخلية بين التنظيم والبيئة التي يوجد فيها ، كما أن اهتمام التحليل البنائي بالنتائج غير المحدودة يقلل من التركيز على العوامل الأساسية المؤثرة في التفاعل الاجتماعي، إلى جانب أن التحليل البنائي يهتم بالنتائج أكثر من الاهتمام بالأسباب المؤثرة في الظاهرة أو النظام في دراسة وظائف الأجزاء داخل الكل الاجتماعي .

ولكن مهما يكن من شأن هذه الانتقادات فإن هذا المنهج يعتبر من أكثر المناهج التكاملية في التراث السوسيولوجي ، وليس من الصعوبة بمكان التقليل من شأن هذه الانتقادات في إطار من النسبية المكانية والزمانية للوصول إلى هدف التعميم المنهجي .

#### ٢ - إسهامات العلماء في التحليل البنائي الوظيفي :

ساهم علماء الاجتماع والأنثربولوجيا في تحليل الكثير من المفاهيم العلمية

حول مصطلح الوظيفة "Function" فى ارتباطها بالبناء الاجتماعى، فمفهوم الوظيفة يعتبر من المصطلحات الشائعة فى علم الاجتماع ، ويستخدم بمفاهيم متعددة ، فهو يستخدم بمعنى الدور الذى يقوم به الفرد فى المجتمع، ويستخدم أيضاً بمعنى وظيفة الهيئة الاجتماعية ، كما يستخدم بمعنى المهنة التى يشغلها الفرد فى المجتمع «فماكس فيبر» مثلاً يميز بين المهنة باعتبارها نوعاً من التخصص بهدف الكسب المادى، وبين التحليل الوظيفى للمهنة باعتبارها دوراً يؤديه الفرد لتحقيق غايات الجماعة بصرف النظر عن الأنشطة التى ترتبط بالمركز الاجتماعى أو بالمكانة المهنية ويتمثل ذلك فى تفسير كارل مانهيم بأن كل ظاهرة اجتماعية لها وظيفة وهذه الوظيفة تختلف باختلاف الزمان والمكان .

وتبلور الاهتمام بمنهج التحليل البنائى فى علم الاجتماع من خلال إطار التحليل الوظيفى فى دراسة «ماريون ليفى» "M. Levy" عن بناء المجتمع حيث أعطى اهتماماً للاختلافات البنائية والوظيفية أكثر من اهتمامه بالبناء فى حد ذاته ، كذلك أثار «ليفى ستراوس» "Levi Strauss" قضية البناء الاجتماعى ولكن بصورة أقل شمولاً من تحليل «ليفى» فكلاهما تعرض لتحليل قضية البناء الستاتيكي للمجتمع، غير أن «ليفى ستراوس» أثار قضية أن البناءات الاجتماعية ليست على نفس الصورة التى تماثل البناءات الفيزيقية ، فهو ينظر إلى البناءات الاجتماعية كظواهر أخلاقية ترتبط بالمشاعر الاجتماعية أكثر من ارتباطها بالعناصر الفيزيقية وهذا الشعور ينعكس بالضرورة على الحياة المؤسسية ، وفى هذا يرى «ليفى ستراوس» أن نوع التحليل البنائى يجب أن يتخذ منهج التحليل الكيفى بدرجة أكبر من اتخاذه لمنهج التحليل الكمى ، وهذا يعنى أن الاتجاه البنائى يعتبر منهج نظرى يهتم بدراسة الأنساق الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعى، ويعتبر ذلك نقطة اهتمام أساسية فى تحديد مفاهيم المجتمع التى تعكس طبيعة النظم الاجتماعية فى الماضى والحاضر والمستقبل ، هذا إلى جانب أن التحليل البنائى ليس فى حد ذاته نظرية للقياس ولكنه يمثل إطاراً منهجياً لأى نظرية

ممثلة ويمهد لبناء التعميم المنهجي<sup>(١)</sup>.

ومع ذلك ارتبط التحليل الوظيفي بالتحليل الرياضى فى تفسير الظواهر الاجتماعية وفى تحديد العلاقة بين ظاهرتين إحداهما اقتصادية مثلا كالعلاقة بين تزايد السكان ومستوى المعيشة. كذلك اهتم علماء الاجتماع بدراسة العلاقة الوظيفية المتبادلة بين الأنساق الاجتماعية على أساس الاعتماد المتبادل كل منها على الأخرى<sup>(٢)</sup> ولذلك يتجه الفكر الاجتماعى المعاصر إلى الجمع بين المنهج الكيفى والمنهج الكمي فى التحليل البنائى بما يتناسب مع طبيعة الظواهر المدروسة، ولعل هذا يعكس الاتجاه السائد فى التحليل المنهجي المعاصر فى الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية على السواء<sup>(٣)</sup>.

ويتضح اهتمام علماء الاجتماع بمنهج التحليل البنائى الوظيفى فى إطار دراسة الظاهرة الاجتماعية فى علاقتها بالبناء الاجتماعى فى كثير من الدراسات التى اشتمل عليها تراث علم الاجتماع حيث استخدمت مصطلحات الوظائف الواضحة والوظائف الكامنة فى تحليل كثير من ظواهر التدرج الاجتماعى فى دراسات وفى دراسات «فيلن» و«مالينوفسكى» وفى البحوث التى اهتمت بدراسة المشكلات الاجتماعية المرتبطة بعلم اجتماع المعرفة وديناميات الشخصية والبيروقراطية وغيرها. وهذا التحليل يهدف إلى التمييز النظرى بين مفهوم الوظائف الواضحة والوظائف الكامنة فى إطار دراسة العمل كمفهوم نوعى يشتمل على جزء من أجزاء المعرفة السوسيولوجية، فقد يستخدم مفهوم الوظيفة الكامنة البحث عن إمكانية وصول السلوك الإنسانى فى مجال ما إلى هدف الجماعة، وهذا يعنى أن هذا المفهوم يوجه الاهتمام إلى النتائج فى الاعتبار الأول.

(1) John, Madge, The Orgins of seientific Sociology, Tavistock Pub, 1970. PP. 115 - 117.

(2) James Coleman, Introduction to Mathemetical Sociology, The Free Press, London - N.Y., 1964. P.4.

(٣) د. محمد عارف عثمان، المنهج الكيفى والمنهج الكمي فى علم الاجتماع، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٢.

ومن الإسهامات الواضحة في علم الاجتماع لتحديد مفهوم الوظيفة الكامنة تتضح في النتائج التي توصل إليها «التون مايو» من دراساته على الجماعات المهنية بمصانع هوثرون ، حيث تفسر تلك الدراسات نموذجاً للتمييز بين مفهوم الوظائف الواضحة والوظائف الكامنة، ذلك أن دراسات «التون مايو» قد اهتمت في مراحلها الأولى بالبحث عن العلاقة بين الجوانب المادية وأثرها على الإنتاجية ، وظل هذا الاهتمام موجهاً في الدراسة لمدة عامين ونصف للبحث عن المتغيرات المؤثرة في زيادة الإنتاجية. وأوضحت الدراسة في مراحلها الأولى سلبية العلاقة بين المؤثرات الخارجية المادية وبين زيادة الإنتاجية . ومع افتقار وضوح مفهوم الوظيفة الكامنة لم يبذل أى اهتمام لتفسير النتائج الاجتماعية للتجربة لإمكان تحديد العلاقة بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة. وأخيراً وبعد إجراء عدة تجارب وبحوث متصلة على المجموعة التجريبية للكشف عن نتائج التجربة في ارتباطها بالمفاهيم الذاتية لعينة البحث من العمال أمكن التوصل إلى صورة العلاقات الداخلية بين العمال في ارتباطها بظاهرة تماسك ووحدة الجماعة. وهذا يعني أن التوصل إلى تقرير العوامل الاجتماعية المؤثرة في الإنتاجية جاء بعد سلسلة طويلة من التجارب التي أهملت الوظائف الاجتماعية الكامنة للتجربة، وتوصلت الدراسة إلى عدم جدوى العامل الواحد في التأثير وانتهت إلى تقرير قضية اجتماعية هامة تحتاج إلى تفسير وفهم طبيعة النسق والعوامل المتداخلة في إطار التنظيم غير الرسمي لجماعة العمل<sup>(١)</sup> .

ولقد أكد «توماس» و«زنانيسكي» وجهة النظر السوسيولوجية في هذا التفسير والتي تتحدد في أن التحول في نمط العلاقات الاجتماعية بين الجماعة المهنية يرجع إلى سنوات التجريب التي حولت اهتمام فريق البحث في مصانع ويسترن اليكتريك إلى الوظائف الاجتماعية الكامنة في التنظيم غير الرسمي

---

(١) د. محمد الجوهري ، علم الاجتماع الصناعي، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٥ ، ص ٦٥ وما بعدها.

واعتبر هذا كتفسير سوسيولوجى لمفهوم الوظيفة الكامنة (١).

ولا شك أن اكتشاف مفهوم الوظائف الكامنة يعتبر إضافة جديدة للمعرفة السوسيولوجية فهي تعتبر من النتائج غير المقصودة التى تنتج من تحليل وتفسير الوظيفة الظاهرة ، وبذلك يمكن القول إن المشاهدات الخاصة بالوظائف الكامنة تمثل إضافة جديدة للمعرفة السوسيولوجية أكثر من النتائج أو المشاهدات المرتبطة بالوظائف الواضحة . فالحياة الاجتماعية ليست من البساطة كما تبدو فى صورتها الأولية. بل هى مزيج مركب ومعقد» ولذلك فإن التقييم الأخلاقى لمشكلات الهندسة الاجتماعية التى هى محور اهتمام دراسة التنظيم الاجتماعى تمثل إضافة جديدة للمعرفة السوسيولوجية المتراكمة .

وفى ضوء هذه الاعتبارات يأخذ التمييز بين الوظائف الواضحة والوظائف الكامنة شكلا من التعارض والتناقض بين المفهومين، واحتل هذا التعارض فى التراث السوسيولوجى بين مفهوم الدوافع الشعورية للسلوك ونتائجه الاجتماعية. وفى إطار منهج التحليل الوظيفى يتضح الفارق بين مصطلح الدوافع الشعورية وبين مصطلح الوظائف الكامنة وهذا يعتبر هدفاً أساسياً فى تحديد مفاهيم علم الاجتماع. ولهذا كان استخدام «ميرتون» مصطلح الوظائف الواضحة والوظائف الكامنة فى مفهوم مفاير لاستخدام علم النفس .

والواقع أن هناك إسهامات متعددة من بين علماء الاجتماع فى التمييز بين المفاهيم العلمية للوظيفة الواضحة والوظيفة الكامنة. وتتمثل أهم هذه الإسهامات فيما يلى :

١ - إسهامات جورج ميد G. meed حيث اهتم بمصطلح الوظيفة الكامنة Latnet Function التى تعمل على توحيد الجهود بين أفراد المجتمع المحلى فى إطار عاطفى لمواجهة العدوان على الجماعة.

---

(1) R. Merton, Social Theory and Social Styucture, op.cit., P.63.



٢ - اهتمام «دوركاييم» بتفسير الوظائف الاجتماعية للعقاب والذي يركز حول الوظائف الكامنة أكثر من ارتباطه بالوظائف الواضحة .

٣ - تفسير «وليام جراهام سمنر» من خلال أعماله الأولى لظواهر وأساليب إشباع الناس لحاجاتهم من خلال الفعل الإجتماعى المستقل وفى إطار الحاجات الإنسانية التى تتبع عن العادات والتقاليد للفرد والجماعة فهذه النتائج لا يشعر بها الأفراد ولا يمكن مشاهدتها أو وضوحها لأنها غير مباشرة وغير مقصودة .

٤ - محاولة «ماكيفر» Maciver لتحديد أبعاد الضبط الاجتماعى الذى يكمن خارج إطار الأهداف المباشرة التى تسعى إليها الجماعة، فهذا الشكل من أشكال الضبط الاجتماعى لا يؤدي إلى أى وظيفة للمجتمع .

٥ - دراسات «توماس» و«زنانيسكى» فى دراستهما للمؤسسات التعاونية التى تخدم الفلاح البولندى فى أوروبا وأمريكا حيث أنشئت لتحقيق هدف معين لإشباع حاجات نوعية لها وظائفها الاجتماعية، فكل فرد ينتمى إلى هذه الهيئات ويشارك فى أنشطتها يعكس الوظائف الكامنة التى يؤديها الفرد للجماعة لتحقيق أهدافها العامة (١) .

فهذه الملاحظات السوسولوجية جميعها تحدد طبيعة الحاجات والاهتمامات غير الواضحة داخل بناء النسق. وبذلك يمكن القول إن الوظائف الواضحة تشير إلى تلك النتائج الموضوعية للوحدة البنائية (شخص - جماعة - نسق اجتماعى أو ثقافى) التى تساهم لإيجاد سبل التكيف أو التوافق وتكون مقصودة وواضحة أما الوظائف الكامنة فإنها تشير إلى النتائج غير المقصودة وغير المعروفة للنظام أو للوحدة البنائية ، وهناك نمطا آخر يعرف بالوظائف السلبية وهى تلك الوظائف التى تؤدي إلى نتائج فى عكس أهداف المجتمع وغاياته .

---

(1) Ibid, PP,60 - 63.

### ٣ - نموذج التحليل البنائي الوظيفي :

يعتمد التحليل البنائي الوظيفي على ثلاثة متغيرات أساسية هي : النظرية والمنهج ، والمادة . ويعتبر منهج التحليل الوظيفي منهجاً لدراسة الوحدات الاجتماعية والوظائف التي تؤديها في البناء الاجتماعي ثم استخلاص النتائج الوظيفية بشقيها الواضحة والكامنة وأيضاً الوظائف السلبية التي تحدث داخل العمليات السوسولوجية في البناء الاجتماعي .

وهناك مجموعة من العناصر الأساسية يمكن أن تحدد إطاراً عاماً للتحليل الوظيفي في علم الاجتماع تمثل المراحل التي يتم بها التحليل منهجياً على النحو الآتي:

( أ ) تحديد الوحدة أو العنصر "Item" وقد يكون هذا العنصر متمثلاً في نمط التفاعل داخل الوحدات الاجتماعية كموضوع للتحليل الوظيفي مثل تحليل الأدوار الاجتماعية وتحليل الأنماط المؤسسية أو التنظيمية Institutional patterns وتحليل العمليات الاجتماعية Socila process ، وتحليل الأنماط الثقافية - Cultu- ral patterns وتنظيم الجماعة ... الخ .

### ٢ - تحديد المفاهيم الموضوعية :

ويتضمن تحديد مفاهيم موضوع الدراسة ودوافعها وأغراضها ، فالتحليل البنائي يهتم بتحليل المفاهيم الأساسية المرتبطة بدوافع الأفراد داخل النسق الاجتماعي ، ويعتمد هذا الشكل من التحليل على الدراسة الكيفية والكمية القائمة على الملاحظة المباشرة وغير المباشرة.

### ٣ - تحليل مفاهيم النتائج الموضوعية:

ويتضمن المفاهيم المتعددة للنتائج الواقعية الايجابية الظاهرة والكامنة وكذلك المفاهيم المرتبطة بالنتائج السلبية للوظيفة ، ويكون ذلك عن طريق تحليل :  
( أ ) الاتجاه نحو أخضاع الملاحظة الإجتماعية للعوامل المرتبطة بالشئ

الاجتماعى داخل النسق الاجتماعى أو الثقافى . والتي تتمثل فى ظواهر التداخل والترابط بين الأجزاء المكونة للنسق .

( ب ) الاتجاه نحو ظواهر الاختلاف أو التعارض بين المفهوم الواقعى للوظيفة وبين النمط المثالى لها . والتي تتمثل فى تحديد الوظائف الواضحة والوظائف الكامنة داخل النسق .

والفرض الأساسى حول هذا العنصر يتحدد فى تحديد ماهية المؤثرات التى تؤثر فى تحول الوظائف من وظائف كامنة إلى وظائف واضحة بما فى ذلك البحث عن أثر السلوك الإنسانى فى حل وعلاج مشكلات المجتمع :

#### ٤ - تحليل المفاهيم المرتبطة بالوحدة الوظيفية السائدة فى المجتمع :

متى كانت الوحدات الاجتماعية ذات وظيفة إيجابية بالنسبة لبعض عناصر النسق الاجتماعى، وذات وظيفة سلبية بالنسبة للعناصر الأخرى، فإن هذا يتطلب ضرورة تحليل الوظائف الاجتماعية والسيكولوجية والثقافية التى تلعب دوراً هاماً فى بناء النسق .

#### ٥ - تحليل المفاهيم المرتبطة بالمتطلبات والحاجات الوظيفية :

فى كل تحليل وظيفى تعبر بعض المفاهيم عن الحاجات والمتطلبات الوظيفية للنسق الذى يخضع للملاحظة ، ويعتبر ذلك أحد المفاهيم الواقعة فى النظرية الوظيفية كما يستخدمها علماء الاجتماع ، ويعنى مفهوم المتطلبات الوظيفية مجموعة الحقائق التى تلائم الأوضاع المعيشية لأى نسق اجتماعى، ويتضمن ذلك مشكلة تكوين أنماط المتطلبات الوظيفية العلمية والخاصة لكل نسق اجتماعى .

#### ٦ - تحليل المفاهيم المرتبطة بالميكانيزم الاجتماعى :

فالتحليل الوظيفى فى علم الاجتماع - كغيره فى العلوم الإنسانية الأخرى - يهدف إلى تحليل وتفسير الميكانيزم الذى يلعب دوراً هاماً فى بناء النسق ، وهذا الميكانيزم يتجسد فى إطار تحليل أجزاء الدور "Role Segmentation" التى يلعبها

الأفراد داخل الهيئات والتنظيمات ؛ وهذا يثير التساؤل على ماهية المشكلات الناتجة عن تحليل الميكانيزم الاجتماعي .

#### ٧- تحليل المفاهيم المرتبطة بالبدائل الوظيفية Functional Alternatives

يهتم التحليل الوظيفي بتحديد بعض المفاهيم المرتبطة بالتغيرات أو البدائل الوظيفية وهذا الاهتمام يركز حول البحث عن إمكانية قيام هذه البدائل بأدوار المتطلبات الوظيفية التي يتطلبها البناء الاجتماعي .

#### ٨- تحليل المفاهيم المرتبطة بالمضمون البنائي "Structural Context" :

إذا كان التحليل الوظيفي يهدف إلى البحث عن دور البدائل الوظيفية في العناصر المكونة للبناء الاجتماعي، فإن الترابط بين العوامل المؤثرة في البناء الاجتماعي هو الذي يحدد الإمكانيات المؤثرة لأحداث التغير أو المتغيرات الوظيفية.

وإذا كان «جولدن ويزر» قد اهتم بفكرة التطابق بين الأجزاء المكونة لعناصر البناء الاجتماعي ، إلا أنه لم يدرك العلاقة الاعتمادية بين هذه الأنساق بما يمثل حالة نكوص إلى الفكر اليوتوبى الذي يفترض أن هناك عوامل معينة داخل النسق البنائي يمكن استبعادها دون أن يؤثر ذلك على النسق ذاته ، وهذا التفسير يؤدي إلى التساؤل عن مدى إمكانية المضمون الاجتماعي في أن يحدد درجة الاختلاف بين العناصر المكونة للكل الاجتماعي التي يمكن أن تؤثر على البناء ، وما هي الظروف المجتمعية التي يظهر فيها هذا الاختلاف . وما مدى ارتباط ذلك بالأدوار الاجتماعية والوظائف المؤسسية .

#### ٩- تحليل المفاهيم المرتبطة بالديناميات والتغير :

يتجه إطار التحليل الوظيفي في علم الاجتماع إلى التركيز على ثبات البناء الاجتماعي ، وهو بذلك يهمل دراسة التغير البنائي ، ولا شك أن التركيز على الناحية الستاتيكية ليس واردا في نظرية التحليل البنائي الوظيفي ، وإنما يرجع

هذا الاتجاه إلى الاهتمامات الأولى للمدرسة الوظيفية الأنثروبولوجية التي اهتمت بدراسة ثقافة المجتمعات المتخلفة، وهذه الدراسات أفادت في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية وإن لم يعد هذا الاتجاه ذات قيمة في الاتجاه الوظيفي في علم الاجتماع.

#### ١٠- تحليل مشكلات الثبات في التحليل الوظيفي :

فالتحليل الوظيفي يتطلب التجريب المنطقي الذي يستلزم بدوره التقريب بين وجهات النظر المنطقية المحددة للإمكانات المرتبطة بالتحليل الوظيفي المقارن وهذا يثير تساؤل حول المدى الذي يحدد وضع النظم الاجتماعية في إطار الدراسة المقارنة.

#### ١١- تحليل مشكلات التطبيق الأيدلوجي للتحليل الوظيفي :

إذا كان التحليل الوظيفي ليس له أى علاقة ارتباطية بالوضع الأيدلوجي للمجتمع ، فإن هذه القضية لا تنفى أن الدراسات البنائية الوظيفية قد يكون لها دوراً أيدلوجياً واضحاً ، ويعتبر ذلك بمثابة مشكلة نوعية في علم اجتماع المعرفة . في إطار هذا النموذج يتضح أن الهدف من وضع نموذج للتحليل الوظيفي هو أن يكون هذا المنهج موجهاً ومرشداً لتحليلات وظيفية مثمرة، وهذا الهدف الموضوعي يشير إلى أن هذا النموذج يتضمن الحد الأدنى للمفاهيم العلمية التي يجب على عالم الاجتماع أن تيعرض لها في اتجاهه لمنهج التحليل الوظيفي ، كما يمكن أن يستخدم هذا المنهج كمرشد للدراسة النقدية والتحليلية لدراسات قائمة بالفعل<sup>(١)</sup> .

وهذا النموذج يؤدي مباشرة إلى وضع قضايا أساسية تحدد الخطوط العريضة للتحليل الوظيفي ، ويبحث عالم الاجتماع ليس فقط إلى وضع إطار التطبيقات العلمية لفكرة التحليل البنائي ولكن أيضا وضع التطبيقات الأيدلوجية .

---

(1) M.Rerton, : Op.cit., PP. 50-60.

#### رابعاً : البناء الميدانى للنظرية السوسيولوجية

يعتمد بناء النموذج الميدانى فى علم الاجتماع على بناء نموذج النظرية والنموذج المنهجى فى دراسة الظاهرة الاجتماعية أو النظام الاجتماعى، فكل من النموذج النظرى والنموذج المنهجى والنموذج الميدانى يمثل كلا متكاملًا للوصول إلى هدف التعميم المنهجى لبناء النظرية فى علم الاجتماع، ولذلك فإن بناء النموذج الواقعى يمر بمراحل منطقية تسير فى اتجاهين أساسيين، الاتجاه الأول يتمثل فى تطبيق الأسس والفروض النظرية على البحث الميدانى، والاتجاه الثانى يتمثل فى تطبيق الشواهد والنتائج الميدانية على النظرية السوسيولوجية ، أو بمعنى آخر ، قد تتجه الدراسة الميدانية إلى التعميم المنهجى فى ضوء نظرية محددة المعالم لاختبار قضاياها والتحقق من مدى صدقها لكى تؤكد أو تنفيها أو تضيف إليها شيئاً جديداً ، وقد تتجه الدراسة الميدانية إلى النزول إلى الميدان لاختبار الفروض والقضايا أولاً ثم التوصل إلى نتائج نظرية فى ضوء المشاهدات الواقعية . وبين كلا الاتجاهين يتحدد المنهج المناسب والأدوات وطرق البحث التى تساعد المنهج فى الوصول إلى هدف الدراسة ونتائجها .

وسوف نحاول أن نشير إلى هذه القضايا من زاويتين أساسيتين هما :

- ١ - تحديد العلاقة بين النظرية السوسيولوجية والبحث الميدانى.
- ٢ - تحديد العلاقة بين المنهج وطرق البحث الميدانى.

#### أولاً : العلاقة بين النظرية السوسيولوجية والبحث الميدانى .

يتحدد بناء النظرية السوسيولوجية فى وضع وصياغة النظرية فى شكل استنتاجى Deductive ، ويتطلب ذلك تحديد نوعيات دقيقة من المتغيرات الوظيفية النظرية ، فالنظرية تتطلب أولاً صياغة مجموعة من القضايا الضرورية التى يمكن عن طريقها استخلاص الفروض وتحديد مدى التطابق والانسجام بين القضايا والفروض ، وقد يشعر الباحث بالقلق فى دراسته عند محاولته تحديد محددات النظرية ، غير أنه يمكن لمواجهة هذه المشكلة استخدام أسلوب النقد البنائى بهدف

الوصول إلى تعديل أو تغيير الفروض بما يتناسب مع هذا النقد البنائى المنطقى، مع الاهتمام بتحديد نموذج النظرية كالنموذج الرياضى أو النموذج الوظيفى ... إلخ. ولا شك أن تكوين النظرية وإمكان اختبار قضاياها تعتبر أمراً من الصعوبة بمكان ، ويتطلب المرونة فى كل مرحلة من مراحل التحقق من الفروض ، وفى مرحلة صياغة النظرية للتأكد من وضوح كل جوانبها <sup>(1)</sup> .

فإذا كانت النظرية السوسولوجية هى عملية خلق وتكوين المفاهيم العلمية المميزة لها فى إحدى فروع علم الاجتماع، فإن بناء النظرية يرتبط بتحديد المتغيرات التى تساهم فى تحديد الإطار المنهجى للدراسة والتحليل ، فهناك المتغيرات المرتبطة بالجنس أو المهنة أو المستوى الاقتصادى والتعليمى ... إلخ .

وتمر عملية بناء النظرية من صياغة المفاهيم إلى تحديد المتغيرات فى أربعة مراحل أساسية هى :

المرحلة الأولى: ويطلق عليها مرحلة المفاهيم التصورية "Imagery" وتشتمل على التفكير والتحليل ، وفى هذه المرحلة المبكرة يحدد الباحث الخصائص العامة المميزة للظاهرة ، ويلاحظها ويحاول أن يحصيها ، فعلى سبيل المثال يحاول الباحث فى دراسته لقياس درجة تكامل المجتمعات المحلية، التفكير فى شكل العلاقة التى تربط الناس بعضهم ببعض فى المجتمع ، وأسلوب العمل والتنظيم فيما بينهم ، غير أن اهتمامه الرئيسى يتحدد فى تمحيص وتحليل العوامل المؤثرة فى درجة التكامل، وهذا الاهتمام يعتبر الخطوة التالية فى بناء النظرية .

المرحلة الثانية : ويطلق عليها مرحلة تحديد نوعية المفاهيم "Concept Specification" وفى هذه المرحلة يتم تقسيم التصور المنهجى للنظرية إلى مجموعة من الفصائل ، وهى غالباً ما تكون مشتقة سوسولوجياً من المفاهيم الأساسية للظاهرة وأحياناً تكون مستتجة من الملاحظات الميدانية ، وفى المثال السابق مثلاً عن تكامل الوحدات المحلية ، فإن هذا التكامل يرتبط ببعدين

---

(1) Herbert, Blalock, In Theoretical (eds) by E. turyakian and J Mckinney, Appleton Centum Crofts, N.Y., 1970, P.271.

أساسيين ، البعد الأول يتمثل فى البعد الثقافى الذى يتطلب معايير معينة مميزة للمجتمع ، والبعد الثانى يتمثل فى التمييز الدقيق لأنماط العلاقات السائدة بين الناس ومدى ارتباطها بالبناء الثقافى المحلى ، وهنا يظهر بعداً آخر من التضامن يمكن أن يطلق عليه التضامن المعيارى فى حالة وضوح ظواهر الترابط فى العلاقات بين الجماعات المحلية .

المرحلة الثالثة : ويطلق عليها مرحلة اختبار المؤشر Selction of Indicator وتعتبر هذه المرحلة من أكثر المشكلات التى تواجه الباحث عند بنائه للنظرية ذلك أن تحليل الأبعاد المؤثرة فى الظاهرة يؤدى إلى مؤشرات لتكامل الفكرة، وفى المثال السابق عن تكامل الوحدات المحلية ، يتحدد اختبار المؤشر فى الإجابة على بعض التساؤلات الأساسية التى ترتبط بالمدى الذى يعتمد الإنسان على غيره فى حياته اليومية، وبكيفية حدوث التواصل بين الأفراد، وبمدى إمكانية إيجاد نوع من الترابط بين الأفراد ، وكيفية إمكان مشاركة الناس بعضهم لبعض فى الحياة المجتمعية ... إلخ .»

المرحلة الرابعة : ويطلق عليها مرحلة تكوين المتغيرات Formation of Variaties بعد اختبار المؤشر لكل بعد من الأبعاد المحددة للظاهرة ، يكون من الضروري إيجاد نوع من المواءمة والتوفيق بينها ، لأنه لا يمكن أن يعمل كل من هذه الأبعاد منفصلاً عن الآخر .

وتتجه النظرية السوسيولوجية المعاصرة إلى البحث عن الوسائل التى تؤدى إلى التعميم المنهجي فى تفسير الظواهر الاجتماعية التى تحكم خط سير الظاهرة موضوع البحث ، ولذلك يهتم علماء الاجتماع للتوصل إلى هذا الهدف بتطوير المعانى والمفاهيم فى التفسير السوسيولوجى لموضوع الدراسة أولاً ثم محاولة تمحيص الحقائق الاجتماعية وربطها ببعضها ببعض ثم إجراء الملاحظة ثانياً . ولذلك استخدم مصطلح النظرية الاجتماعية استخداماً واسعاً ليشير إلى النتائج المتعددة التى تنتهى إليها البحوث الاجتماعية الميدانية فى إطار من الترابط



والوحدة المنهجية فى التفسير والتحليل والتعميم ، وهذا التفسير يؤكد تدخل مجموعة من العوامل التى تتربط بعضها ببعض الآخر لتصل إلى النظرية فى علم الاجتماع ، وهذه العوامل حددها «ميرتون» فى إطار نموذج النظرية الوظيفية على النحو الآتى :

١ - المنهج .

٢ - التصورات السوسيولوجية العامة .

٣ - تحليل المفاهيم .

٤ - التفسير السوسيولوجى .

٥ - التعميم الميدانى .

٦ - النظرية السوسيولوجية.

وسوف نشير إلى كل من هذه القضايا بشئ من الإيجاز .

١ - **المنهج:** فى تحديد المنهج يلزم التمييز بين قضايا النظرية السوسيولوجية التى لها مظاهر معينة ، والنتائج التى تتوصل إليها فى إطار نسق التفاعل الاجتماعى بين الأفراد والجماعات من جانب ، وبين منهج النظرية أى منطق التفسير العلمى من جانب آخر فالمنهج لا يرتبط بالمشكلات السوسيولوجية ، ولذلك كان هناك الكثير من المناقشات المنهجية فى التراث السوسيولوجى ، حيث يهتم علماء الاجتماع بتخطيط إطار البحث ومتطلباته النظرية ، فهناك اختلاف واضح بين معرفة كيفية اختبار مجموعة من الفروض ، وبين معرفة النظرية التى تشتق منها الفروض لاختبارها .

٢ - **التصورات السوسيولوجية العامة** General Sociological Orientations

تتضمن كثير من الموضوعات التى اهتمت بتحليل النظرية الاجتماعية ، مجموعة من التصورات السوسيولوجية نحو المواد المدروسة، وتفسر مثل هذه الدراسات أنماطاً من المتغيرات العامة التى يمكن أن تؤخذ فى الاعتبار عند تحديد

العلاقة بين المتغيرات الخاصة، وهذه المتغيرات تمد الدراسة بالإطار العام للتحقيق الميداني . ولعل هذا التفسير يتفق إلى حد كبير مع ما ذهب إليه دور كايم من قبل في تحديد أسباب حدوث الظاهرة الاجتماعية بالنظر إلى الظاهرة من خلال الظواهر الاجتماعية التي سبقتها ، ولذلك يكون من الضروري للتأكد من صدق الفروض الرجوع إلى المجتمع كنسق متكامل من التداخلات المتبادلة بين الأجزاء بعضها ببعض .

### ٣ - تحليل المفاهيم السوسيولوجية :

إن تحليل المفاهيم السوسيولوجية يعكس نوعية البحث ، وهى تمثل المظهر الواضح للعمل النظرى، وفى هذا الخصوص يجب أن نميز بين تحليل المفاهيم وتحليل المصطلحات ، مثل : المركز - الدور - المجتمع المحلى - المسافة الاجتماعية - التفاعل الاجتماعى ... إلخ ، فهذه المصطلحات لا تتضمن فى حد ذاتها نظرية ، فهى قد تدخل فقط فى النسق الرسمى للنظرية ، أما تحليل المفاهيم فيتضمن مجموعة من التعريفات أو الوصف بما هو ممكن ملاحظته ميدانياً ، فالنظرية تتكون عندما تترابط العلاقة بين الفروض الأساسية والمفاهيم السوسيولوجية ترابطاً منطقياً . لذلك كان إختبار المفاهيم أمر ضرورى فى جمع وتحليل البيانات التى تدعم الدراسة ، ويكون هدف تحليل المفاهيم وضع قوائم ملحوظة لمادة الدراسة التى يهتم بها البحث الميداني ، ويمكن القول أن المجهودات الأولى فى هذا الاتجاه قد برزت فى أعمال أميل دور كايم الذى اهتم بالبحث عن القوائم الأساسية للمفاهيم العلمية فى البناءات الرمزية ، وعلى هذا يعتبر تحليل المفاهيم أساساً نقدياً فى التفسير والمنهج العلمى.

### ٤ - التفسيرات السوسيولوجية Sociological Interpretations

فى البحث السوسيولوجى الميداني، تتطلب مادة الدراسة التفسير والتعليق ولذلك يركز التفسير على المادة الميدانية وله بنائه المنطقى للتحليل ، وقد يتخذ أسلوب التفسير منهج التحليل التاريخى أو منهج التحليل الإحصائى وهذا التفسير

يهدف إلى وصف وتحليل المشاهدات الميدانية التي تختلف في وظيفتها المنطقية عن المقدمات المتماثلة بهدف اشتقاق فروض جديدة تتطابق مع المشاهدات الجديدة .

ويستخدم التفسير السوسيولوجي لدعم النظرية حيث يلقي ضوءاً على التفسيرات المنطقية ، ولذلك فإن الفروض البعدية في مثل هذه الحالة تعتبر أساساً للتفسير البعيد المدى . وعلى هذا تظل التفسيرات البعدية في مستوى أفضل وفي درجة كبيرة من التطابق المنطقي ، وتتضمن مجموعة من المتغيرات الأساسية في تفسير الظاهرة الاجتماعية ، وبذلك تظل التفسيرات البعدية أيضاً على درجة من الترابط مع التفسير المنطقي الذي يحدد إطار التفسير البعدي باعتبار أن المتغيرات المرتبطة بالفروض القبلية تهدف كل منها إلى قياس درجة من التطابق والمواءمة بين الفرض والواقع . وهنا يكون التحليل المنطقي أساساً لا غنى عنه لإيجاد صورة المطابقة بين الفرض والوقائع المشاهدة لاختبار النظرية .

#### ٥ - التعميم الميداني :

إن هدف النظرية الاجتماعية هو التوصل إلى مجموعة من القضايا المفسرة للأشكال الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي وتعبير عن التماثلات في الظواهر والعوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية . ويمكن القول أن أولى مراحل التعميم الميداني تتمثل في تحديد أوجه التماثل والتشابه بين تنظيمين أو أكثر . ويعزز التراث السوسيولوجي مثل هذه التعميمات وإن لم تكن واضحة في النظرية السوسيولوجية ، فعلى سبيل المثال يعتبر قانون هاليفاكس الذي توصل إليه من المشاهدات الواقعية بأن عمال العمل اليدوي يبذلون جهداً أكبر من عمال العمل غير اليدوي في إنتاج الغذاء من نفس مستوى الطبقة الاجتماعية الواحدة ، فهذا القانون يتماثل مع المشاهدات التي توصل إليها غيره في أنساق اجتماعية أخرى . وبذلك يكون التعميم بدرجة أكبر أو أقل ولكنه لا يؤثر على الوضع المنطقي لبناء النظرية . فالمهمة الأساسية للنظرية وعملية تصور البحث الميداني تبدأ أولاً عند تطبيق مثل

هذه التعميمات على مجموعة الفروض المتداخلة والمترابطة، وهذه القضية تشير إلى أن التعميم الميداني له نتائج مباشرة على النسق النظرى.

#### ٦ - النظرية السوسيولوجية :

يؤدى التعميم السوسيولوجى فى مرحلة متقدمة إلى ما يطلق عليه بالقانون العلمى Scientific Law وهو يختلف عن المتغيرات التى تشتق من النظرية، والقوانين العلمية قد تعكس فى المجال السوسيولوجى درجة التشعب القائمة للنظرية والبحث الميدانى فى نفس الوقت ، وعلى الرغم من أن الكثير من البحوث الميدانية قد احتلت مكانا بارزا فى علم الاجتماع حيث اهتم الكثير من علماء الاجتماع بمناقشة الخصائص المنطقية للقوانين الاجتماعية ، إلا أنه من الضرورى فى تحديد علاقات التعميم الميدانى للنظرية ووضع إطار وظائف النظرية بالضرورة اختيار مثال يتطابق مع مثل هذه التعميمات فى إطار النظرية المقترحة .

وقد يكون الإطار المنطقى الذى صاغ فيه دور كايم نظريته فى الانتحار على سبيل المثال نموذجا لبناء النظرية السوسيولوجية ، حيث اهتم دور كايم بوضع إطار تحليلى لنظرية الانتحار يقوم على المنهج الإحصائى فى تفسير المتغيرات بين الشعوب ، وذهب فى ذلك إلى تقرير قضية أساسية من قضايا النظرية مؤداها أن نسبة الانتحار بين الكاثوليك أقل منها بين البروتستانت ومن هذا الشكل البنائى للنظرية يؤكد طبيعة المشكلة نظريا وميدانيا ، وهذا هو الهدف الذى هدف إليه دور كايم من الدراسة ، فقضايا النظرية قد صيغت فى إطار منطقى من التفسير والتحليل النظرى والميدانى فى نفس الوقت فى تحديده للقضايا الآتية :

( أ ) يدعم التضامن الاجتماعى بين الأفراد والجماعات الجوانب السيكلوجية الإيجابية من أعضاء الجماعة .

( ب ) تعبر معدلات الانتحار المرتفعة عن ظواهر القلق السيكلوجى ومجموعة الضغوط السيكلوجية التى يتعرض لها الأفراد .

( ج ) أن درجة التضامن الاجتماعى بين الكاثوليك أكثر منها بين البروتستانت.

( د ) أن النتيجة المنطقية بناء على المقدمات السابقة تؤكد أن هناك معدلات منخفضة في ظاهرة الانتحار بين الكاثوليك أكثر منها بين البروتستانت.

وهذا النموذج كمثال يفسر وضع التعميم الميداني في علاقته بالنظرية ويؤكد مجموعة الوظائف المتعددة التي تتلخص فيما يلي :

١ - أن هذا الإطار النظري يتضح في بناء النظرية عند صياغة المفاهيم المرتبطة بالتعميم في قضايا عامة من العلاقات الوظيفية المتبادلة ، ففي إطار المشاهدات الميدانية يمكن أن تشتق قضايا أخرى ترتبط بجوانب أخرى من نفس الدرجة .

٢ - إذا ما أقيم بناء النظرية عن طريق اشتقاقها لمجموعة من الفروض المتداخلة ، يكون من الضروري الاتجاه إلى تجميع كل المشاهدات الميدانية والنظرية للوقوف على ظواهر الاختلاف فيما بينها ، وهذا يعبر عن الوظيفة الأساسية للتطابق المنطقي في النظرية .

٣ - عندما لا يعبر الشكل الميداني عن إمكانية التوصل إلى نتائج مغايرة ، فإنه يصبح من الضروري إعادة بناء نسق النظرية من جديد ، وهذا ينتج عنه نتائج متعددة في مجال السلوك وعن طريق صياغة التشابهات أو التعميمات الميدانية في قضايا نظرية ، فإن هذا يزيد من ثمار البحث من خلال الاستنتاجات التي يمكن التوصل إليها من التطبيق الميداني .

٤ - عن طريق الصياغة المنطقية تقدم النظرية مجالا خصبا للتنبؤ المنطقي لخط سير الظاهرة الذي يعتبر على جانب كبير من الأهمية في البحث العلمي فالتفسير المنطقي هو الذي يحدد التفسير البعدي ويحدد أيضاً حقيقة وجود المتغيرات التي تخدم الفروض الأساسية باعتبار أن كل منها يقيس درجة معينة من التطابق والمواءمة .

في ضوء هذه الاعتبارات السابقة يمكن القول إنه في خلال مراحل تطور علم الاجتماع كانت هناك صورة من التكامل والتفاعل بين علماء الاجتماع النظري

وعلماء الاجتماع التطبيقى وتمثل ذلك بعض المجالات النظرية فيما بينهم حول العلاقة بين النظرية والبحث ، وأدت هذه المجادلات العلمية إلى إدراك طبيعة العلاقة بين النظرية والبحث الميدانى ، وهذا ما يشير إليه التراث المتراكم فى الدوريات العلمية التى إهتمت بدراسة دور النظرية فى البحث الميدانى ودور البحث الميدانى فى تطوير النظرية السوسيولوجية فهناك تفاعل واضح بين الطرفين.

وتهتم المناقشات السوسيولوجية المعاصرة بتحديد وظيفة البحث الميدانى فى اختبار أو تمحيص الفروض ، فالباحث يبدأ بحثه بصياغة الفروض التى يدخل فيها مجموعة من المتغيرات المتعددة لتكون موضوع الاختبار الميدانى وقد يتمكن من وضع مجموعة من المعايير المنطقية فى وصف تجربة البحث ، إلا أن النموذج المنطقى قد يرفضها .

ويتكامل دور النظرية عن طريق الملاحظة ، ولذلك يكون من المنطق أن تتفق الملاحظة مع الفروض فى تحديد الأبعاد المنطقية للدراسة ، فردا لم يحدث الاتفاق يكون ذلك مؤشرا للدور السلبي للنظرية فى اختبار وتمحيص الفروض ، فالنظرية تلعب دورا هاما فى توجيه البحث الميدانى ، والبحث الميدانى يلعب دورا هاما فى تشكيل وتطوير النظرية التى تقوم على العناصر الآتية :

- ( أ ) وجود قدر معين من المعرفة الأساسية .
- ( ب ) القدرة على إعادة البناء والتكوين .
- ( ج ) القدرة على التحريف عند اللزوم فى ضوء المنطق .
- ( د ) وضوح النظرية والبعد عن الغموض .

والبحث الميدانى المثمر لا يهدف فقط إلى اختبار الفروض المشتقة من النظرية نظرياً وإنما يهدف أيضاً إلى استخلاص فروض جديدة ، وهذا ما يطلق عليه باصطلاح الاكتشاف العلمى Serendipity بما فى ذلك الاكتشافات عن طريق الصدفة ، وفى أوضاع معينة يضيف البحث نمواً للنظرية الاجتماعية ، ويكون البحث الميدانى المثمر هو الذى ينتظم حول فروض جديدة <sup>(١)</sup>.

(١) R. Merton, op. cit., pp. 85 - 104.

## ثانياً : العلاقة بين المنهج وطرق البحث الميدانى :

تتعدد النماذج المنهجية المستخدمة فى دراسة الظواهر الاجتماعية بما يتناسب مع طبيعة موضوع الدراسة ، وبالتالي تختلف طرق وأساليب البحث باختلاف هذه المناهج ، ومن أشهر المناهج التى استخدمت فى التراث السوسيولوجى وفى الدراسات الميدانية هى :

- ١ - المنهج الإحصائى .
- ٢ - منهج دراسة الحالة .
- ٣ - منهج المسح الاجتماعى .
- ٤ - المنهج المقارن .

وهذه المناهج تتضمن طرقاً وأساليباً للبحث الاجتماعى تستخدم كأدوات للتحقق من الفروض النظرية فى الواقع الاجتماعى ، ويمكن أن نشير إلى الملامح الأساسية المميزة لكل من هذه المناهج بشئ من الإيجاز .

### ١ - المنهج الإحصائى :

ويتضمن هذا المنهج استخدام الرياضيات فى البحث والنظرية الاجتماعية وترجع أصول هذا المنهج فى التراث السوسيولوجى إلى عهد دور كايم ، حيث تعتبر دراسته فى ظاهرة الانتحار من أولى الدراسات التى استخدمت الإحصاء فى دراسة الظواهر الاجتماعية ، التى اعتمدت على مادة إحصائية لمعدلات الانتحار فى دول متعددة حسب السن والدين والحالة الزوجية فى إطار معاشيتها لظروف اجتماعية مختلفة ، وتحددت مشكلة البحث فى تفسير دور كايم لظاهرة الانتحار بهدف تحديد الأسباب التى تؤدى إلى ارتفاع معدلات الانتحار ، مستخدماً الإحصاءات بهدف التعميم واختبار بعض الفروض المرتبطة بحدوث الانتحار فى ضوء المتغيرات السابقة ، وانتهى من دراسته إلى وضع محددات نظرية تفسر نوعين من الانتحار الأول أطلق عليه مصطلح الانتحار الأنانى والآخر عرف بالانتحار الغيرى .

ومنذ عهد دور كايم بدأت الدراسات الميدانية تتبع نفس الأسلوب من التحليل فعلى سبيل المثال اهتم «جون فوسكت» John Fosket بدراسة المكانة الاجتماعية فى المجتمع المحلى واتبع منهج التحليل الكمى فى تحديده للعوامل المرتبطة بالسن والتعليم والمهنة والدخل ، وأشار «فوسكت» إلى أن محددات المكانة الاجتماعية والمشاركة الاجتماعية تتجسد فى نمط الدور الذى يشغله الفرد فى المجتمع ، ومن أهم هذه الأدوار هو الدور المهنى Occupational Role الذى يحدد المكانة الاجتماعية والاقتصادية للأفراد ، وهذا النمط من التحليل يماثل إلى حد كبير النمط الذى استخدمه دور كايم ، فكلاهما قد اهتم بتحديد المحددات الاجتماعية والسيكولوجية فى تفسير ظاهرة اجتماعية معينة .

ولا يقتصر استخدام الأسلوب الرياضى فى دراسة الظواهر الاجتماعية فحسب ، بل يمتد إلى مجال النظرية الاجتماعية وبنائها ، فالمنهج الكمى يلعب دوراً فى بناء النظرية السوسولوجية ، ويستخدم المنهج الكمى فى دراسة البناء الاجتماعى فى مجالات متعددة ندرج من البساطة إلى التعقيد فى الاعتبار الآتية:

( أ ) الوصف الكمى للوحدات المكونة للبناء الاجتماعى سواء أكانت أفراد أو منظمات أو جماعات ، ويكون هذا التحليل عن طريق تصنيف الوحدات إلى أجزاء تضاف إلى المجموع الكلى .

( ب ) استقصاء الملاحظات الخاصة بالتحقق من الفروض سواء كانت تلك لفروض مرتبطة بالفرد أو بالجماعة ويتمثل ذلك فى أسلوب دراسة الاتجاهات "K. A. P. survey" الذى يستخدم العمليات الكمية فى دراسة الظواهر الاجتماعية. ولقد ضيق الأسلوب الرياضى فيما يعرف بمصطلح «بناء الفهرس» Index Construction فى البحث الاجتماعى على مستوى الجماعات والأفراد ، وهذا الأسلوب يهدف إلى استقصاء الملاحظات المرتبطة بمتغيرات الدراسة .



( ج ) تتبلور التعميمات الميدانية الكمية حول السلوك الذى يهتم بدراسة متغيرين أو أكثر بهدف التوصل إلى القوانين التى تحكم خط سير الظاهرة.

( د ) يستخدم المنهج الرياضى كمدخل لبناء النظرية ، فعلى أى دراسة ميدانية تتكون النظرية ، عندما يصبح البناء المنطقى للعلاقات بين المفاهيم العلمية واضحاً ومحددًا؛ والبناء الرياضى هو الذى يحكم الروابط التى تربط بين تعدد البناءات ومتغيراتها .

ويساهم المنهج الرياضى فى تحديد أنماط النظرية فى علم الاجتماع ، ويمكن أن نميز بين نمطين أساسيين فى هذا الصدد ، النمط الأول يطلق عليه النظريات التفسيرية Explanatory Theories وهى تلك النظريات التى تهتم بالتعميمات الميدانية وتقييم الفروض بهدف الشرح والتفسير والتحليل، وهذا الشكل يرتبط بالنسق الشكلى لأنماط العلاقات المكونة للنظرية ، وكلما كثرت التعميمات الكمية وتعددت كلما كثرت أنماط النظريات الكمية وتعددت . والنمط الثانى من أنماط النظرية فى علم الاجتماع يعرف بالنظريات التركيبية Syntheic Theoies وهى تلك النظريات التى تعبر عن الاتجاهات العكسية للنظريات التفسيرية ، ويتضح فيها مجموعة من القضايا سواء كانت قضايا كمية أو كيفية ، مثل توزيع السكان وظاهرة النمو السكانى، فهذه النظرية يمكن أن تقارن بالنظريات الميكانيكية التى تبدأ بتفسير قضايا معينة ترتبط بالجوانب الأساسية للظاهرة ، ثم تتجه نحو تعميم الشواهد فيها ، ومثلاً ذلك التوصل إلى نظرية الذرة بدأ بتعميمات فلسفية وانتهى إلى متناقضات فرعية حول الموضوع<sup>(1)</sup>.

والملاحظ أن بعض النظريات فى علم الاجتماع تمثل نظريات جزئية من التفسير والبعض الآخر يمثل خليط من التفسير والتركيب وغيرها لا يمكن أن ينتمى إلى أى الاتجاهين بسبب افتقارها إلى المراجع الميدانية .

ونستخلص من ذلك أن استخدام المنهج الكمي فى دراسة ظواهر المجتمع

---

(1) James Coleman, op.cit., PP, 9-10.

يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنماذج التنبؤية predictive Models فمثل هذه النماذج نموذج التحليل العااملى Factor Analysis الذى يهدف إلى تفسير العلاقات الوظيفية فى بناء النظرية . غير أن هذا المنهج يعتبر عاملاً بسيطاً فى تطور النظرية باعتبار أن المسائل الرياضية فى النظرية الاجتماعية تعتبر من المشاكل المعقدة فى علم الاجتماع وينعكس ذلك فى المجالات العلمية حول استخدام الإحصاءات فى البحوث الاجتماعية.

## ٢ - منهج دراسة الحالة :

يفسر منهج دراسة الحالة نموذج من المعرفة العلمية التى تحدد نمط العلاقة بين الظواهر والنظم الاجتماعية ، غير أن منهج دراسة الحالة يقتصر على حالات فردية ولا يبرهن على العلاقات بين الظواهر العامة ومن الصعب التوصل إلى تعميمات منهجية من خلال هذا المنهج ، ومن أشهر الدراسات التى اتخذت منهج دراسة الحالة إطاراً للتحليل دراسة «روبرت» و «وهيلن» Robert & Helen للمدينة الوسيطة فى ارتباطها بالهيئة التعليمية والاقتصادية والحياة الاجتماعية ، إلا أن هذا النموذج فى دراسة المدينة لا يمكن أن تكون بمفردها أساساً للتعميم ومع كل فإن منهج دراسة الحالة يصلح كعملية تهدف إلى تكوين الفروض العلمية وليست مجالاً لاختبار الفروض.

## ٣ - منهج المسح الاجتماعى :

ويعتبر هذا المنهج إطاراً تحليلياً يشغل جانباً من خصائص المعرفة العلمية ، فاهتمام عالم الاجتماع لا يقتصر على مجموعة من الظواهر الاجتماعية بل يمتد للبحث عن تأثير البناء الاجتماعى على اتجاهات وخصائص وأفعال معينة لفرد، ولا يعتبر هذا القصور المنهجى نوعاً من النقد للمنهج باعتبار أن الهدف الأساسى للمسح هو حصر مجموع الأفراد مع الأخذ فى الاعتبار أساليب جمع المادة المتطورة، أم إذا كان هدف البحث هو دراسة نماذج من جماعات العمل أو أنساق التدرج الاجتماعى أو التنظيم غير الرسمى أو أى ظاهرة من هذا القبيل فإنه يجب

ألا يقتصر على منهج المسح بمفرده ، وهذا يعنى أن منهج البحث لا يؤدي إلى التراكم المعرفى لسببين :

**الأول :** أن نتائج المسح لا تفسر طبيعة العلاقات التي تربط بين الظواهر بعضها ببعض وإنما تهتم بحصر نوعيات معينة من الأفراد دون محاولة إيجاد المقارنات أو التنبؤ .

**والثاني :** يتمثل في أن معظم المسوح تستخدم النتائج العلمية في قياس أدوات المسح ذاتها ، فنتائج تطبيق أدوات المسح والقياس على جماعات مختلفة لا يمكن مقارنتها ، ولذلك لا يمكن أن يكون هناك تماثلاً واضحاً في قياس نفس الشيء، فأهداف المسح تتحدد في تكوين اتجاه عام لحركة السكان ، وهذا يختلف تماماً عن المنهج التجريبي والبناء النظري في العلوم الطبيعية ، ولذلك فإن الخطورة في استخدام هذا المنهج تكمن في احتمال أخذ المنهج كنموذج مثالي في مواجهة المناهج الأخرى للقياس ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الكثير من الأدوات والأساليب الفنية التي تستخدم في المسح كالاستبيان والفهرس والتصنيف واختبار العينة تكمن خارج المنهج ذاته ، وهذا يهدف إلى استخلاص معدل الثبات الميداني الكمي وهذا الثبات يعتبر أكثر العناصر التي يمكن اعتبارها من الأساليب الفنية في البحث والتحليل.

#### ٤ - المنهج المقارن :

ويتشابه المنهج المقارن مع المنهج التجريبي ، ولكنه يهدف إلى تقريب نتائج التجربة بدرجة معينة بهدف التوصل إلى ميكانيزم بناء النموذج النظري فالنموذج يتضمن مفاهيم مفسرة تفسيراً منطقياً يمكن أن تتضمن بنائياً في شكل الميكانيزم وبذلك يعتبر نموذج النظرية معادلة صعبة ومعقدة في بناء النسق، وترتبط فروض النظرية بالنموذج بنسبة تطابق ١ إلى ١ حيث تتطابق مع العلاقات المتطورة في ميكانيزم النموذج وفي نفس الوقت يمكن استقراء النموذج من النظرية ، فهناك إذن علاقة تبادلية بين النظرية والنموذج<sup>(١)</sup>.

(1) David Willer, : Scientific Sociology, op.cit., PP. 7 - 9.

وفى ضوء هذا المفهوم يكون التحول من النموذج إلى نسق النظرية فى إطار المفاهيم الأساسية والروابط المنطقية التى تشتق من المفاهيم العامة ومن ميكانيزيم النموذج ، فبناء النموذج والنسق الشكلى للنظرية يكونان على درجة واحدة من الاختلاف فى التطابق لأن هدف النموذج هو توليد العلاقات الترابطية بين قضايا النظرية ، وهذا يرتبط بالتفسيرات الأساسية للمفاهيم والترابط المنطقى والميكانيزم باعتبار أن منطق النظرية هو تقريب الصورة الواقعية ، ويتطلب اختبار النسق الشكلى تفسيراً معملياً لكل المصطلحات والمفاهيم، وهذه التفسيرات العملية تتحدد عندما تصل إلى درجة معينة من التطابق المنطقى.

★ ★ ★



## الفصل الثانى

### المنظور الوظيفى

مقدمة

أولاً : المبادئ الأساسية التى يركز عليها المنظور  
الوظيفى.

ثانياً : رؤية المنظور الوظيفى لطبيعة الإنسان  
والواقع الاجتماعى

ثالثاً : المتطلبات الوظيفية والنسق الاجتماعى

رابعاً : الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة

خامساً : البناء والوظيفى والخلل الوظيفى

سادساً : الاتفاق الاجتماعى

سابعاً : تقييم المنظور الوظيفى

ثامناً : تطبيق المنظور الوظيفى فى تفسير

الظواهر والنظم والمشكلات الاجتماعية



## الفصل الثانى

### المنظور الوظيفى

#### مقدمة:

يعد المنظور الوظيفى Functional Perspective أحد المنظورات الأساسية فى علم الاجتماع المعاصر وقد استمد جذوره الفكرية من الاتجاه الوظيفى فى علم النفس، وخاصة النظرية الجشططية، ومن الوظيفية الأنثروبولوجية كما تبدو فى أعمال بعض الأنثروبولوجيين مثل مالينوفسكى B. Malinowski كما استمد هذه المنظور أصوله الفكرية من كتابات أوجست كونت A. Comte، وهيربرت سبنسر H.Spencer، وإميل دوركايم E. Durkheim. ومن أهم ممثلى هذا المنظور فى الولايات المتحدة تالكوت بارسونز T.Parsons وروبرت ميرتون R. Merton. وتركز النظرية الجشططية على العلاقة بين الكل وأجزائه. وقد تأثر بهذه الفكرة كثير من الأنثروبولوجيين الاجتماعيين الذين يرون عدم إمكانية دراسة أى مظهر من مظاهر الحياة بعيداً عن دراسة الكل.

وقد أسهم علماء الأنثروبولوجيا فى تطور منظور الصراع من خلال الاستخدام المركز للتحليل الوظيفى. ولقد قبل مالينوفسكى وجهة النظر التى ترى أن المجتمعات تعد بمثابة إنساق اجتماعية، ورأى أن هذه الأنساق تشمل على عناصر متشابكة نشأت عن الحاجات الأساسية لأعضاء المجتمع، وقد عرض مالينوفسكى إطاراً تصورياً للمجتمع باعتباره نسقاً متكافئاً ومتناسقاً نشأ عن الطبيعة الخاصة للإنسان، وكل سمة من سمات المجتمع تعمل على إشباع بعض الحاجات وتحقيق وظيفة معينة. ويرى مالينوفسكى أن المجتمعات تبقى وتستمر



نظراً لأن هناك ممارسات حيوية يتم أدائها - بطريقة مقصودة أو غير مقصودة - وتؤدي إلى بقاء واستمرار هذه المجتمعات . وعلى سبيل المثال، يعتقد مالينوفسكى أن السحر أو الطقوس التي تهدف إلى التأثير في القوى الخارقة للطبيعة، كانت تعد حيوية لبعض مجتمعات الصيد والجمع، فالطقوس السحرية لم تكن مؤثرة بالنسبة للتحكم في الجو أو البحر، إلا أن هذه الطقوس كانت تعطى الناس الشجاعة للقيام بالأعمال الضرورية التي كانت تعد خطرة وتتطلب المغامرة<sup>(١)</sup>.

#### أولاً : المبادئ الأساسية التي يركز عليها المنظور الوظيفي :

يعتمد المنظور الوظيفي على افتراض أساسي يدور حول فكرة تكامل الأجزاء في كل واحد والاعتماد المتبادل بين العناصر المختلفة للمجتمع<sup>(٢)</sup>. ويرى هذا المنظور أن المجتمع نسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة . ويهتم بدراسة العلاقة بين مختلف هذه الأجزاء وبين المجتمع ككل . كما ينظر المجتمع على اعتبار أنه شبكة منظمة من الجماعات المتعاونة التي تتجه نحو الاستقرار، وتتفق حول القيم المرتبطة بالأهداف ووسائل تحقيقها<sup>(٣)</sup>. ويرى المنظور الوظيفي أن كل أجزاء النسق - تحكم طبيعتها ووجودها - متساندة على نحو معين، وتسهم بطريقة ما في تدعيم الكل<sup>(٤)</sup>.

ويؤكد المنظور الوظيفي على فكرة ارتباط أجزاء المجتمع بعضها مع البعض الآخر على الرغم من استقلالها الظاهري . وتستمد الوظيفية نظرتها إلى المجتمع من النشرة العضوية في تصورها لوظائف أجزاء الجسم الحي داخل البناء الكلي

---

(1) Harold R.Kerlo, Socilogy : Social Structure and social Conflict New York: Macmillan Publishing Company, 1989, P.23.

(2) Don Martindale, Nature and Types of sociological Theory, London: Routledge & kegaon Paul , 1967, P.448.

(3) B.Hortorn & C.W.Hunt, Sociology, New York : MCGraw -Hill Book Co., 1980, P017.

(٤) السيد محمد الحسيني ، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥، ص ١١٠ .

للكائن الحي، وتحاول تطبيق هذه النظرية على الوظائف الاجتماعية التي تؤديها التنظيمات المختلفة داخل البناء الاجتماعي الكلي .

ويرى أصحاب المنظور الوظيفي أن النظام الاجتماعي يقوم على مبدأ الاعتماد المتبادل بين الأجزاء، وأن أي تغير يحدث في أي جزء من أجزاء المجتمع يصاحبه بالضرورة تغير مماثل في الأجزاء، وفي النظم الأخرى وفي المجتمع ككل على أن أجزاء النسق الاجتماعي تعد كلها مترابطة بعضها مع بعض.

وقد ارتبط المنظور الوظيفي المعاصر بنزعة تطبيقية لمواجهة مشكلات التكيف وإعادة التوازن الاجتماعي للأنساق التي يتكون منها المجتمع . ويؤكد هذا المنظور على أن المجتمعات تتجه نحو التوازن Equilibrium كما يؤكد على أن القوى المكونة للنظام الاجتماعي تعمل على تخفيف حدة الانحرافات والتوترات داخل النظام، كما أن كل نظام قابل للتغير التدريجي والمستمر طبقاً للحاجات والمتطلبات التي تشبع رغبات أفراد المجتمع واختلافها تبعاً لاختلاف المكان والزمان<sup>(1)</sup>.

ولتوضيح المبادئ الأساسية التي يركز عليها المنظور الوظيفي، نجد أن كل جزء من أجزاء المجتمع - مثل الأسرة، والمدرسة، والاقتصاد، والدولة - يؤدي عدة وظائف أساسية ومحددة للمجتمع . بالإضافة إلى أن كل جزء يعتمد على غيره من الأجزاء الأخرى . وعلى سبيل المثال، نجد أن الأسرة تؤدي عدة وظائف اجتماعية محددة مثل التنشئة الاجتماعية، ورعاية الأبناء، وإشباع حاجات أفراد الأسرة. وتعتمد الأسرة على غيرها من أجزاء المجتمع، إذ تعتمد على المدرسة في تعليم أبنائها. وتعتمد المدرسة على الأسرة أو الدولة لإمدادها بالمعونات المالية. كما تعتمد الدولة على كل من الأسرة والمدرسة لمساعدة الأبناء على النحو وتعليمهم طاعة القانون ودفع الضرائب . ومن مجموع هذه الأجزاء المعتمدة على بعضها البعض يظهر النظام الاجتماعي العام الثابت، أو البناء الاجتماعي، وإذا حدث ما يؤدي إلى تفكك النظام الاجتماعي العام، فإن أجزاء المجتمع سوف تتكيف بطريقة تؤدي إلى إعادة الاستقرار داخل المجتمع، فإذا افترضنا أن هناك تدهور في النظام

---

(1) James W. Vander Zanden, Op.cit ., P.29.

الاقتصادي، وإذا كان هناك درجة عالية من التضخم والبطالة، ففي هذه الحالة نجد أن الأسرة سوف تتكيف عن طريق تخفيض النفقات وزيادة المدخرات، وقد تقدم المدرسة بعض البرامج والاهتمام بالتدريب المهني، كما أن الدولة قد تعمل على خفض ميزانيتها، ونتيجة لذلك، يظهر نظام اجتماعي عام جديد، ويتم إعادة الاستقرار داخل المجتمع<sup>(1)</sup>.

### ثانياً : رؤية المنظور الوظيفي لطبيعة الإنسان والواقع الاجتماعي :

يمكن التعرف على ما ورد في المنظور الوظيفي من افتراضات رئيسية خاصة بطبيعة الإنسان وقدراته، من خلال التركيز على نظرية «تالكوت بارسونز» T. Parsons بوصفه من أشهر ممثلي النظرية الوظيفية المعاصرين، ففي مؤلف «بارسونز» عن (بناء الفعل الاجتماعي) نجده يسلم بأن الإنسان كائن عقلاني، إلا أنه عاد في كتاباته اللاحقة وتأثر بفكر «سيجموند فريد» S. Freud عن الطبيعة اللاعقلية للإنسان، وقد كان «فرويد» يرى أن الإنسان تدفعه دوافع وحوافز خفية لا يمكن فهمها إلا إذا تعمقنا لاشعوره، وعلى ذلك فإن المقابلات التي كان يجريها «فرويد» كانت تعتمد على افتراض أن الإنسان في جوهره غير عقلاني وغير منطقي<sup>(2)</sup>.

وفي مؤلف «بارسونز» عن (النسق الاجتماعي) نجده يقرر أن هناك نسق اجتماعي يقوم فيه الأفراد بأفعال تجاه بعضهم البعض، وهذه الأفعال عادة ما تكون منظمة لأن الأفراد في النسق يشتركون سوياً في الاعتقاد في قيم معينة وفي أساليب مناسبة للسلوك، وبعض هذه القيم يمكن أن نسميها معايير، والذين يتبعون هذه المعايير يتصرفون بشكل متشابه في المواقف المتشابهة، وهذا ما يحقق الانتظام في المجتمع أو ما نسميه التوازن الاجتماعي Social equilibrium، وهذا التوازن في غاية الأهمية بالنسبة للمجتمع، ويتحقق التوازن ويتم المحافظة عليه عن طريق أسلوبين : التنشئة الاجتماعية Socialization، والضبط الاجتماعي Social

(1) Alexthio, Sociology: An Introduction, New York : Harper & Row, Publishers, 1986, P.13.

(2) سمير نعيم أحمد، المرجع السابق، ص ٦٤.

Control، والأسلوبين مكملين لبعضهما البعض وهدفهما جعل الأشخاص فى المجتمع ينصاعون للمعايير التى توجد بالنسق الاجتماعى، فإذا ما فشلت التشبث الاجتماعية فى جعل الأشخاص يتبعون المعايير فإن الضبط الاجتماعى يجبرهم على ذلك<sup>(١)</sup>.

ومن تحليل الافكار الرئيسية التى وردت فى كتابات «بارسونز» عن (النسق الاجتماعى)، يتضح أن هذه الافكار تخفى وراءها أهدافا أيديولوجية واضحة، وتهدف إلى صرف أذهان الباحثين الاجتماعيين عن الواقع الاجتماعى، وعن دراسة المؤسسات والأنظمة الاقتصادية والسياسية، ونجد أن الواقع الاجتماعى عند «بارسونز» يتسم بالسكون والثبات بالضرورة ولا بد أن يخلو من الصراع ويسمى نحو التكامل.

ونلاحظ أن تأكيد «بارسونز» على فكرة التوازن عن طريق الخضوع للمعايير السائدة والمشاركة بين الناس إنما هو تحذير للإنسان من أى تمرد أو محاولة لتغيير الأوضاع القائمة، وقد حول «بارسونز» المجتمع بأسره إلى مجرد قيم ومعايير أو إلى رموز مجردة توجد مستقلة عن البشر وتفرض عليهم سلطانها وأغفل تماماً الأساس الاقتصادى والسياسى للمجتمع وعبر بوضوح عن انحيازه الأيديولوجى للطبقة الحاكمة .

والإنسان نجده غير قادر على تغيير هذه الأنساق القيمية، ولكن عليه أن يخضع لها، ويتكيف معها، فإن حاول الإنسان تغيير هذه الأنساق فإن المجتمع سيصاب بحالة من اللاتوازن<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً : المتطلبات الوظيفية والنسق الاجتماعى :

يمكن النظر إلى المجتمع على اعتبار أنه نسق اجتماعى، أى أنه مركب من عدد من العناصر أو المكونات التى ترتبط ببعضها البعض بشكل ثابت نسبياً خلال

(1) Wright Mills, The Sociological Imagination, N.Y.: Oxford University Press, 1978, PP: 32- 33.

(٢) سمير نعيم أحمد ، المرجع السابق ، ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

فترة من الزمن<sup>(١)</sup>. وبتعبير آخر، يمكن النظر إلى المجتمع على اعتبار أنه نسق يتكون من أنساق فرعية، أو من عدد من الأجزاء المترابطة المتكاملة، التي يوجد بينها اعتماد متبادل . ولكل نسق احتياجات أساسية لا بد من الوفاء بها حتى يمكن استمرار النسق، وإلا فإن النسق قد يتغير تغيراً جوهرياً<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان المجتمع نسق يتألف من أنساق فرعية، فقد يكون لكل مستوى مشكلاته الاجتماعية الأساسية بحيث يصعب تفسير المشكلات التي تحدث في مستوى النسق ككل في ضوء المشكلات التي تحدث في أنساقه الفرعية، أي أننا كلما تحركنا من الأنساق الأصغر إلى الأنساق الأكبر، قد نجد مشكلات اجتماعية جديدة تميز كل مستوى من مستويات التحليل السوسيولوجي . ومن ثم فإن تفسير مشكلات كل مستوى يجب أن يكون نابعاً منه ومعبراً عنه<sup>(٣)</sup>.

ويؤكد ما سبق، ما ذهب إليه عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز T.Parsons في نظريته عن النسق الاجتماعي Social system، حيث ذهب أن لكل مستوى من مستويات الأنساق الاجتماعية مشكلاته النوعية التي تميزه عن غيره من الأنساق . فعندما تحدث بارسونز عن طريقة عمل النسق الاجتماعي، ذكر أن كل نسق لا بد أن يجد حلاً لعدد من المشكلات، أو أن يواجهه على الأقل أربع مشكلات أو شروط أساسية لكي يستمر في البقاء، وقد أطلق بارسونز على هذه المشكلات أو الشروط اسم الملزمات الوظيفية functional Imperativer أو المتطلبات الوظيفية functional requisits، وهي :-

١- التكيف Adaptation .

٢ - تحقيق الهدف goal Attainment .

٣ - التكامل Integration .

---

(١) J.W.V. Zanden, Op.Cit., P.626.

(٢) سمير نعيم أحمد ، المراجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) السيد محمد الحسيني ، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم ، القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ ، ص ٢٦٣ .

#### ٤ - المحافظة على بقاء النمط وإدارة التوتر .

##### Pattern Maintenance & Tension -Management

ويتطلب التكيف مع البيئة أن يقوم النسق الاجتماعى بتأمين التسهيلات والوسائل الاقتصادية الضرورية لحياة أعضاء المجتمع، وتوزيعها من خلال النسق . ويشير تحقيق الهدف إلى مشكلة تحديد الأولويات بين أهداف المجتمع، والاستخدام الأمثل لموارد النسق من أجل تحقيق هذه الأهداف. ويعنى التكامل ضرورة التنسيق بين أجزاء النسق الاجتماعى والمحافظة على العلاقات الداخلية بين هذه الأجزاء .

أما مشكلة المحافظة على النمط وإدارة التوتر، فتشير إلى ضرورة أن يتأكد المجتمع من أن أعضائه تتوافر فيهم الخصائص المناسبة (مثل الحوافز ومهارات أداء الدور) لتحقيق الالتزام الضرورى بالقيم الاجتماعية، كما تشير هذه المشكلة إلى ضرورة التعامل مع التوترات الداخلية والضغط، أى أن يكون أعضاء المجتمع قادرين على خفض التوتر وإدارة التوترات الانفعالية التى يمكن أن تظهر بين الأعضاء خلال التفاعلات الاجتماعية اليومية .

ونجد أن هذه المشكلات الأربع التى حددها بارسونز لا تتعلق بالتنظيم الاجتماعى فحسب، بل ترتبط أيضاً بالحاجات الشخصية لدى أعضاء المجتمع، وقد كشف بارسونز عن التساند بين النسق الكبير وأنساقه الفرعية، فى حين كشف أيضاً عن الاستقلال الذى تتمتع به الأنساق الفرعية، الأمر الذى يشير إلى أن لكل مستوى من مستويات التحليل مشكلاته الأساسية النوعية <sup>(١)</sup>.

ونجد أن الملزمات و المتطلبات الوظيفية السابقة - وهى التكيف، وتحقيق الهدف، والتكامل، والمحافظة على بقاء النمط وإدارة التوتر - هى من وجهة نظر التحليل الوظيفى تعد أساسية وعالمية فى جميع الأنساق الاجتماعية، ذلك لأن

---

(1) Jonathan H.Turner, The Structure of Sociological Theory , Illinonis : The Dorsey Press , 1982, PP.49-53 ....

الفشل فى انجاز هذه الملزمات أو المتطلبات يؤدى إلى تعرض النسق الاجتماعى إلى الانهيار<sup>(١)</sup>. وتشكل المتطلبات الوظيفية مشاكل محددة يتعين على الانساق الاجتماعية حلها من أجل المحافظة على بقاء المجتمع<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً : الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة :

قام روبرت ميرتون R.Merton - أحد علماء الاجتماع الوظيفيين الذى تأثروا بأفكار تالكوت بارسونز T.Parsons - بتصنيف الوظائف إلى نمطين : الوظائف الظاهرة manifest Aunctions، والوظائف الكامنة latent Aunctions . ويشير مفهوم الوظائف الظاهرة إلى تلك الوظائف المقصودة التى تبدو واضحة . أما مفهوم الوظائف الكامنة، فيشير إلى تلك الوظائف غير المقصودة وغير المدركة غالباً<sup>(٣)</sup>.

وتعد الوظائف الظاهرة نتاجاً للدور الوظيفى الذى يقوم به الأفراد، ويمكن معرفتها وإدراكها بسهولة عن طريق أفراد النسق أنفسهم، أما الوظائف الكامنة، فهى تلك الوظائف التى لا يمكن معرفتها وإدراكها لتحقيق هدف مستتر يختفى وراء الهدف الظاهر، ونجد أن الدافع لدى بعض الناس لأداء سلوك معين ليس من الضرورى أن يكون ظاهراً يتفق مع النتائج الموضوعية المترتب على هذا السلوك<sup>(٤)</sup>.

ويمكن عن طريق استخدام مفهومى الوظائف الظاهرة والكامنة القيام بعملية التحليل الوظيفى للظواهر الاجتماعية، وذلك مثل التحليل الذى قام به كنجزلى ديفز K.Davis لمشكلة البغاء، وكشف عن الوظائف الظاهرة والكامنة التى يؤديها البغاء فى المجتمع .

ولدراسة ظاهرة اجتماعية معينة، قد نحتاج إلى مجرد الفطرة السليمة للتعرف على وظائفها الظاهرة، إلا أن البحث عن وظائفها الكامنة يتطلب الفهم

(١) على عبد الرازق حلبى ، المرجع السابق ، ص ٢٨٦ - ٢٩١ .

(٢) سناء الخولى ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(3) Alex Thio, Op.cit., P.14.

(4) J. V. Zanden, Op.cit., P.30

السوسيولوجى الذى يظهر عمقها، ويكشف عن الحقيقة، والوظائف غير المقصودة وغير المدركة، وعلى سبيل المثال، نجد أن الوظيفة الظاهرة للذهاب إلى الجامعة تتمثل فى الحصول على التعليم إلا أن الذهاب إلى الجامعة قد يكون له أيضاً وظائف كامنة مثل تمكين الطلاب من القيام بعملية الاختيار الزواجى<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى التى توضح المقصود بالوظائف الظاهرة والكامنة، تلك الوظائف التى تؤدىها بعض المنظمات العالمية التى تقوم بالتجسس فى بعض الدول مثل الولايات المتحدة . إذ تبدو الوظيفة الظاهرة لمثل هذه المنظمات على اعتبار أنها تعمل على كسب ثقة الشعوب فى الدولة التى تنتمى إليها وتقديم المساعدة للدول المختلفة . إلا أن الوظيفة الكامنة لمثل هذه المنظمات قد تتمثل فى استخدام الأساليب المختلفة بهدف الحصول على معلومات عسكرية أو اقتصادية التى تعد جوهرية فى حالة الحرب<sup>(٢)</sup>.

#### خامساً : البناء والوظيفة والخلل الوظيفى :

يشير مفهوم البناء structure إلى مجموعة من العناصر التى تقوم بينها علاقات محددة تعبر عن كل العمليات القائمة بين هذه العناصر . وتدرك العناصر والعلاقات مجردة، الأمر الذى يجعلها مستقلة من الناحية المنطقية عن أى محتوى يمكن إدراكه حسياً . ولا يختلف مفهوم البناء الاجتماعى فى جوهره عن هذا المفهوم، ولكن الاختلاف يتمثل فى دلالة الاجتماعية .

وقد أصبح موضوع البناء الاجتماعى من أهم الموضوعات التى تناولتها الأنثروبولوجيا الاجتماعية منذ العشرينات من هذا القرن عند ظهورها فى بريطانيا وبلورتها كتخصص قائم بذاته ضمن التخصصات المختلفة التى تضمنها الأنثروبولوجيا<sup>(٣)</sup>.

---

(1) Alex Thio, Op.cit., P.14.

(2) James W.Vander Zanden, Op.cit., P30.

(٣) السيد حامد، النظرية الأنثروبولوجية ، الكتاب الأول ، البنائية : كلود ليفى ستروس ، الإسكندرية : دارالمعرفة الجامعية ، ١٩٩٦ ، ص ٦٩ .



ويمكن مناقشة مفهوم البناء بشكل مستقل بعيداً عن مناقشة مفهوم الوظيفة Function، كما يمكن مناقشتها مجتمعين لارتباط كل منهما بالآخر، فالوظيفة هي الدور الذي يلعبه البناء الفرعى أو النسق الفرعى Sub-System فى البناء الاجتماعى الشامل<sup>(١)</sup>.

ويهتم الوظيفيون اهتماماً كبيراً بالأداء الوظيفى، والدور الذى يقوم به كل جزء من أجزاء المجتمع فى إطار القيم والمعايير السائدة فى المنظمات والجماعات التى يتكون منها المجتمع . وتعمل الوظائف التى تؤديها أجزاء المجتمع على إحداث التكيف والتوافق بين أجزاء النسق، الأمر الذى يؤدي إلى استمرار وجوده ونجد أنه من الضروري أن يلتزم أفراد المجتمع بأداء دورهم الوظيفى فى المجتمع الذى ينتمون إليه. ويؤدي عدم التزام الأفراد بواجبات الدور إلى فشل النظام فى التكيف وحدوث ما يطلق عليه الاضرار أو المعوقات الوظيفية أو الخلل الوظيفى dysfunctions، الذى يتمثل فى التعارض بين ما ينبغى أن يكون وبين ما هو واقع فعلاً، وقد ينتهى الأمر إلى تفكك النظام وانهياره .

ويعد عالم الاجتماع الأمريكى روبرت ميرتون R.Merton من أبرز علماء الاجتماع الذين اهتموا بدور المنظمات الاجتماعية وغيرها من أجزاء المجتمع فى المساهمة لتحقيق أهداف النظام الاجتماعى، وقد أكد ميرتون على أن أجزاء النظام إذا فشلت فى تحقيق أهدافها، نجم عن ذلك ما يسمى بالخلل الوظيفى ويعد ميرتون هو أول من أدخل هذا المصطلح فى المنظور الوظيفى<sup>(٢)</sup>.

ويرى ميرتون أن النظم الاجتماعية ينجم عنها أحياناً بعض الأضرار أو الخلل الوظيفى، أى بعض النتائج السلبية التى تؤدي إلى فشلها فى تحقيق رفاهية المجتمع. ونجد أن هذه النظم تقلل من تكيف النسق أو توافقه وتجعله فى حالة من عدم الاتزان disequilibrium . وعلى سبيل المثال، نجد أن الأسرة وغيرها

---

(١) أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعى : مدخل لدراسة المجتمعات ، الإسكندرية : دار المعارف ، ١٩٦٦ ، ص ٥٧ .

(2) James W.Vander Zanden, Op.cit., PP.29 - 30.

من النظم الاجتماعية فى بعض الدول قد ظلت لسنوات عديدة تعلم الإناث أن الأزواج سوف يتحملون مسئولية الإنفاق عليهم وعلى الأبناء الأمر الذى أدى إلى عدم استقلال المرأة وتحمل الرجال وحدهم عبء الدعم المادى للأسرة . إلا أن تزايد نسبة الإناث العاملات خارج المنزل، وارتفاع معدلات الطلاق قد أدى إلى حدوث بعض التغييرات وإدراك النساء أن مسئولية الرجال نحو الإنفاق عليهن لم تعد تؤدى وظيفتها على الوجه الأكمل فى الوقت الحاضر، ونجد أن توقع النساء للدعم المادى لهن من قبل الأزواج قد يكون من بين الأضرار أو المعوقات الوظيفية أو الخلل الوظيفى نظراً لأنه قد يشجعهن على عدم استكمال التعليم وعدم الارتباط بالعمل أو الاهتمام بالمستقبل المهني<sup>(١)</sup>.

ومن الملاحظ أن البناءات أو الأنساق الاجتماعية المختلفة قد تقوم بنفس الوظيفة، وللتعرف على الوظيفة أو الخلل الوظيفى فى أى بناء أو نسق اجتماعى، فإنه من الضرورى أن نضعه فى المحيط الاجتماعى والثقافى الذى يهدف فيه . وقد يكون البناء وظيفياً Functional بالنسبة لنسق معين، ويكون فى نفس الوقت خللاً وظيفياً بالنسبة لنسق آخر، وعلى سبيل المثال، نجد أن القيام بالعمل الإضافى Overtime قد يكون وظيفياً من حيث زيادة الدخل ولكنه يكون خللاً وظيفياً من حيث انتقاصه للوقت الذى يقضيه الإنسان مع الأسرة، كما قد يكون إنجاب عشرة أطفال وظيفياً بالنسبة للفلاح الذى ينظر إليهم باعتبارهم مصدراً اقتصادياً ولكنهم يشكلون خللاً وظيفياً من ناحية الانفجار السكانى<sup>(٢)</sup>.

#### سادساً : الاتفاق الاجتماعى :

يرى الوظيفيون أن أساس التفاعل الاجتماعى يتمثل فى الاتفاق الاجتماعى Social consensus المستمد من المعتقدات المشتركة والقيم المجتمعية. ويؤمن الوظيفيون بأن معظم أفراد المجتمع يتفقون على مجموعة من الأعراف المرغوب

---

(١) J.E.Conklin , Op.cit., P.15 .

(٢) سناء الخولى ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ و ١٤٨ .

فيها أو غير المرغوب فيها، السوية وغير السوية . كما أن أفراد المجتمع في حاجة إلى مشاركة بعضهم البعض في القيم والمعتقدات التي تحدد أيديولوجية المجتمع .

ويذهب أصحاب المنظور الوظيفي إلى أن أقصى درجات الاتفاق الجمعي تعبر عن درجة التماسك Cohesive التي تربط أفراد المجتمع بوحدة عضوية تسهم في تكامل وحدات البناء الاجتماعي وتساعد على تحقيق الاستقرار الاجتماعي عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية .

ويؤكد الوظيفيون على أن تقبل أفراد المجتمع للقواعد التي يسير عليها مجتمعهم يؤدي إلى استمرار وجود هذا المجتمع حيث تكون هناك الرغبة عند غالبية أفراد المجتمع في اتباع أهداف متشابهة تساعد على تحقيق التكامل والاستقرار الاجتماعي . ولا شك أن وجود الأهداف المشتركة بين أفراد المجتمع يؤدي إلى خلق المواطن المشترك اللازمة لتحقيق الوحدة العضوية للبناء الاجتماعي<sup>(1)</sup> .

ويعد التأكيد على الاتفاق حول القيم Value consensus من الملامح الأساسية للمنظور الوظيفي . ويهتم التحليل الوظيفي بوصف نسق القيم الشائع في المجتمع . فهناك نظام اجتماعي عام نظراً لأن غالبية أعضاء المجتمع . فهناك نظام اجتماعي عام نظراً لأن غالبية أعضاء المجتمع قد تعلموا القيم السائدة في المجتمع وامتثلوا للقواعد الأساسية حتى يمكنهم إشباع احتياجاتهم الضرورية اليومية . ويرتبط بهذه النظرة تأكيد الوظيفيين على القيم، والمعتقدات، والأفكار على اعتبار أنها الأشياء التي تؤدي غالباً إلى تشكيل وتغيير طبيعة المجتمعات<sup>(2)</sup> .

ونجد أن الاتفاق حول القيم هو الذي يربط أجزاء المجتمع مع بعضها البعض، ويجعل من الممكن لهذه الأجزاء تكوين النظام الاجتماعي العام . وقد نظر الوظيفيون إلى القيم والمعتقدات المشتركة على أنها أساس النظام الاجتماعي العام،

---

(1) James W. Vander Zndeen, Op.cit., P.

(2) Harold R. Kerbo, Op.cit., PP.23-24.

وحاولوا التعرف على الطرق التي يحاول بها أعضاء المجتمع اكتساب هذه القيم والمعتقدات المشتركة .

وقد افترض عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم E. Durkheim أن الاتفاق الاجتماعي يمكن تحقيقه على شكل التماسك الآلي أو العضوي . ويشير مفهوم التضامن الآلي mechanical Solidarity إلى نمط معين من التماسك الاجتماعي يوجد عندما يعمل أفراد المجتمع في نفس العمل، وتصبح لهم معتقدات وقيم متشابهة . ويظهر هذا النمط من التضامن في المجتمعات التقليدية البسيطة، مثل المجتمعات الريفية .

وعلى عكس التضامن الآلي، يشير مفهوم التضامن العضوي Organic Solidarity إلى نمط معين من التماسك الاجتماعي يوجد عندما يعمل أفراد المجتمع في أعمال متخصصة مختلفة ومتنوعة، ويصبح عليهم الاعتماد على بعضهم البعض . ويعد التضامن العضوي من خصائص المجتمعات الصناعية المعقدة، حيث نجد أفراد هذه المجتمعات يرتبطون مع بعضهم البعض عن طريق التماسك العضوي<sup>(1)</sup>.

#### سابعاً : تقييم المنظور الوظيفي :

يعد التحليل الوظيفي أداة هامة لوصف المجتمع ككل، وتوضيح عناصره البنائية، ووظائف كل منها، ويهتم المنظور الوظيفي بتحليل الوحدات أو الأنساق الاجتماعية الكبرى للحياة الاجتماعية، خاصة التي تجد تعبيراً لها في أنماط السلوك الاجتماعي والتنظيمي<sup>(2)</sup>.

وخلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، نجد أن المنظور الوظيفي قد أصبح مقبولا إلى درجة كبيرة لدى علماء الاجتماع الأمريكيين، إلا أن انتقال هذا المنظور من أوروبا إلى الولايات المتحدة قد أدى حدوث بعض التغيرات،

---

(1) Alex Thio , Op.cit., PP.13-14.

(2) J.W.V. Zanden, Op.cit., P.31.

خاصة بعد أن أصبح علماء الاجتماع الأمريكيين أكثر اهتماماً باكتشاف وظائف أنماط محددة من السلوك الاجتماعي<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من ازدياد قيمة المنظور الوظيفي لدى علماء الاجتماع الأمريكيين، إلا أن هذا المنظور قد تعرض لبعض أوجه النقد نظراً لتركيزه على دراسة الوحدات الاجتماعية الكبرى وإغفاله دراسة الوحدات الاجتماعية الصغرى والعمليات الاجتماعية، وذلك على النحو الذي يقوم به عالم التشريح عندما يختار خلية حية تحت المجهر ويركز اهتمامه حول عناصر معينة .

ومن أوجه النقد التي وجهت إلى المنظور الوظيفي أنه يجد صعوبة في التعامل مع الأحداث التاريخية وعمليات التغير الاجتماعي، الأمر الذي جعل هذا المنظور يتعرض للنقد على أساس إغفاله فكرة الصراع والتوتر والقلق، كما أن هذا المنظور عندما يؤكد على عنصر الثبات والاستقرار، فإنه يغفل فكرة التغير الاجتماعي<sup>(2)</sup>، لذلك اعتبر النقاد أن المنظور الوظيفي يدخل في إطار النظريات المحافظة التي تميل إلى تدعيم النسق أو الوضع الاجتماعي القائم Status quo .

ويرى بعض النقاد أن الوظيفيين يكونون من المحافظين في أحيان كثيرة، وأن المنظور الوظيفي يتضمن أن النظم التي تسهم في التوافق الاجتماعي تعد نظاماً جيدة بالنسبة للمجتمع، إلا أن المنظور الوظيفي لا يبدو محافظاً بشكل تام، إذ أن فكرة المعوقات الوظيفية أو الخلل الوظيفي تشير إلى أن بعض النظم قد تكون ضارة، وقد تؤدي إلى خلل المجتمع وعدم توازنه .

ونجد أن أكثر المشكلات الخطيرة التي تواجه المنظور الوظيفي تتعلق بالطريقة التي ينظر بها الوظيفيون إلى النظام على اعتبار أنه يعد وظيفياً أو يؤدي إلى الأضرار أو الخلل الوظيفي، نظراً لأن ذلك يتوقف على قيم عالم الاجتماع وتفضيلاته . فقد يرى عالم الاجتماع المحافظ أن ارتفاع معدلات الريج يعد وظيفياً بالنسبة للمجتمع نظراً لأنه يؤدي إلى زيادة الموارد اللازمة لإعادة الاستثمار والنمو

---

(1) Alex Thio, Op.cit., P.14.

(2) J.W.V. Zanden , Op.cit., P.31.

الاقتصادى . بينما يرى عالم الاجتماع الليبرالى أن ارتفاع معدلات الربح يعد من بين الأضرار أو المعوقات الوظيفية نظراً لأنه ينجم عن طريق دفع أدنى مستوى للأجور .

وعلى الرغم من أن كلا من التفسيرين السابقين يتفق مع المنظور الوظيفي، إلا أن قيم عالم الاجتماع -سواء كانت نتائج ارتفاع معدلات الربح تعد مفيدة أو ضارة للمجتمع - هى التى تحدد ما إذا كان النظام يعد وظيفياً بالنسبة إلى المجتمع أو يعد ضاراً ومن بين هذه المعوقات الوظيفية التى تؤدى إلى الخلل الوظيفى وتقلل من توازن النسق الاجتماعى.

ومن بين أوجه النقد الأخرى التى تعرض لها المنظور الوظيفي، مبالفته فى التأكيد على الانسجام والتوافق المجتمعى، والتقليل من أهمية دراسة الصراع والتغير الاجتماعى .

كما تعرض المنظور الوظيفي للنقد على أساس تركيزه على الاتفاق حول القيم. إذا يشير الوظيفيون إلى أن هناك اتفاقاً تاماً بين أعضاء المجتمع حول القيم والمعتقدات، بينما تؤكد الحقيقة - حتى فى أكثر المجتمعات تجانساً - أن هناك جماعات تختلف فى بعض قيمها ومعتقداتها<sup>(1)</sup>. وقد لا يوافق بعض أعضاء المجتمع على بعض القيم والمعتقدات، ولكنهم غالباً يمثلون للقواعد الأساسية فى المجتمع حتى يمكنهم إشباع احتياجاتهم الضرورية اليومية، وفى هذا الصدد، قد تثار بعض التساؤلات مثل : ما مدى الاتفاق حول القيم فى المجتمع؟ وكيف يحدث هذا الاتفاق؟ وهل هناك من يملك القوة لخلق الاتفاق على القواعد التى تحمى مصالحه بصفة أساسية؟

ونجد أن أصحاب المنظور الوظيفي عادة ما يتجاهلون الإجابة على مثل هذه التساؤلات الهامة<sup>(2)</sup>.

---

(1) J.E. Conklin, Op.cit., PP. 16 - 17 .

(2) Horold r. Kerbo, Op.cit., PP.23 - 24 .

ونجد أن مثل هذه الانتقادات السالفة الذكر، قد دعت علماء الاجتماع المعاصرين إلى الدفاع عن المنظور الوظيفي وتطوير قضاياها وافتراضاته الأساسية في ضوء تغير الفكر الاجتماعي المعاصر . ومن أمثلة العلماء الذين حاولوا تطوير المنظور الوظيفي رايت ميلز R.Mills وجولدنر A. Gouldner، وإبراهيمسون M.A. brahamson<sup>(1)</sup>.

### ثامناً : تطبيق المنظور الوظيفي في تفسير الظواهر والنظم والمشكلات الاجتماعية :

في هذا الصدد، سنحاول التعرف على الطريقة التي يحلل بها الوظيفيون الجوانب المختلفة للمجتمع، وكيفية تفسيرهم لبعض الظواهر والنظم والمشكلات الاجتماعية، مثل : مشكلات التحضر والتدرج الاجتماعي وعدم المساواة بين النوعين (الجنسين) وتقسيم العمل داخل الأسرة، والمشكلات البيئية، والتشئة الاجتماعية، ومشكلة الجريمة .

#### ١ - التفسير الوظيفي لمشكلات التحضر :

يرى أصحاب هذا المدخل أن التحضر السريع في الدول المتقدمة قد أدى إلى تفكك الحياة الأسرية، والاقتصادية والتربوية، والسياسية، والدينية، أي أن سرعة التحضر قد أدى إلى تفكك النظم الاجتماعية التي تشكل في مجموعها البناء الاجتماعي . فعندما يترك الريفيون المناطق الريفية، ويهاجرون للإقامة في المدن، فإن القرية تصبح غير منظمة وغير قادرة على مواجهة إحتياجات السكان الذين لا يزالون يقيمون بها . وفي نفس الوقت، نجد أن المدن لم تكن على استعداد لاستقبال المهاجرين إليها ومساعدتهم على التكيف، وتشجيعهم على الانتماء للمجتمع الحضري . ونجد أن الأنماط الثقافية القديمة والتي كانت تعتبر وظيفية functional بالنسبة للمعيشة الريفية قد تم التخلي عنها نظراً لأنها تصبح غير

---

(1) J.W.V. Zanden, Op.cit., P31.

وظيفية Dysfunctional في المجتمع الحضري . ونتيجة لذلك ترتفع معدلات الجريمة، والانتحار، والطلاق، وغيرها من المشكلات التي تعتبر بمثابة مؤشرات لسوء التنظيم الاجتماعي Soial Disorganization وقبل أن يحدث توازن جديد في المجتمع الحضري نجد أن التغيرات السكانية الأخرى - مثل الانتقال إلى الضواحي Suburbs قد يؤدي إلى تفكك النسق الاجتماعي .

ويرى الوظيفيون أن دول العالم الثالث قد تعاني من مشكلات حضرية تشبه كذلك المشكلات التي تعاني منها الدول الصناعية المتقدمة، وذلك على الرغم من أن عملية التحضر تأخذ اتجاهاً مختلفاً في كل منهما . ففي المدن الغربية المتقدمة نلاحظ نمو عمليتي التصنيع والتحضر في نفس الوقت، أما في دول العالم الثالث (الدول النامية)، فقد بدأت المدن في النمو قبل الاتجاه إلى التصنيع بشكل فعال، وهذا يشير إلى أن نمو سكان المدن إلى درجة كبيرة في دول العالم الثالث لم يصاحبه زيادة في الإنتاج لتأخر عملية التصنيع، مما جعل النسق الاقتصادي عاجزاً على اشباع حاجة السكان في هذه المدن .

ولعلاج مشكلات التحضر، يرى أصحاب المدخل الوظيفي أنه يجب العمل على التخفيف من سرعة عملية التغير الاجتماعي ، وإعطاء الفرصة لسكان المناطق الحضرية، كي تتمكن من التكيف مع الظروف الجديدة، كما يجب التقليل من سرعة معدلات التحضر في الدول النامية قبل انهيار المدن نتيجة كثرة الأعباء التي تتحملها، ويمكن تحقيق هذا الهدف أما عن طريق وضع بعض القيود على عملية الهجرة إلى المدن، أو عن طريق إعداد برامج ضخمة للتنمية تؤدي إلى توفر الفرص الاقتصادية الجديدة في المناطق الريفية، ويفضل الوظيفيون الأخذ بسياسة الإدارة المركزية أكثر من اللامركزية نظراً لأنها تؤدي إلى التقليل من سرعة التغيرات الاجتماعية، وبالتالي التخفيف من حدة مشكلات التحضر<sup>(1)</sup>.

---

(1) James W.coleman & donaldR. Cressey, social Problems, New York : Harper & Row Publishers, 1987, PP.486 - 487.



## ٢ - التفسير الوظيفي للتدرج الاجتماعي :

يتضح المقصود بالتحليل الوظيفي من خلال تحليل كنجزلى ديفز K.Davis وولبرت مور W.Moore للتدرج الاجتماعي Social Stratification . إذ يرى ديفز ومود أن مفهوم التدرج الاجتماعي يشير إلى ترتيب الأفراد أو المجموعات في درجات ذات مكانات مختلفة مثل الطبقات الاجتماعية و الفئات المهنية. ونجد أن هذا التدرج الاجتماعي يعد وظيفياً functional بالنسبة للمجتمع، نظراً لأنه يعد أساساً تشغل المراكز الهامة في المجتمع عن طريق أكثر الناس كفاءة . ويرى ديفز ومود أن المزايا التي يحصلون عليها قد يؤدي إلى عدم قدرة المجتمع على المحافظة على حالته السوية، وذلك عندما يتم شغل المراكز المختلفة بأشخاص غير أكفاء، الأمر الذي يؤدي إلى اختلاف المجتمع ويصبح في حالة من اللاتوازن . ويستدل مما سبق على أن نظام التدرج الاجتماعي يعد وظيفياً بالنسبة للمجتمع باعتباره نسقاً اجتماعياً، كما يسهم هذا النظام في أداء المجتمع لوظائفه<sup>(١)</sup>.

## ٣ - التفسير الوظيفي لمشكلة عدم المساواة بين النوعين :

يتفق الوظيفيون على أن نظام تقسيم العمل حسب النوع (الجنس) يعد وظيفياً Functional، أي أنه يؤدي وظائف إيجابية، ويعمل على تدعيم البناء الاجتماعي، فقد يكون من الضروري بالنسبة للمجتمع أن يتمتع الرجل بالسيادة والسيطرة، وأن تكون المرأة في وضع تابع للرجل، إذ أن مثل هذا التقسيم إلى أدوار مهيمنة وأدوار تابعة يؤدي إلى التقليل من حدة التوتر والصراع والتوصل إلى اتخاذ أفضل القرارات<sup>(٢)</sup>.

إلا أن التغييرات الاجتماعية الناجمة عن الثورة الصناعية قد أدت إلى

---

(١) انظر :

- سمير نعيم أحمد، النظرية في علم الاجتماع : دراسة ، القاهرة : دار المعارف ١٩٨١، ص ١٩٠ .  
- John Rex, Key problems of Sociological Theory , London : Routledge and Kegan Paul, 1978, PP. 60 - 70 .

(1) H.R.Kerbo, Op.cit., PP. 426- 427.

حدوث عدم التوازن فى الأدوار التقليدية للجنسين، ونجد أن انخفاض معدلات وفيات الأطفال وانتشار الأساليب الحديثة لتنظيم الأسرة قد جعل من السهل ترك الأدوار التقليدية، فلم يعد من الضرورى أن تخصص المرأة معظم فترات حياتها فى تربية عدد قليل من الأطفال. كما أدت الآلية إلى التقليل من أهمية القوة البدنية (الفيزيكية) للرجل فى كثير من مجالات العمل .

ويرى بعض الوظيفيين أن تحقيق المساواة الكاملة بين الجنسين قد يكون غير وظيفى Dysfunctional أى لا يؤدى إلى تدعيم البناء الاجتماعى وقد أشار هؤلاء العلماء إلى أن نظام تقسيم العمل التقليدى على أساس الجنس يعد نظاماً على مستوى عال من الكفاية ويساعد المجتمع على تدريب أعضائه على الأدوار المتخصصة، لذلك لابد من التمسك بالأدوار التقليدية للجنسين حتى يمكن تحقيق الاستقرار بالنسبة للأسرة والمجتمع .

ومن جهة أخرى، يرى بعض الوظيفيين أنه يجب إعادة تعريف أدوار الجنسين بهدف العمل على مطابقتها للظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتغيرة، كما أنهم يرون تبنى دور جديد للمرأة بهدف تحقيق المساواة بين الجنسين، وتشجيع المنافسة الاقتصادية التى تؤدى إلى حسن أداء العمل، ويتطلب هذا التغيير إجراء بعض التعديلات فى النظم الاجتماعية الأساسية بحيث يتم القضاء على التمييز ضد المرأة<sup>(1)</sup>.

#### ٤ - التفسير الوظيفى لتقسيم العمل داخل الأسرة :

إن عالم الاجتماع الذى يتبنى المدخل الوظيفى كموجه لدراسة الأسرة، نجد أنه يحاول اكتشاف وظائف الأسرة بالنسبة لأعضاء الأسرة من جهة، وبالنسبة لباقي أجزاء المجتمع من جهة أخرى . ويرى الوظيفيون أن الأسرة تقوم بالوظائف التالية :

١- توفير الرفقة (العشرة) والعلاقات الحميمة، وإشباع الحاجات الشخصية.

---

(1) J.W. Coleman & D.R. Cressey, Op.cit., PP.299 - 300.

٢- إمداد المجتمع بالأعضاء الجدد .

٣- تدريب وتنشئة الأطفال .

وكهيئة أولية للإنجاب والتنشئة الاجتماعية، نجد أن الأسرة تمكن المجتمع من البقاء عبر الزمن، وبالإضافة إلى ما سبق، نجد أن التدريب المبكر منذ الطفولة التي تقوم به الأسرة يضع الأساس لنظام التعليم عن طريق إمداد المدارس بالأبناء الذين لديهم خلفية عن مهارات خاصة ومعرفة عند بداية التحاقهم بالمدرسة .

ويدرس الوظيفيون تقسيم العمل داخل الأسرة . وفى هذا الصدد، نجد أن أحد التفسيرات، التي تم نقدها باعتباره تفسيراً محافظاً ويعتمد على النوع (الجنس)، يتمثل فى أن الطبيعة الكاملة لأدوار النوعين فى الأسرة التقليدية الأمريكية - التي تتضمن رجالاً يحصلون على الدخل ونساءً يقمن بتربية الأبناء داخل المنزل - يرتبط من الناحية الوظيفية بالمحافظة على تضامن الأسرة فى البناء الطبقي<sup>(١)</sup>.

ويرى هذا المدخل أن الانسجام المجتمعى يعتمد على تقسيم العمل التقليدى، ومع ذلك، فإن هذه الطريقة ليست الطريقة الوحيدة التي قد يدرس بها الوظيفيون تقسيم العمل بين النوعين، وقد يقوم فريق آخر من الوظيفيين بتفسير ارتفاع نسبة النساء المتزوجات اللاتي يعملن خارج المنزل على اعتبار أنه يعد وظيفياً بالنسبة للمجتمع بطرق عديدة مثل أنه يؤدي إلى إمداد المجتمع بمجموعة كبيرة من العاملين اللازمين للشق الاقتصادى، والعمل على ارتفاع مستوى المعيشة نتيجة عمل الزوجين، بالإضافة إلى زيادة استقلالية المرأة العاملة، بينما قد يكون عمل المرأة المتزوجة خارج المنزل ضاراً وظيفياً أو من بين المعوقات الوظيفية نظراً لأنه يضعف إشراف الآباء على الأبناء . ونجد أن التحليل الوظيفى للأسرة قد يكشف عن كثير مما يعد وظيفياً أو من بين المعوقات الوظيفية<sup>(٢)</sup>.

---

(1) Parsons, 1954, PP 174 - 175.

(2) J.E. Conklin, op.cit., P.17 .

#### ٥ - التفسير الوظيفي للمشكلات البيئية :

ينظر أصحاب المدخل الوظيفي إلى المشكلات البيئية الحالية على اعتبار أنها بمثابة وظيفة كامنة latenol Aunction للتصنيع idustrialization، وأحد المعوقات الوظيفية التي تؤدي إلى ظهور الخلل في الوظيفة الاجتماعية للتصنيع . وعلى الرغم من أن التقدم التكنولوجي له جوانبه الإيجابية التي تساعد المجتمع على أداء وظائفه الأساسية في سهولة وكفاية، إلا أن له في نفس الوقت جوانبه السلبية التي تعوق تحقيق الوظائف السياسية للمجتمع .

وقد كانت الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي من أهم العوامل التي أدت إلى تدمير التوازن البيئي وظهور المشكلات البيئية، فقد بدأت تظهر في حتى الإنسان ظواهر جديد لم تكن معروفة ومنتشرة على نطاق واسع من قبل، فقد ظهرت بعض الأمراض التي تصيب أجهزة التنفس لدى الإنسان بسبب تلوث الهواء، وموت الأشجار، وانتحار بعض الحيوانات البحرية الضخمة مثل الدرافيل والحيتان، بالإضافة إلى انتشار مشكلات الجفاف والتصحر .

ويرى علماء الاجتماع أن عمليات التصنيع، والتوزيع، والاستهلاك التي تؤدي إلى ارتفاع مستوى المعيشة، تؤدي في نفس الوقت إلى ظهور بعض المشكلات مثل مشكلة التلوث Pollution، واستنزاف الموارد resouce depletion . ومن ثم فإن التغيرات الاقتصادية التي تساعد على ظهور المجتمع الصناعي الحديث تؤدي في نفس الوقت إلى عدم التوازن البيئي، وبالتالي ظهور المشكلات البيئية المختلفة التي تعاني منها العصر الحديث .

ويمكن علاج المشكلات البيئية بسهولة من وجهة نظر كثير من الوظيفيين، عن طريق التخفيف من حدة المعوقات الوظيفية للاقتصاد الصناعي، واستخدام الأجهزة التي يمكنها التحكم في مشكلة التلوث وعلاجها، والمحافظة على الطاقة، والموارد الخام، واستخدام التكنولوجيا الجديدة النظيفة التي لا تؤدي إلى تلوث البيئة، ومن ثم يمكن علاج الأزمة أو المشكلات البيئية عن طريق تنقية وتحسين طريقتنا الحالية في عمل الأشياء، وليس عن طريق إحداث التغيرات الأساسية في النظم الاجتماعية والاقتصادية .

إلا أن هناك بعض الوظيفيين الذين يعارضون هذه النظرة السالفة الذكر. ويرى هؤلاء الوظيفيون أن الاقتصاد الصناعى الحالى غير مستقر وينمو باستمرار بشكل واضح للمحافظة على الرفاهية الاقتصادية، لهذا فهو يستخدم الموارد الضرورية لهذا النمو. ويرى هؤلاء الوظيفيون أن الإصلاحات الصغيرة لا يمكنها حل وعلاج المشكلات البيئية الحالية . ومن ثم يجب إجراء التغيرات الأساسية نظراً لأن كثيراً من القيم الأساسية فى النظام الاجتماعى قد أصبحت تعد من بين المعوقات الوظيفية . وقد كانت الأفكار والاتجاهات حول التحكم فى الطبيعة وأهمية الزيادة المستمرة فى الثروة الشخصية تؤدى إلى مزيد من الجهد الضرورى للبقاء والاستمرار فى الحياة . أما الآن، فمثل هذه الأفكار والاتجاهات قد أصبحت تهدد الوجود البشرى نظراً لأنها تتجاهل التأثيرات البعيدة المدى لسعى البشر نحو استنزاف مصادر البيئة وثرواتها وعدم المحافظة عليها، وعلى ذلك يعد النسق الاقتصادى من بين المعوقات الوظيفية نظراً لأنه يؤدى إلى فقدان الموارد وتلوث البيئة من أجل إنتاج ما هو أكثر من الضرورى لصحة ورفاهية البشر . ويرى هؤلاء الوظيفيون أن حل وعلاج الأزمة والمشكلات البيئية يتطلب إجراء التغيرات الأساسية فى نسق القيم وإعادة تنظيم المجتمع<sup>(١)</sup>.

#### ٦ - التفسير الوظيفى لعملية التنشئة الاجتماعية :

يرى أصحاب المنظور الوظيفى أن عملية التنشئة الاجتماعية Socialization تعد أحد جوانب النسق الاجتماعى، وبناء على ذلك فإنها تتفاعل مع باقى عناصر النسق بما يساعد على المحافظة على البناء الاجتماعى ككل . وبذلك فإن عملية التنشئة الاجتماعية تقوم بالمحافظة على البناء الاجتماعى وتوازنه، لأن الفرد فى أثناء عملية التنشئة يتعرض لعمليات عدة من الضبط والامثال التى تساعده على التوافق مع المجموعة التى ينتمى إليها، لأن ذلك يؤدى إلى تحقيق التوازن الاجتماعى للمجموعة ككل<sup>(٢)</sup>.

(١) J.W. Coleman & D.R. Cressey, Op.cit., PP. 546 - 547 .

(٢) سامية الخشاب، النظرية الاجتماعية، ودراسة الأسرة القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٢، ص ١١٣-١١٤ .

## ٧- التفسير الوظيفي للجريمة :

تعد الجريمة إحدى أنماط السلوك التي يشجبها أو ينتقدها بعنف أعضاء المجتمع على اعتبار أنها تعد من بين الأضرار أو المعوقات الوظيفية . إلا أن بعض الوظيفيين ينظرون إلى الجريمة على اعتبار أنها شيء عادي نظراً لأنها توجد في جميع المجتمعات<sup>(١)</sup>. وفي الحقيقة، نجد أن بعض الوظيفيين قد ذهبوا حتى إلى الجريمة لها نتائج إيجابية بالنسبة للمجتمع، نظراً لأن العقوبة التي توجه إلى هؤلاء الذين ينحرفون عن المعايير الاجتماعية توضح حدود السلوك المقبول وتوجه أعضاء المجتمع نحو الطريقة التي يجب عليهم التصرف بها . وقد رأى دوركايم E.Durkheim أن الجريمة تعد وظيفة عندما تقوم بتوحيد الناس في اتجاه على عكس إتجاه المجرمين الذين يخرجون على القانون . ومع ذلك، فإن الإضرار الوظيفية للجريمة التي تتمثل في خلق عدم الثقة والشك قد تفوق أية نتائج إيجابية . ومن جهة أخرى، قد يرى بعض الوظيفيين أن الجريمة قد تؤكد صناعة الجريمة The crime industry التي تتمثل في وجود عدد ضخم من الهيئات والعاملين الذين تعتمد أعمالهم على وجود الجريمة في المجتمع، وفي حالة عدم وجود الجريمة، فإنه سيقول عدد أفراد الشرطة، وتختفى المحاكم والسجون، الأمر الذي يشير إلى أن الجريمة توفر فرص العمل لبعض أعضاء المجتمع، قد ينظر إليه باعتباره وظيفة للجريمة في المجتمع إلا أنه قد ينظر إليه أيضاً باعتباره ضاراً وظيفياً نظراً لأن الجريمة تؤدي إلى اختفاء الموارد النادرة اللازمة للإنتاج<sup>(٢)</sup>.

★ ★ ★

---

(1) Durkheim , 1938, PP. 64-75.

(2) J.E.Conkline, Op.cit, P.18.



## الفصل الثالث

### منظور الصراع

مقدمة

أولاً : المنظور الماركسي للصراع.

ثانياً : منظورات الصراع الحديثة

ثالثاً : رؤية منظور الصراع لطبيعة الإنسان

والواقع الاجتماعى

رابعاً : جوانب الاتفاق والاختلاف بين منظور

الصراع والمنظور الوظيفى

خامساً : تقييم منظور الصراع

سادساً : تطبيق منظور الصراع فى تفسير الظواهر

والنظم والمشكلات الاجتماعية





## الفصل الثالث

### منظور الصراع

#### مقدمة :

يعد منظور الصراع Conflict Perspective من المتطورات الأساسية في علم المنظورات الاجتماع، ولهذا المنظور تاريخ طويل في العلم الاجتماعى، كما هو الشأن بالنسبة للمنظور الوظيفى، ونجد أن كلا من المنظورين يهتم بشكل أساسى بدراسة الوحدات الكبرى، وكلاهما يهتم بشرح نفس الظواهر الاجتماعية، ولكن من وجهات نظر متعارضة .

وقد أكدت الفلسفة الاجتماعية المبكرة لدى «هنرى دى سانت سيمون» "Henri de saint - Simon" على الصراع والاستغلال كجوانب هامة في المجتمعات الصناعية التي ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وترجع الجذور الفكرية لمنظور الصراع إلى آراء وأعمال «كارل ماركس» "K.Marx" في منتصف القرن التاسع عشر التي أكدت على الصراع الملازم للمصلحة بين العمال وأصحاب رأس المال <sup>(١)</sup>.

ويمثل نظرية الصراع الحديثة آراء بعض العلماء من أمثال «رالف داهرنندروف» "R.Dahrendorf" «ولويس كوسر» "L.Coser"، «ورونالد كولنز» "R.Collins"، «ورايت ميلز» "C.Wright Mills".

وينظر نموذج الصراع إلى المجتمع على اعتبار أنه حالة مستمرة من الصراع بين الجماعات والطبقات، ويتجه نحو التوتر والتغير الاجتماعى <sup>(٢)</sup>. وعلى الرغم

(1) Harold R. Kerbo , Op.cit., P.24.

(2) Jonathan Htwner, Tht structure of sociological theory, Illinois, The Dorsey Press, 1982, PP.118 -145.

من أن المجتمع يكون فى حالة مستمرة من الصراع، إلا أن هناك فترات مؤقتة يسودها الاستقرار، وقد يكون النسق الاجتماعى فى حالة من عدم التوازن فى وقت نتيجة للتغيرات فى توزيع القوة، وتبدو عملية الصراع فى الحياة الاجتماعية نتيجة لإختلاف الأهداف . ويمكن تحقق النظام الاجتماعى العام من خلال استخدام القهر أو القوة<sup>(١)</sup>. أى أن منظور الصراع لا يتصور الأنساق الاجتماعية على أنها منتظمة حول مجموعة من القيم المتسقة، بل يتصورها على أنها أنساق تتضمن مواقف صراعية، ويتسم الموقف الصراعى - فى أغلب الأحوال - بعدم التوازن فى القوى<sup>(٢)</sup>، مما يشير إلى هذا المنظور يستخدم نموذج الصراع فى تحليل أن الانساق الاجتماعية، وله أهمية كبيرة فى دراسة الصراع والتغير الاجتماعى.

ويعرض منظور الصراع صورة للمجتمع تختلف بشكل واضح عن تلك الصور التى يعرضها المنظور الوظيفى . فبينما يؤكد الوظيفيون على ثبات المجتمع، نجد أن أصحاب منظور الصراع يصورون المجتمع على اعتبار أنه حالة دائمة من التغير، ويتسم بالصراع، يميل الوظيفيون إلى التركيز على أن النظام الاجتماعى العام يعتمد إلى حد كبير على التعاون الإدارى بين أعضاء المجتمع . بالإضافة إلى أن الوظيفيين يدافعون بشكل ضمنى عن النظام الاجتماعى القائم فى المجتمع.

وعلى عكس الوظيفيين، نجد أن المؤيدين لمنظور الصراع يميلون إلى التركيز على الصراع الاجتماعى، ورؤية التغير الاجتماعى على اعتبار أنه يؤدي إلى تحقيق الفوائد للمجتمع، كما يميلون إلى افتراض أن النظام الاجتماعى العام يتم فرضه بالقوة على الضعفاء عن طريق من يمتلكون القوة فى المجتمع، ومن ثم نجد أن أصحاب منظور الصراع يميلون إلى انتقاد النظام الاجتماعى القائم فى المجتمع.

---

(1) H. Tischler et al., I Ntroduction to Sociology, New York : Holt, Rinehort & Winston, 1983, P.29.

(٢) جون ركس ، مشكلات أساسية فى النظرية الاجتماعية ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، الإسكندرية ، منشأة المعارف، ١٩٧٣، ص ١٩٤.

ويرى أصحاب منظور الصراع أن الجماعات المختلفة داخل المجتمع لها مصالح وقيم متصارعة . ويؤدي التنافس بين هذه الجماعات إلى استمرار عملية التغير الاجتماعي، ويثير أصحاب هذا المنظور بعض التساؤلات الهامة مثل : ما هي الجماعات التي تعد أكثر قوة داخل المجتمع، وما هي الجماعات التي تعد أكثر ضعفاً؟ وكيف تستفيد الجماعات الأقوى من النظام الاجتماعي القائم؟ وكيف يتحقق الضرر للجماعات الضعيفة؟ (1)

ويتضمن منظور الصراع في الواقع عدة مداخل أو منظورات لدراسة المجتمع. إلا أن جميع هذه المداخل أو المنظورات تركز على دراسة الصراع والمنافسة على الموارد النادرة، مثل : الثروة، والقوة، والنفوذ . كما تنظر إلى المجتمع على اعتبار أنه في حالة مستمرة من التغير، وتؤكد على أهمية دراسة مصادر التغير الاجتماعي العام في جميع المجتمعات . بالإضافة إلى أن هذه المداخل المختلفة تهتم بمحاولة التعرف على أسباب اكتساب بعض الجماعات للقوة والاحتفاظ بالسيادة على الجماعات الأخرى، كما يرى أصحاب هذه المنظورات أن الجماعات تتصرف على أساس مصالحها الشخصية، وقد تلجأ أحياناً إلى القوة لتحقيق أهدافها .

#### أولاً : المنظور الماركسي للصراع :

يعد ماركس K.Marx من أهم العلماء الأوائل الذين كان لهم الفضل في ظهور منظور الصراع . فقد درس ماركس المجتمعات القديمة والمعاصرة بهدف توجيه مجرى التاريخ، وذهب إلى أن النسق الاقتصادي يعد المصدر النهائي للسلوك الاجتماعي والنظم الاجتماعية .

وقد أسهم ماركس في علم الاجتماع المعاصر، كما أسهم بصفة خاصة في نظريات الصراع الحديثة بطرق متعددة . ونجد أن استخدامه للدليل التاريخي هدف لفهم المجتمعات المعاصرة يعد في غاية الأهمية . كما أن تأكيد ماركس على

---

(1) Alex Thio, Op.cit., P.15.

الطبقة كان له تأثيره الواضح على علم الاجتماع الحديث، حيث أصبحت الطبقة الاجتماعية أحد الأبعاد الأساسية للحياة الاجتماعية التي يقوم علماء الاجتماع بدراساتها في الوقت الحاضر . إلا أن مفهوم الطبقة قد اتسع إلى أبعد من فكرة ماركس الأساسية. وقد أصبح علماء الاجتماع اليوم لا ينظرون إلى مفهوم الطبقة على اعتبار أنها مجرد وضع أو مركز في النسق الاقتصادي للإنتاج، بل اتسع هذا المفهوم ليشمل بعض العوامل مثل الدخل، والثروة المتراكمة، والنفوذ المهني، والتعليم، وأسلوب الحياة.

وقد اهتم ماركس بالتعرف على الصراع بين الجماعات التي ترتبط بعلاقات مختلفة مع وسائل الإنتاج، أى مع الموارد، والتقنية، والمصانع، وقوة العمل المستخدمة في إنتاج السلع والخدمات، وقد لاحظ ماركس أن ضبط وسائل الإنتاج يؤدي إلى اضطهاد بعض الجماعات واستغلالها لبعض الجماعات الأخرى، كما قام ماركس بتطوير نظرية تتضمن سلسلة من المراحل التي تمر بها المجتمعات المختلفة حتى تصل أخيراً إلى مرحلة اختفاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، وهي مرحلة الشيوعية<sup>(1)</sup>.

ويعتقد «ماركس» أن الرأسمالية تواجه أزمات اقتصادية متتالية لا يمكن تجنبها، وإنها ستصل يوماً لأزمتها النهائية عندما تقوم الطبقة العاملة بالثورة وتستولي على القوة من الطبقة الرأسمالية . أى أن «ماركس» يعتقد أن الصراع بين البورجوازية والبروليتاريا سوف ينتهي ولن يستمر إذ أن تراكم استغلال البورجوازية للبروليتاريا، وازدياد المنافسة في المجتمع الرأسمالي، سوف يؤدي إلى كساد اقتصادي يستجيب له العمال في البداية على نحو غير منتظم بتحطيم الآلات والاضطرابات ثم ينتظم سلوك العمال نتيجة لازدياد وعيهم السياسي، وانتمائهم للنقابات، فيطالبون بتخفيض ساعات العمل اليومي، ويشكلون الجمعيات التعاونية، ثم تحدث الثورة الحتمية الحزبية فيتحطم النظام الرأسمالي وتقيم بدلا منه نظاما اشتراكيا وفق نظرية «ماركس» عن المراحل التاريخية لتقدم المجتمعات من مرحلة

---

(1) J.E.-Conklin, Op.cit., P.19.

الجماعية البدائية Primitive Communal إلى مرحلة العبودية Slavery إلى مرحلة الإقطاع Feudalism، ثم مرحلة الرأسمالية Capitalism، فمرحلة الاشتراكية Socialism، وأخيراً مرحلة الشيوعية communism<sup>(1)</sup>. ويبدو أن الأحداث الأخيرة التي وقعت في الاتحاد السوفيتي لا تؤيد صحة ما ذهب إليه «ماركس».

وقد قام ماركس بتحليل أصول النسق الرأسمالي تحليلاً تفصيلياً، ذلك النسق الذي يظهر في أوروبا الغربية ومجتمعات أمريكا الشمالية في القرن التاسع عشر. وقد تركزت معظم تحليلاته حول الطبقة الرأسمالية، أو البورجوازية التي تملك مصادر الانتاج وتقوم باستغلال العمال أو الطبقة العاملة التي تقدم العمل اللازم لإنتاج السلع والخدمات. وقد تنبأ ماركس بأنه عندما يزداد الوعي لدى الطبقة العاملة المضطهدة فإنها سوف تتحد، وتدمر - في ثورة عنيفة - النسق الرأسمالي. كما أن هذه الطبقة العاملة سوف تتحكم في وسائل الإنتاج وتقوم بتكوين اقتصاد اشتراكي<sup>(2)</sup>.

وتتمثل تصورات «ماركس» في أن الرأسماليين (الطبقة البورجوازية) تملك الجانب الأكبر من وسائل الإنتاج Means of Production ويزيدون أرباحهم باستمرار من فائض القيمة، ويحصلون على مكاسبهم من خلال استغلال طبقة العمال (البروليتاريا)، التي تتعرض لبؤس شديد، يؤدي إلى حدوث صراع دائم وجاد بينها وبين الطبقة الرأسمالية.

ويرى «ماركس» أن الرأسمالي يملك القوة Power نتيجة لمكانته في النسق الاقتصادي، فهو يبيع ويشترى جهد العمال بأرخص الأسعار. أما العامل فليس لديه إلا عمله لكي يعرضه في سوق العمل، ويحصل في مقابله على الأجر، وبذلك يمارس صاحب العامل أنواعاً من الاستغلال، تتمثل في إطالة يوم العمل، وتقليل فترة الراحة، وإجبار العامل على العمل بأجر زهيد، بل وفصل العمال واستبدالهم بالآلات.

---

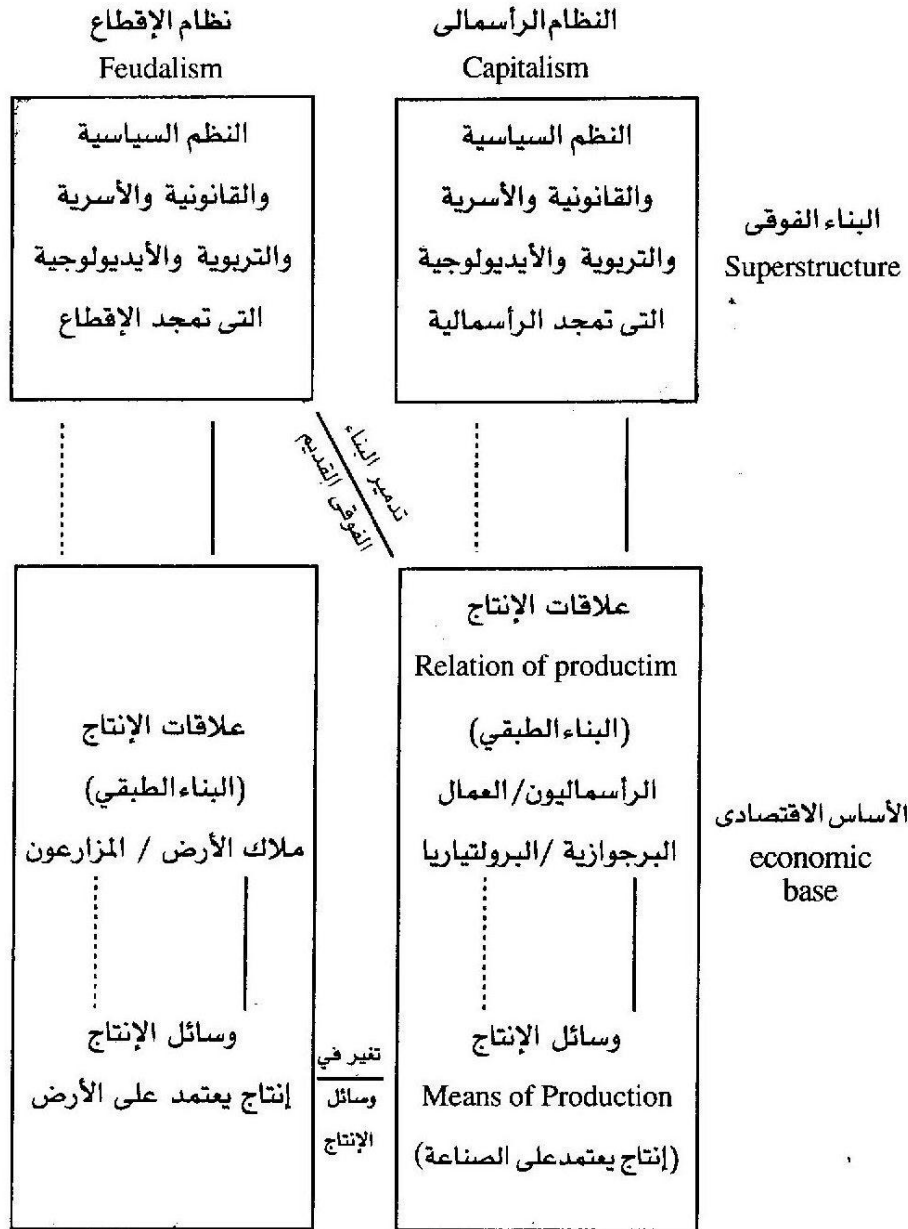
(1) J.W.V. Zanden. Op.cit., P.17.

(2) J.E. Conklin, Op.cit., P.19.

وينظر «ماركس» إلى القوى الإنتاجية وعلاقات الإنتاج (البناء الطبقي) في المجتمع على اعتبار أنها أساس الواقع الاجتماعي . كما ينظر «ماركس» إلى الأفكار السياسية، والقانون، والدين، ونظام الأسرة، والتربية، والحكومة، على اعتبار أنها تشكل البناء الفوقي للمجتمع Superstructure، ويرى «ماركس» أن الأساس الاقتصادي للمجتمع Economic Base - أى أسلوب إنتاج السلع والبناء الطبقي- يؤثر في الأشكال التي تأخذها النظم الأخرى. فعندما تقوم طبقة معينة بالتحكم في وسائل الإنتاج، فإنهم يكتسبون الفعالية الضرورية لبناء الجوانب الأخرى للحياة النظامية (البناء الفوقي) بطرق تتماشى مع اهتمامات الطبقة التي ينتمون إليها، فالعلاقات الاقتصادية في الإنتاج وتوزيع السلع المادية تحدد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة قيام الإنجازات الروحية، والسياسية، والأخلاقية والثقافية، والأيدولوجية في المجتمع، ولهذا إن كل مرحلة تاريخية أو كل نظام اجتماعي عام له بناؤه الفوقي المميز، وذلك كما يتضح من الشكل التوضيحي التالي الذي يعبر عن النموذج الماركسي للأساس الاقتصادي والبناء الفوقي للمجتمع<sup>(1)</sup>.

---

(1) J.W.V. Zanden, Op.cit., PP.16- 18 .



### النموذج الماركسي الأساسي الاقتصادي والبناء الفوقي للمجتمع

(توضح الأسهم غير المتقطعة السببية الأولية، وتوضح الأسهم المتقطعة العلاقات الثانوية)



## ثانياً : منظورات الصراع الحديثة :

كان علماء الاجتماع الأمريكيين يميلون إلى تجاهل المنظور الماركسي نظراً لأن المنظور الوظيفي كان هو المنظور السائد الذي يوجه رؤيتهم للمجتمع . وعندما ظهرت أحداث الشغب في الستينيات من القرن العشرين، اكتسب منظور الصراع شعبية لدى علماء الاجتماع الأمريكيين. وقد قام هؤلاء العلماء بتعريف الصراع بشكل أكثر اتساعاً من تعريف ماركس . فبينما اعتقد ماركس أن الصراع بين الطبقات الاقتصادية يعد القوة الأساسية في المجتمع، نجد أن أصحاب منظورات الصراع الحديثة يعرفون الصراع الاجتماعي على أنه يعنى الصراع بين أية جماعات أو أقسام في المجتمع ينقصها الشعور بالمساواة . ومن ثم فقد قام هؤلاء العلماء بدراسة الصراع بين البيض والزنوج، وبين الرجال والنساء، وبين الشباب وكبار السن، وبين جماعة دينية وأخرى، وغير ذلك من أشكال الصراع المتعددة، دون الاقتصار على مجرد دراسة الصراع الطبقي في المجال الاقتصادي على النحو الذي قام به ماركس .

وقد أصبحت منظورات الصراع الحديثة تهتم بدراسة الصراع بين مختلف الجماعات التي يمكن تحديدها عن طريق الطبقة، أو السلالة، أو الولاءات أو المعتقدات الدينية، أو النوع (الجنس)، أو محل الإقامة، أو السن، أو أسلوب الحياة، أو الجماعات الأثنية .

ويعد رالف داهرنندروف R.Dahrendorf من بين أهم أصحاب منظور الصراع الحديث، ويرى أن الصراع شيء جوهري لأي تنظيم اجتماعي، حيث يوجد تفاوت مقبول في السلطة بين الجماعات المختلفة . وهذا الصراع حول السلطة يتضمن فكرة ماركس عن الصراع الطبقي، إلا أنه يشمل أيضاً الصراع بين الجماعات لأسباب أخرى تختلف عن امتلاك وسائل الإنتاج . وعلى سبيل المثال، قد يكون هناك صراع بين من يقومون بأعمال السكرتارية وبين المديرين في الشركة، وذلك على الرغم من عدم امتلاك جماعة منهما لوسائل الإنتاج. ونجد أن منظور

---

(1) Alex Thio, Op.cit., P.15 .

داهرنديروف يمكن أن يستخدم أيضاً في تحليل الصراع داخل التنظيمات غير الاقتصادية، مثل تحليل الصراع بين الآباء والأبناء في الأسرة، أو بين المدرسين والطلاب في المدرسة<sup>(1)</sup>.

كما يعد لويس كوزر L. Coser من بين أهم أصحاب منظور الصراع الحديث. وقد تأثر كوزر بالكتابات المبكرة حول الصراع التي كتبها عالم الاجتماع الألماني جورج زيمل G. Simmel وتتضمن نظرية كوزر عناصر من كل من المنظور الوظيفي ومنظور الصراع، وذلك على النحو الذي يستدل عليه من مؤلفه بعنوان (وظائف الصراع الاجتماعي) The Functions of social conflict، حيث عالج الصراع على اعتبار أنه جانب هام من جوانب الحياة يوجد في جميع المجتمعات .

وقد قام كوزر بتعريف الصراع تعريفاً واسعاً على اعتبار أنه « الكفاح حول القيم، والمطالبة بالمكانة النادرة، والقوة، والموارد . كما أنه يتمثل في تلك الحالة التي يكون فيها هدف الجماعات المتصارعة التخفيف من حدة الضرر أو الأصابة أو التخلص من منافسيهم»<sup>(2)</sup>.

كما قام كوزر بدراسة كل من وظائف الصراع والأضرار أو المعوقات أو الخلل الوظيفي dysfunction الناجم عن الصراع . وقد ذهب إلى أن الصراع بين جماعتين يمكن أن يؤدي إلى زيادة الترابط والتماسك الداخلي لكل جماعة . وعلى سبيل المثال، نجد أن أعضاء فريق كرة السلة الذين يستعدون لإحدى المباريات الهامة قد يزداد ترابطهم وتماسكهم الداخلي استعداداً للمباراة الهامة القادمة . كما قد يؤدي الصراع والمنافسة إلى ترابط الأحزاب المتعارضة وزيادة تماسكها، وذلك عندما يؤدي الصراع إلى قيام الجماعات بالاندماج وتكوين التحالفات ضد العدو المشترك، كما قد يؤدي الصراع إلى جذب انتباه الذين يشغلون مراكز القوة، وشعورهم بحاجة المجتمع إلى الإصلاح<sup>(3)</sup>.

---

(1) J.E. Conklin, Op.cit., P.20.

(2) Lewis Coser, The Functions of social Conflict, New York : Free Press, 1956, P.8.

(3) J.E. Conklin Op.cit., P.21.

ونجد أن هناك اختلافاً واضحاً بين المنظور الماركسي وبين المنظورات الحديثة للصراع وتؤكد الاتجاهات النقدية في علم الاجتماع المعاصر على أن منظورات الصراع الحديثة تختلف كثيراً عن المنظور الماركسي للصراع، فالصراع الذي يسود المجتمعات المعاصرة يختلف عن الصورة التي تصورها ماركس للصراع بين الطبقات. وليس من الضروري أن تكون المنظورات الحديثة نموذجاً للمنظور (الماركسي)، كما ذهب إلى ذلك كل من جورج زيمل G. Simmel ولويس كوزر L. Coser و R. Collins (1).

كما نجد أن هناك بعض جوانب الاختلاف بين منظورات الصراع المختلفة، إذ أن بعض هذه المنظورات تؤكد على أنه سوف يكون هناك صراع دائم بين الكائنات الإنسانية، طالما كانت فكرة «البقاء للأقوي» تؤدي وظيفتها لدى الكائنات الحية، وذلك على النحو الذي أكدته الداروينية الاجتماعية Social Darwinism .

وتؤكد بعض منظورات الصراع على أنه سوف يكون هناك دائماً صراعات أساسية بين الجماعات المختلفة، كالصراع بين الجماهير في المجتمع وبين الطبقة الحاكمة التي تستغل دائماً هذه الجماهير، وذلك على النحو الذي ذهبت إليه نظريات الصفوة الحاكمة لكل من موسكا G. Mosca و«باريتو» V. Pareto .

كما تؤكد بعض منظورات الصراع على أن الصراع يمكن أن يكون له جوانب متعددة، نظراً لأن الناس يدخلون معاً في شبكة متداخلة من الجماعات المتصارعة، مع عدم ظهور مستويات متطرفة من الاستغلال والسيادة، وذلك على النحو الذي ذهب إليه أصحاب التعددية pluralists من أمثال جورج زيمل G. Simmel .

وفي مقابل هذه المنظورات السابقة، نجد أن المنظور الماركسي للصراع أكثر تفاؤلاً، نظراً لاعتقاده بأنه يمكن في نهاية الأمر التخلص من معظم أنواع الصراع عندما يتم التخلص من الطبقة الحاكمة الأخيرة - وهي الطبقة الرأسمالية - وتظهر مرحلة الاشتراكية، وأخيراً مرحلة الشيوعية، وفق نظرية ماركس عن المراحل التاريخية لتقدم المجتمعات.

(1) J.W.V. Zanden, Op.cit., PP. 31 - 32.

وعلى الرغم من وجود مثل هذه الاختلافات بين منظورات الصراع، إلا أن هناك بعض جوانب الاتفاق على النحو التالى :

١ - إن العنصر الجوهرى المشترك بين أصحاب منظورات الصراع، هو التركيز على طبيعة الصراع الأساسى، وبناء المجتمعات الإنسانية. إذ أن تاريخ صراع الجماعة يساعد على تكوين الأبنية والنظم الاجتماعية فى المجتمعات المعاصرة . ونجد أن هذه الأبنية والنظم الاجتماعية الموروثة هى التى تستمر فى تشكيل طبيعة الصراعات فى الوقت الحاضر .

٢- يعد الصراع بين الجماعات أكثر أهمية فى المجتمعات الإنسانية بالنسبة للصراعات الفردية . ولدراسة المجتمعات الإنسانية، يجب الاهتمام بكيفية تشكيل أعضاء المجتمعات لجماعات لها مصالح مشتركة، والتعرف على كيفية قيام هذه الجماعات بتشكيل الاندماجات أو الأحلاف، والصراع بينها وبين الجماعات الأخرى التى لديها مصالح متعارضة .

٣ - تتفق منظورات الصراع على أن المجتمع لا يعد كائناً - مثل الجسم البشرى - له احتياجاته الخاصة . إذ أن المجتمع يعد بيئة يتنافس فيها الأفراد والجماعات مع بعضهم البعض، ونجد أن احتياجات أعضاء المجتمع، والاحتياجات الجمعية لجماعات من الناس هى التى تشكل المجتمع .

٤ - على الرغم من وجود النظام الاجتماعى العام والتعاون الذى نجده بين الجماعات داخل المجتمع، إلا أن ذلك يعتمد غالباً على بعض أشكال الصراع . وعلى سبيل المثال، قد يكون هناك تعاون بين جماعتين بسبب وجود مصالح مشتركة فى الدفاع ضد جماعة أخرى . كما قد يوجد النظام الاجتماعى العام لسبب مقدرة إحدى الجماعات على فرض امتثال الآخرين من خلال استخدام القوة أو الحوافز المادية .

٥ - يعد التغير الاجتماعى أحد الملامح الأساسية للمجتمعات الإنسانية. وعلى الرغم من عدم تغير المجتمعات دائماً بنفس الدرجة، إلا أن الصراع - سواء

كان ظاهراً أم كامناً - يعد أساسياً لجميع المجتمعات الكبيرة . ويؤدي تغير مصلحة جماعة معينة إلى حدوث عملية التغير الاجتماعي .

٦ - كما تتفق منظورات الصراع من حيث التركيز على دراسة القوة Power وعدم المساواة inequality، والتعرف على الجماعات السائدة في المجتمع . إذ أن الصراع في المجتمعات الكبيرة يؤدي إلى عدم المساواة بين الجماعات الموجودة داخل المجتمع سواء في القوة، أو توزيع الموارد النادرة <sup>(١)</sup>.

### ثالثاً : رؤية منظور الصراع لطبيعة الإنسان والواقع الاجتماعي :

يتضمن منظور الصراع عدة افتراضات عن طبيعة الإنسان وقدراته وعلاقته بالواقع الاجتماعي . ويمكن التعرف على هذه الافتراضات من خلال النظرية الاجتماعية عند «ماركس» على اعتبار أنه المؤسس الأول لنظرية الصراع .

ويذهب «ماركس» إلى أن الإنسان متطور دائماً، وأن قدراته الكامنة والممكنة غير محدودة من حيث إمكانية تطويرها، ويمكن للإنسان أن يحقق أعلى صورة من الكمال في الخلق والإبداع والفكر والفعل، بالإضافة إلى أن الإنسان هو خالق ظروفه وهو نتاج لها في نفس الوقت <sup>(٢)</sup>. إلا أنه يجب التفرقة بين الحالة الراهنة للإنسان وبين ما يمكن أن يكون عليه إذا تغيرت الظروف التي يعيش فيها .

ويرى ماركس أن تطور المجتمع هو نتاج للتفاعل المستمر بين الإنسان والطبيعة من خلال العملية الانتاجية، وكل نوع من أشكال الإنتاج يستلزم بالضرورة شكلاً معيناً من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد الذين يشتركون في العملية الانتاجية، ولا يوجد أي نوع من المجتمعات لا يقوم أساساً على شكل محدد من العلاقات الانتاجية. ومن خلال العملية الانتاجية لا يغير الناس من الطبيعة فحسب بل يغيرون بعضهم بعضاً، فلكي ينتج الناس لابد أن يدخلوا في علاقات محددة مع

---

(1) Harlod R.Kerbo. Op.cit., PP. 24-26.

(2) Irving M.zcithin, Ideology and the Development of Sociological Theory, New Delhi : Prentic Hall, 1969, P.844.

بعضهم البعض، وعن طريق هذه العلاقات يمكن أن يؤدي نشاطهم إلى الإنتاج وتغير الطبيعة.

ويذهب «ماركس» إلى أنه لابد لكى يستطيع الإنسان أن ينتج، ولكى تنشأ حياة إجتماعية، من توفر ظروف طبيعية معينة، فلا بد من وجود بيئة جغرافية كشرط ضرورى لنشاط الإنسان الإنتاجى، وبدون التفاعل مع الطبيعة لا يمكن أن يكون هناك عمل ولا نشاط إنتاجى . كما أن وجود السكان شرط ضرورى آخر لحياة المجتمع، وعلى الرغم من أن وجود البيئة الجغرافية والسكان شرطان ضروريان للحياة الاجتماعية، إلا أنهما ليسا العامل الحاسم فى التطور الاجتماعى، إذ أن العمل هو أساس الحياة الاجتماعية وأن إنتاج الثروة المادية هو العامل الرئيسى المجيد للتطور الاجتماعى<sup>(١)</sup>.

وينظر أصحاب منظور الصراع إلى القوى الإنتاجية وعلاقات الإنتاج فى المجتمع على اعتبار أنها أساس الواقع الاجتماعى، ومن ثم قدموا التفسير المادى لهذا الواقع، كما أكدوا فى نفس الوقت الأساسى المادى والتاريخى لهذا الواقع الاجتماعى<sup>(٢)</sup>. فالعلاقات الاقتصادية فى الإنتاج وتوزيع السلع المادية تحدد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة قيام الإنجازات الروحية، والسياسية، والأخلاقية، والثقافية، والأيدولوجية فى المجتمع<sup>(٣)</sup>.

ويتضح مما سبق أن منظور الصراع يتضمن بعض الافتراضات عن الطبيعة الإنسانية. ونجد أن هذه الافتراضات تحاول التوفيق بين فكرة حتمية السلوك الإنسانى من جهة وبين قدرة الإنسان على إعادة تشكيل بيئته من خلال الجهود الثورية من جهة أخرى، ويسلم أصحاب هذه النظرية بأنه فى وسع الإنسان أن يغير دائماً من بيئته، وأنه يملك المقدرة على السيطرة على هذه البيئة .

---

(١) سمير نعيم أحمد ، المرجع السابق ، ص ١٥٤ - ١٥٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٢ - ٦٤ .

(٣) محمد عاطف غيث ، الموقف النظرى فى علم الاجتماع ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠ ، ص ٢٣٦ .

كما يتضمن منظور الصراع بعض الافتراضات عن طبيعة الواقع الاجتماعى، حيث يؤكد هذا المنظور أن الواقع فى حالة تغير دائم، وأن أساس الواقع يتمثل بصفة رئيسية فى القوى الإنتاجية وعلاقات الإنتاج فى المجتمع .

وتتفق وجهة نظر أصحاب منظور الصراع إلى درجة كبيرة من وجهة نظر أصحاب النظرية الاجتماعية الراديكالية، فيما يتعلق بالافتراضات الخاصة بطبيعة الإنسان ومقدرته وطبيعة الواقع الاجتماعى، إذ تؤكد النظرية الاجتماعية الراديكالية على حقيقة أن قدرات الإنسان غير محدودة، وأن بإمكانه دائماً تغيير الواقع المادى والاجتماعى الذى يعيش فيه، وكذلك تغيير نفسه بحيث يصبح أكثر إنسانية.

كما تؤكد النظرية الاجتماعية الراديكالية على حقيقة أن الواقع الاجتماعى دائم التغير وأنه لا يتسم بالسكون أو الثبات كما تدعى النظريات المحافظة والليبرالية، ومن ثم فإن مهمة النظرية الاجتماعية تقديم فهم علمى للقوانين التى تحكم هذا التغير بحيث يستطيع الإنسان أن يحدث هذا التغير وفقاً لها <sup>(1)</sup>.

#### رابعاً : جوانب الاتفاق والاختلاف بين منظور الصراع والمنظور الوظيفى:

تتمثل جوانب الاتفاق بين منظور الصراع والمنظور الوظيفى فى أن كلا منهما يهتم بتحليل الوحدات الاجتماعية الكبرى ورسم صورة كلية للمجتمع، والاهتمام بتفسير الأنماط البنائية للمجتمعات الإنسانية . ويرى داهرنديروف ولينسكى أن كلا من المنظورين يدرس مظهرين لحقيقة واحدة : إذ يهتم المنظور الوظيفى بالاستقرار والتجانس والاتفاق، بينما يهتم المنظور الصراعى بالتغير والصراع والقهر أو الإكراه، لذلك يكون من الضرورى بذل مزيد من الجهود العلمية بهدف إيجاد صيغة جديدة للتكامل بين هذين المنظورين.

وعلى الرغم من وجود بعض جوانب الاتفاق بين كل من منظور الصراع

---

(1) I. Taylor, P. Walton & J. Young, Critical Criminology, London : Routledge & Kegan Paul, 1975, PP.23 - 28 .

والمنظور الوظيفى، إلا أن هناك كثيراً من جوانب الاختلاف بين المنظورين، وذلك كما يتضح مما يلى :

١ - يرى منظور الصراع أن الصراع عامل من عوامل التغير والتقدم، بينما يرى المنظور الوظيفى أن الصراع مؤشر للتفكك والانحيار .

٢ - من حيث طبيعة المجتمع، يرى منظور الصراع أن النظام الاجتماعى العام يتميز بوجود جماعات المصلحة المتنافسة، لكل منها أهدافها الخاصة، بينما يرى الوظيفيون أن النسق الاجتماعى يتكون من أجزاء مترابطة .

٣ - يرى أصحاب منظور الصراع أن الوحدة الاجتماعية وأساس التفاعل الاجتماعى يتمثل فى الصراع، والقوة، والقهر أو الإكراه، بينما يرى أصحاب المنظور الوظيفى أن أساس التفاعل الاجتماعى والوحدات الاجتماعية تقوم على أساس الاتفاق الاجتماعى المستمد من المعتقدات والقيم المشتركة.

٤ - تتركز الدراسات التى تنطلق من منظور الصراع على دراسة التغير الاجتماعى، والمصالح التى تقسم أعضاء المجتمع بينما تهتم الدراسات التى تنطلق من المنظور الوظيفى بدراسة النظام الاجتماعى العام، والمحافظة على بقاء واستمرار النسق الاجتماعى من خلال أداء الوظائف الرئيسية.

٥ - يذهب منظور الصراع إلى أن كثيراً من التنظيمات الاجتماعية ليست ضرورية ولا تساعد على التكيف فى المجتمع الذى يسوده الصراع . بينما يذهب الوظيفيون إلى أن التنظيمات الاجتماعية ضرورية وتتلائم مع متطلبات الحياة الاجتماعية .

٦ - يجد أصحاب منظور الصراع صعوبة فى التعامل مع ظواهر الاتفاق الاجتماعى والتكامل والاستقرار، بينما يجد الوظيفيون صعوبة فى التعامل مع الأحداث التاريخية وعمليات التغير الاجتماعى<sup>(١)</sup>.

ويتضح مما سبق، أن هناك بعض جوانب الاتفاق بين كل من منظور الصراع

---

(1) J.W.V. Zonden, Op.cit., P.37.



والمنظور الوظيفى . إلا أن هناك درجة كبيرة من التناقض فى كثير من التعميمات أو القضايا النظرية التى يثيرها كل من هذين المنظورين<sup>(١)</sup>.

#### خامساً : تقييم منظور الصراع :

على الرغم من أن منظور الصراع له القدرة على التعامل مع التاريخ والتغيرات التى تحدث فى المجتمع والنظم الاجتماعية، إلا أن هذه المنظور تواجه بعض الصعوبات فى التعامل مع بعض مظاهر التكامل، والاستقرار، والاتفاق الاجتماعى الذى يسود بعض المجتمعات التقليدية<sup>(٢)</sup>.

وقد تم توجيه بعض أوجه النقد إلى منظور الصراع نظراً لعدم اهتمامه بتأكيد أهمية الصراع الاجتماعى وضعف اهتمامه بمشكلة النظام الاجتماعى العام والثبات داخل المجتمع .

كما قام أصحاب المنظور الوظيفى بنقد منظور الصراع نظراً لعدم اهتمامه بما يربط المجتمعات مع بعضها البعض، ومبالغته فى الاهتمام بالصراع والتغير الاجتماعى .

وبالإضافة إلى أوجه النقد السالفة الذكر، تعرض متطور الصراع للنقد على أساس ندرة استخدام هذا المنظور للأساليب الإحصائية وتحليل البيانات باستخدام الحاسب الآلى بهدف اختبار مدى صحة القضايا والتعميمات التى يثيرها هذا المنظور، إلا أن أصحاب منظور الصراع يرون أن التحليل المتعمق للظواهر الاجتماعية المعقدة فى الحياة الاجتماعية لا يمكن تحقيقه أحياناً عن طريق استخدام الأساليب الإحصائية<sup>(٣)</sup>.

---

(1) J.W.V. Zonden, Op.cit., P.37.

(2) Alex Thio, Op.cit., P.21.

(3) J.E. Conklin, op.cit., P.21.

## سادساً: تطبيق منظور الصراع فى تفسير الظواهر والنظم والمشكلات الاجتماعية :

سنحاول فيما يلى توضيح كيفية استخدام منظور الصراع فى تفسير بعض الظواهر والنظم والمشكلات الاجتماعية مثل مشكلات التحضر، ومشكلة عدم المساواة بين الجنسين، والأسرة، والمشكلات البيئية، والجريمة، بالإضافة إلى تفسير هذا المنظور لعملية التغير الاجتماعى .

### ١ - تفسير منظور الصراع للمشكلات الحضرية:

وفى ضوء هذا المدخل، يتم النظر إلى مشكلات التحضر على اعتبار أنها نتيجة للتنافس بين جماعات المصلحة، فمشكلات التحضر ترجع إلى صراع المصالح واختلاف القيم . ونجد أن كل جماعة من الجماعات المتصارعة تستخدم القوة Power من أجل تحقيق مصالحها الشخصية واكتساب الفوائد الاقتصادية الخاصة. وعندما ينتقل أصحاب الثروة والتأثير من المدن إلى الضواحي يحدث تحول فى مراكز القوة فى المجتمع الحضرى، حيث يتم ترك المدن للفقراء والضعفاء، ويبدأ سكان الضواحي فى السيطرة على الجوانب السياسية مع استخدام القوة لتحقيق تقدمهم، وتعمل الحكومة على تدعيم الضواحي والنهوض بها وتقديم الخدمات إليها مع تجاهل المقيمين فى قلب المدينة .

وفى دول العالم الثالث، نجد الطبقة الحاكمة فى غالبية هذه الدول تولى اهتمامها نحو تدعيم البرامج التى تساعد على توفير المال اللازم لشراء السلع الأجنبية والمحافظة على مستوى معيشة شبيه بمستوى المعيشة فى الدول الغربية فى هذه الدول يأخذ الكفاح من أجل القوة شكلاً مختلفاً، ويجب أن يقوم السكان فى كل من المناطق المتخلفة من المدينة والمناطق الريفية الفقيرة بالحركات الاجتماعية التى تطالب بالتساوى فى المعاملة، ونجد أن مثل هذه الحركات الاجتماعية لا يجب أن توجه نحو المطالبة بحل مشكلات حضرية محددة مثل

الجريمة أو أزمة السكان، بل يجب أن تهاجم التفرقة وعدم المساواة فى كافة المجالات الاجتماعية<sup>(١)</sup>.

## ٢ - تفسير منظور الصراع لمشكلة عدم المساواة بين الجنسين :

يذهب أصحاب هذا المدخل إلى أن الرجال قد استغلوا النساء، واستخدموا حجمهم وقوتهم لإجبار النساء على شغل المراكز الدنيا التابعة لهم، فالرجال شأنهم شأن أى جماعة أخرى ذات سيادة - قد خلقوا النظم التى تهدف إلى تأكيد قوتهم وسلطتهم داخل المجتمع وقد اكتسب الرجال المزايا الاقتصادية عن طريق دفع الأجور المنخفضة للنساء واستبعادهم من المراكز الاقتصادية القيادية ومراكز القوة السياسية ونجد أن مركز النساء فى كثير من المجتمعات الحالية يشبه مراكز كثير من الأقليات الإثنية، مثل مراكز الأقلية السوداء فى الولايات المتحدة .

ونلاحظ أن الموقف قد تغير فى المجتمعات الصناعية الحديثة فلم يعد العمل يتطلب القوة الجسمانية بقدر احتياجه إلى التدريب والمهارة، وأصبح فى مقدرة المرأة شغل الوظائف العليا ذات الرواتب العليا، بالإضافة إلى أن ظهور أساليب تنظيم الأسرة والأدوات المنزلية الحديثة التى تقلل من وقت عمل المرأة بالمنزل، جعلت المرأة تتمتع بفرص أكبر من الحرية فى أداء العمل دون التقيد تماماً بالأعباء المنزلية.

ويرى أصحاب نظرية الصراع، أن على النساء أن ينظمن أنفسهن وأن يستمررن فى المطالبة بالمساواة الكاملة مع الرجال، بالإضافة إلى استخدام القوة السياسية من أجل الحصول على هذه المساواة<sup>(٢)</sup>.

## ٣ - تفسير منظور الصراع للأسرة :

يركز منظور الصراع على الطريقة التى تتأثر بها الأسرة بالنسق الاقتصادي. وفى الأنساق الاقتصادية البسيطة، نجد أنه قد يكون عملياً بالنسبة للمرأة أن

---

(1) J.W.Coleman & D.R.Cressey, Op.cit., PP.487 - 488.

(2) H.R. Kerbo , Op.cit., PP. 427 - 428.

تؤدي الأعمال اليومية التي ترتبط بالمنزل، نظراً لأنها غالباً تكون حاملاً أو تتولى تربية الأبناء، ونظراً لأن الرجال في حالة أقوى من النساء، فهم يؤدون غالباً الأعمال التي تتطلب القوة الجسدية (الفيزيائية)، أما في المجتمعات الصناعية الحديثة - مثل الولايات المتحدة - فنجد أن الرجال والنساء من المحتمل أن يقوموا بأداء أعمال متشابهة ونجد أن كثيراً من النساء يقمن بمزاولة أعمال خارج المنزل، كما أن كثيراً من الرجال يقومون ببعض الأعمال المنزلية. ومع ذلك، فقد لاحظ أصحاب منظور الصراع أن السيادة لا زالت للرجال على النساء في المجتمعات الحديثة، يرون أن هناك عدم مساواة بين النوعين (الجنسين)، ليس بسبب الاختلافات البيولوجية بينهما، ولكن نظراً لأن عدم المساواة يخدم حاجات الاقتصاد الرأسمالي.

وينظر أصحاب منظور الصراع إلى الأسرة الحديثة على اعتبار أنها تخدم المصالح الاقتصادية للمجتمع وحاجات الرجال الذين يتمتعون بالسيادة في المجتمع. ونجد أن إعطاء النساء أجوراً أقل من الأجور التي يحصل عليها الرجال للأعمال المتشابهة يخدم المصلحة الاقتصادية للجماعات التي تسود الاقتصاد عن طريق إتاحة الفرصة لظهور العمال ذوي الأجر المنخفض.

#### ٤ - تفسير منظور الصراع للمشكلات البيئية :

يرى أصحاب مدخل الصراع أن استغلال البيئة قد جاء نتيجة للاستغلال الاجتماعي . إذ أن الدول الرأسمالية بوجه خاص مثل الولايات المتحدة وكندا تتبنى نظاماً اقتصادياً وسياسياً تساعد الأفراد الذين يمتلكون الثروة والقوة على استغلال غيرهم من الأفراد الفقراء والضعفاء، وقد ترتب على هذه النظم تدمير الثروة الطبيعية للشر بوجه عام لتحقيق مصالح الأقلية .

وعلى المستوى الدولي، يرى أصحاب مدخل الصراع أن الدول الصناعية الغنية تستخدم قوتها من أجل سلب الموارد الطبيعية الموجودة لدى الدول الفقيرة، ونظراً لأن هذه الموارد الطبيعية لا يمكن استبدالها أو إحلال مصادر أخرى محلها، لذلك نجد أن الدول الغنية تصبح أكثر ثروة، وتصبح الدول الفقيرة أكثر فقراً، وفي

الوقت الحاضر، نجد أن الدول النامية الفقيرة تحاول أن تسير فى طريق التصنيع، إلا أنها تواجه بنفاذ الطاقة الرخيصة التى كانت تمتلكها واستنزاف المواد الخام التى ساعدت على تطوير ونمو غيرها من الدول الغنية <sup>(1)</sup>.

ويؤكد أصحاب مدخل الصراع على أن علاج الأزمة أو المشكلات البيئية يتحقق عن طريق عدم التعامل بوحشية مع أنفسنا ومع البيئة التى نعيش فيها، وأن يتم وقف استغلال وتدمير البيئة الطبيعية، وأن يتم وضع رفاهية البشر فى المقام الأول ووضع الثروة وتحقيق الأرباح فى المقام الثانى <sup>(2)</sup>.

#### ه - تفسير منظور الصراع للجريمة :

يبدأ تفسير نظرية الصراع للجريمة بافتراض أنه لا يوجد سلوك يعد إجرامياً فى حد ذاته، ولكن بعض أنماط السلوك يتم تعريفها من الناحية الاجتماعية على اعتبار أنها سلوك إجرامى، وهذه التعريفات الاجتماعية تعكس من الناحية النموذجية المصالح الاقتصادية للجماعات التى تتولى ضبط النسق الشرعى فى المجتمع . وقد أشار أصحاب نظرية الصراع إلى أن القانون الجنائى يفرض العقوبات الشديدة على الأفعال التى يرتكبها عادة أعضاء الجماعات الفقيرة التى لا تتمتع بالمزايا الاقتصادية، بينما لا يفرقهن هذه العقوبات على الأفعال التى يرتكبها عادة أعضاء الجماعات الغنية التى تتمتع بالمزايا الاقتصادية، ونجد أن أصحاب منظور الصراع يرجعون هذه الاختلافات فى العقوبة إلى حقيقة أن الطبقة التى ينتمى إليها المدير التنفيذى مثلاً ذات تأثير كبير على التشريع وسن القوانين وتنفيذها بالمقارنة بالطبقة التى ينتمى إليها الشخص الفقير.

وينظر أصحاب منظور الصراع إلى النسق القانونى داخل إطار النسق الاقتصادى للمجتمع، فالعقوبات الجنائية لمرتكبى السرقة بالإكراه مثلاً تحمى الملكية، ويرى أصحاب هذا المنظور أن المجتمعات ذات الأنساق الاقتصادية المختلفة سوف تنظر إلى أنماط مختلفة من السلوك على اعتبار أنه سلوك إجرامى وسوف

(1) J.W. Coleman & D.R. Cressey, Op.cit., PP. 547 - 548.

(2) J.E. Conklin, Op.cit., P.22.

تقوم بوضع اشكال مختلفة من العقوبات وفى النسق الاشتراكي للاتحاد السوفيتي \* نجد أن تدمير الملكية العامة يقابل بعقوبات أكثر عنفاً بالمقارنة بالعقوبات الموجودة فى الولايات المتحدة . وفى هذا المجتمع الرأسمالى نجد أن القانون قد تم صياغته لحماية الملكية الخاصة .

#### ٦ - تفسير منظور الصراع لعملية التنشئة الاجتماعية :

يتخذ أصحاب هذا المنظور من الصراع إطاراً لفهم موضوع الأدوار السائدة التى تعكس سيطرة الرجل على المرأة، ففى كل المجتمعات ينظر إلى الرجال على أنهم يمسكون مقاليد الأمور الخاصة بتوزيع الأدوار بين النوعين، ونظراً لسيطرة الرجال على النسق الوظيفي والمنتفعين بفوائده، وإدراكهم أن السماح للمرأة بدخول هذا النسق يعنى مشاركتها للرجل فى فوائده، لذلك - طبقاً لمنظور الصراع - من مصلحة الرجل أن يعمل على الحد من مشاركة المرأة فى فرص عمل حتى يفوز بفوائد وتعود كلها عليه .

وتعد عملية التنشئة الاجتماعية من أهم الطرق التى تحقق للرجل هذا الهدف، نظراً لأن تنشئة الإناث على أدوار خاصة بهن داخل المنزل سوف يحقق ما يهدف إليه الرجل من إبعادهن عن النسق الوظيفي الذى يعتبره الرجل أنه النسق الخاص به .

ويفسر الوظيفيون موقف الأمهات فى تنشئة بناتهن على أن لهن أدواراً محددة تختلف عن أدوار الذكور، بأن هؤلاء الأمهات يعانين بما يسمى الوعى الزائف False Consciousness . ونجد أن عملية التنشئة الاجتماعية لها تأثيرها فى الوعى الاجتماعى وتحاول أن تكسب الفرد قيم ومعايير المجتمع <sup>(١)</sup>.

#### ٧ - تفسير منظور الصراع لعملية التغير الاجتماعى :

تذهب نظرية الصراع إلى أن المجتمعات تتسم غالباً بالصراع، ويعد هذا الصراع أساس التغير الاجتماعى فى هذه المجتمعات، ويعد ماركس K.Marx

---

(١) سامية الخشاب ، المرجع السابق، ص ١١٦ - ١١٧ .

مؤسس هذه النظرية، ويرى أن المجتمع الرأسمالي يتضمن طبقتين هما الطبقة البرجوازية أو الرأسمالية وطبقة البروليتاريا أو العمال، وهذه الطبقات فى صراع مستمر مع بعضها البعض. فالرأسماليون يعملون على انخفاض الأجور من أجل زيادة أرباحهم إلى الحد الأقصى، بينما يقاوم العمال هذا النوع من الاستغلال، وطبقاً لما يذكره «ماركس» نجد أن الشعور بالاغتراب والاستياء والوعى الطبقي يدفع العمال للثورة ضد المجتمع الرأسمالي . لذلك فقد تنبأ « ماركس» بسقوط الرأسمالية.

وفى ضوء نظرية الصراع، نجد أن التوترات بين الجماعات المتنافسة داخل المجتمع، والصراع الطبقي يعد المصدر الأساسى للتغير الاجتماعى، ويتم النظر إلى الأساس الاقتصادى على اعتبار أنه العامل الأساسى الوحيد الموجه لحياة المجتمع والمسئول الوحيد عن التغير الاجتماعى، وتذهب هذه النظرية إلى أن تكنولوجيا الإنتاج. والعلاقات الاجتماعية التى ترتبط بها تعد العنصر الأساسى فى المجتمع (البناء التحتي) الذى تستند إليه كل النظم الأخرى التى تكون (بناءات فوقية) <sup>(1)</sup>، ونجد أن الأساس الاقتصادى للمجتمع - أى أسلوب إنتاج السلع والبناء الطبقي - يؤثر فى الأشكال التى تأخذها النظم الأخرى، وقد صور «ماركس» الأفكار السياسية، والقانون والدين، وتنظيم الأسرة، والتربية، والحكومة، على أنها تشكل البناء الفوقى للمجتمع superstructure، يرى أن كل مرحلة تاريخية أو نظام اجتماعى عام له بنائه الفوقى المميز <sup>(2)</sup>. وقد اقتصر دور «ماركس» على وضع الخطوط العريضة لنظريته الخاصة فى التغير التاريخي، وكرس جهده لتحليل أحد الظواهر التاريخية المركبة وهى ظهور الرأسمالية الحديثة ونموها .

وتعد نظرية «ماركس» إحدى النظريات الخطية، كماتعد إحدى النظريات الحتمية Deterministic theories، وهى تلك النظريات التى ترد التغير إلى عامل واحد، أى أن « ماركس» عد من أنصار الحتمية الاقتصادية، وبالمثل يعد «مورجان»

---

(1) A. thio, Op.cit., PP.521-522.

(2) J.W.V. Zonden, Op.cit., PP.16 - 18 .

H. Morgan من أنصار الحتمية التكنولوجية، ويعد «جوبينو» A.Gobineau من أنصار الحتمية العنصرية، ويعد «بكل» Buckle من أنصار الحتمية الجغرافية<sup>(١)</sup>، كما يمكن القول بأن فيبر M. Weber يعد من أنصار الحتمية القيمية، حيث ذهب إلى أن الأخلاق والدين أو العوامل الروحية أو القيمية تعد من أهم العوامل المسببة للتغير الاجتماعي .

وتعد مثل هذه النظريات بمثابة شواهد بارزة على النظريات الاحادية التي تفسر الوجود الاجتماعي من خلال عامل واحد معين، وذلك على عكس النظريات متعددة العوامل Multi-Factor Theories التي ترد ظاهراً التغير الاجتماعي إلى عدة عوامل متفاعلة<sup>(١)</sup>.

★ ★ ★

---

(١) نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، طبيعتها وتطورها ، ترجمة محمود عمدة وآخرون ، القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧ ، ص ٨٥ - ٩٢





## الفصل الرابع

### منظور التفاعلية الرمزية

#### مقدمة

أولاً : أهمية الرموز والمعاني في التفاعلية الرمزية

ثانياً : رؤية التفاعلية الرمزية لطبيعة الإنسان

والواقع الإجتماعي

ثالثاً : إسهام بعض العلماء في تطور التفاعلية

الرمزية

رابعاً : جوانب الاتفاق والاختلاف بين التفاعلية

الرمزية وغيرها من منظورات التفاعل

الاجتماعي

خامساً : تقييم منظور التفاعلية الرمزية

سادساً : تطبيق المنظور التفاعلي في تفسير

الظواهر والنظم والمشكلات الاجتماعية



## الفصل الرابع

### منظور التفاعلية الرمزية

#### مقدمة :

تعد التفاعلية الرمزية Symbolic Interactionism إحدى المنظورات السوسيولوجية الأساسية المعاصرة. وينهض هذا المنظور على أسس فلسفية ونفسية. فقد تأثر هذا المنظور بالفلسفة البراجمائية (النفعية) Pragmatic Philosophy<sup>(١)</sup>.

وتهتم التفاعلية الرمزية بتحليل الأنساق الاجتماعية الصغرى ، فهي تدرس الأفراد في المجتمع ومفهومهم عن المواقف ، والمعاني ، والأدوار ، وأنماط التفاعل ، وغير ذلك من الوحدات الاجتماعية الصغرى . وذلك على عكس المنظورات التي تهتم بتحليل الأنساق أو الوحدات الاجتماعية الكبرى مثل المنظور الوظيفي ومنظور الصراع .

وعلى الرغم من أن العالم الألماني ماكس فيبر M. Weber قد أهتم بتحليل الوحدات والأبنية الاجتماعية الكبرى ، إلا أنه كان من بين أوائل العلماء الذين اهتموا بتحليل الأنساق أو الوحدات الاجتماعية الصغرى كما يتضح من خلال تقديمه لنظرية الفعل Action Theory . وقد أكد فيبر أن المجتمعات الإنسانية يمكنك دراستها من خلال فحص المعاني الفردية ، وفهم معاني السلوك بالنسبة للأفراد الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض ، وهي الطريقة التي أطلق عليها فيبر (الفهم) Verstehen . وقد قام فيبر بتطوير مدخل الفهم كوسيلة لدراسة الحياة

(١) محمد عاطف غيث وآخرون ، مجالات علم الاجتماع المعاصر ، أسس نظرية ودراسات واقعية ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٢ ، ص ٧١ .

الاجتماعية؛ وفي هذا المدخل ، يحاول علماء الاجتماع - بطريقة عقلية - أن يضعوا أنفسهم محل الآخرين بهدف التعرف على أفكارهم ومشاعرهم ، وقد ذهب فيبر إلى أن الناس يتصرفون طبقاً لتفسيرهم لمعاني عالمهم الاجتماعي<sup>(١)</sup> .

ومن أبرز ممثلي التفاعلية الرمزية تشارلز كولي C.H. Cooley ، وجورج هربرت ميد G. H. Mead وهربرت بلومر H. Blumer .

وسنحاول فيما يلي التعرف على الأسس التي يقوم عليها منظور التفاعلية الرمزية ، وأهمية الرموز والمعاني بالنسبة لهذا المنظور ، ومدى ورؤية هذا المنظور لطبيعة الإنسان والواقع الاجتماعي ، ومدى إسهام بعض العلماء في نمو وتطور هذا المنظور ، والفرق بين هذا المنظور وبين غيره من منظورات التفاعل الاجتماعي ، وكيف يمكن تقييم هذا المنظور ، وأخيراً تطبيق المنظور التفاعلي بوجه عام في تفسير الظواهر الاجتماعية والنظم والمشكلات الاجتماعية.

#### أولاً : أهمية الرموز والمعاني في التفاعلية الرمزية :

يدور فكر التفاعلية الرمزية حول مفهومين أساسيين هما : الرموز Sym-bols والمعاني Meanings في ضوء صورة معينة للمجتمع المتفاعل .

وتشير التفاعلية الرمزية إلى معنى الرموز على اعتبار أنها القدرة التي تمتلكها الكائنات الإنسانية للتعبير عن الأفكار باستخدام الرموز في تعاملاتهم مع بعضهم البعض . ونجد أن استخدام الرموز أمر قائم في كل من التجمعات الحشرية - مثل تجمعات النمل والنحل - والتجمعات البشرية . إلا أن التعامل بالرموز في التجمعات الحشرية يقوم على أساس التفاعل العيزي التلقائي ، وذلك على عكس التجمعات البشرية التي تستخدم الرموز للتعبير عن شيء له دلالة اجتماعية<sup>(٢)</sup> .

---

(1) J.W.V Zanden, OP.cit., P. 20 .

(2) Ibid., P.34.

وتهتم التفاعلية الرمزية بالطريقة التي يختار بها المشاركون في عملية التفاعل الاجتماعي لمعاني الرموز ، ويتفقون على هذه المعاني . ويشير مفهوم الرموز إلى الأشياء التي ترمز إلى شيء آخر ، أو يكون لها معاني أعمق من الجانب السطحي للرمز . ويتم تحديد معنى الرموز عن طريق الاتفاق بين أعضاء الجماعة . إذ يتعلم الأطفال التمييز بين كل من رجل الشرطة وسائق الأتوبيس وللاعب كرة القدم عن طريق نوعية الملابس التي يرتدونها . وقد ينظر أحد أفراد مجتمع آخر لهذه الملابس على اعتبار أنها مجرد ملابس فقط . ونجد أن هؤلاء الذين تعلموا ما ترمز إليه هذه الملابس يمكنهم تحديد العمل الذي يؤديه كل من يرتدى نوع معين من هذه الملابس ، وبالتالي يمكنهم التفاعل بسهولة مع كل منهم .

وتعد اللغة Language من أهم مجموعة الرموز اللازمة للتفاعل الاجتماعي . ونجد أن الكلمات Words ليس لها معاني حقيقية في حد ذاتها ، بدليل أننا لا نفهم المعاني التي يقصدها أحد المتحدثين بلغة غير مألوفة ، وتكتسب الكلمات المعاني التي يقول الناس أنهم يقصدونها من هذه الكلمات . وتعد عملية الاتصال Communication من خلال اللغة أحد أشكال التفاعلية الرمزية <sup>(1)</sup> .

ويعد استخدام الرموز ثورة في قدرة الإنسان على التواصل مع غيره من أفراد المجتمع ، ووسيلة لزيادة المقدرة على نقل المشاعر والميول والاتجاهات بين أعضاء المجتمع <sup>(2)</sup> .

كما يهتم منظور التفاعلية الرمزية بالمعاني Meanings التي يعطيها الناس لسلوكهم وسلوك الآخرين في المجتمع . إذ أن الكائنات البشرية فريدة من حيث إن أفعالها لها معاني تتجاوز حدود الفعل المحسوس <sup>(3)</sup> .

وينظر أنصار التفاعلية الرمزية إلى أفراد المجتمع على اعتبار أنهم مخلوقات تحاول بناء الحقيقة ومعرفة معاني الأشياء أو الموضوعات أو الأحداث التي

---

(1) John E. Conklin, Op.cit., P.22.

(2) J.W.V. Zanden , Op.cit., P.34.

(3) Henry L.tischler. et al., Op.cit., PP.29 - 30 .

يواجهها الناس فى حياتهم اليومية . فالمعانى من وجهة نظر التفاعلية الرمزية ليست أشياء موروثة وكامنة فى ذات الأشياء ، ولكنها تعبر عن إحساس أولى للشعور الإنسانى نحو الأشياء . وهذا الشعور هو الذى يعبر عن المعانى التى ترمز إليها الأشياء<sup>(١)</sup> .

ويرى التفاعليون أن الناس هم الذين يصيغون الحقائق الاجتماعية لتفسير ما يحدث فى العالم الذى يعيشون فيه . وفى هذا الصدد ، يرى الفيلسوف الاجتماعى الفريد شوكرز A. Schutz أن الناس يستمدون الحقائق من خبرة الحياة اليومية التى يعيشونها عن طريق النشاط العقلى ، وذلك على اعتبار أن هذه الحقائق تعد من صنع العقل البشرى<sup>(٢)</sup> .

#### ثانياً : رؤية التفاعلية الرمزية لطبيعة الإنسان والواقع الاجتماعى :

تشير بعض الافتراضات الرئيسية للتفاعلية الرمزية إلى أن الإنسان قادر على تحسين ذاته كما تؤكد بعض هذه الافتراضات أن الإنسان يقوم بصياغة وتشكيل الواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه من خلال عملية التفاعل الاجتماعى ، وعن طريق استخدام الرموز مثل اللغة وعن طريق عمليات التفاعل الرمضى يتم تكوين البناء الاجتماعى ، والحفاظ عليه ، أو تغييره وليس من الممكن فهم أنماط التنظيم الاجتماعى - حتى تلك التنظيمات المعقدة - بدون معرفة العمليات الرمزية بين الأفراد الذين يشكلون فى النهاية هذه الأنماط<sup>(٣)</sup> .

كما تذهب التفاعلية الرمزية إلى أن ظواهر المجتمع ليس لها وجود خارج نطاق وعى الأفراد أو مداركهم .

---

(١) سمير نعيم أحمد، المرجع السابق، ص ٦٥ .

(2) Jonalthan H. Turner, The structure of sociological Theory, Illinois : The dorsey Press, 1982, P.340.

(٣) أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨١ ، ص ٤٥٦ .

ويتضح مما سبق أن التفاعلية الرمزية تتضمن بعض القضايا الرئيسية التي تكشف عن قدرة الإنسان على تحسين ذاته وبناء شخصيته ، بالإضافة إلى قدرته على تشكيل وصياغة وتغيير الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه من خلال عملية التفاعل بين الأشخاص والجماعات داخل المجتمع الإنساني .

وترى التفاعلية الرمزية أن المجتمع نسق متفاعل ، ولا يمكن أن يوجد شيء في المجتمع خارج إطار التفاعل. أي أن المجتمع كيان متجدد باستمرار بين كل لحظة وأخرى .

ونجد أن التفاعل بين الفرد والمجتمع هو الذي يحدد هوية كل من الفرد والمجتمع في نفس الوقت ، بحيث يصبح الفرد والمجتمع كيان واحد له شخصيته المميزة .

وتلعب التشئة الاجتماعية دورا هاما ومؤثرا في ربط الفرد بالجماعة ، وربط الجماعة بالمجتمع . إذ يولد الأطفال في الأسرة ، وينتمى الطلاب إلى المؤسسات التعليمية ، ويعمل الرجال والنساء في تنظيمات مهنية مختلفة ، وينتمى الأفراد إلى جماعات وهيئات متعددة الأنشطة داخل مجتمعاتهم . ومن ثم يكون الفرد والمجتمع وجهان لعملة واحدة على النحو الذي ذهب إليه عالم الاجتماع الأمريكي «تشارلز كولي» C. Cooley<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً : إسهام بعض العلماء في تطور التفاعلية الرمزية :

يعد تشارلز كولي C. H. Cooley وجورج هيربرت ميد G. H. Mead وهربرت بلومر H. Blumer من أبرز ممثلي منظور التفاعلية الرمزية.

ويعتبر كولي وميد من بين أهم رواد التفاعلية الرمزية في الولايات المتحدة، فقد قام كل منهما بدراسة المجتمع على اعتبار أنه نتاج التفاعلات بين الناس الذين تعلموا تفسير مجموعة متنوعة من الرموز . كما قام كل منهما بدراسة العملية التي عن طريقها يقوم الناس بتطوير تصوراتهم عن أنفسهم أو المفاهيم

---

(1) J.W.V. Zanden, Op.cit., P.



الذاتية من خلال تفاعلاتهم مع بعضهم البعض. وقد ذهب كل منهما إلى أن المفهوم الذاتى للشخص يعد نتاجا للطريقة التى يتعامل بها هذا الشخص من قبل الأشخاص الآخرين، ونتيجة لكيفية تفسير هذا الشخص لمعاملة الآخرين له. ومن ثم فإن الطفل الذى يتعامل معه الآباء والمدرسين والأصدقاء على اعتبار أنه صانع للمشكلات ، فمن المحتمل أن يرى هذا الطفل نفسه على اعتبار أنه صانع للمشكلات (١).

ويعد الفيلسوف الأمريكى جورج هيربرت ميد أول من قام بتقديم منظور التفاعلية الرمزية إلى علم الاجتماع الأمريكى خلال عام ١٩٢٠ (٢). وقد لعب ميد دورا هاما فى نمو وتطوير التفاعلية الرمزية. ويرى أن مقدرة الكائنات البشرية على استخدام الرموز هى التى تميز الإنسان عن الحيوان ، وتسمح بتكوين النظم الاجتماعية ، والمجتمعات ، والثقافات (٣).

ويرى «ميد» أن الناس لا يتصرفون أو يستجيبون بشكل آلى ، بل أنهم يعطون المعانى لأفعالهم . فهم يأخذون فى الاعتبار ما يعتقده الأشخاص الآخرون، والموقف Situation الذى يجدون أنفسهم فيه. ونجد أن التوقعات expectations ورد فعل reactions الأشخاص الآخرين ، تؤثر بشدة فى كل تصرف فردى. بالإضافة إلى أن الناس يعطون الأشياء معانى وتصرفون ويستجيبون على أساس هذه المعانى . وعلى سبيل المثال ، عندما يرفع العلم ، فإن الناس سيقفون لأنهم ينظرون إلى العلم كممثل لوطنهم (٤).

كما يعد هيربرت بلومر Herbert Blumer من بين أهم ممثلى التفاعلية الرمزية المعاصرين . وينظر بلومر إلى المجتمع على اعتبار أنه نتاج للتفاعل الاجتماعى ، ويتم خلقه بطريقة متطورة ومستمرة ، أرى أن الناس يقومون باستمرار بإعادة تعريف الموقف الاجتماعى من خلال تفاعلاتهم مع بعضهم

---

(1) J.E. Conklin, Op.cit., P.23.

(2) Alex Thio, Op.cit., P.16 .

(3) J.Ross Eshleman et al., Op.cit., Op.cit. PP, 51 - 52 .

(4) Henry L.Tischler et al ., Op.cit., PP. 29 - 30.

البعض. وقد قام بلومر بتطبيق مدخل التفاعلية الرمزية في دراسة أشكال السلوك الجمعى ، مثل دراسة الحشد Crowd ويرى بلومر أن المشكلات الاجتماعية يتم الإشارة إليها غالباً على اعتبار أنها نتاج للتعريف الجمعى الذى يظهر من خلال عملية التفاعل الاجتماعى ، أكثر مما ينظر إليها على اعتبار أنها نتيجة حتمية لظروف موضوعية مثل الفقر<sup>(١)</sup>.

ويرتكز التفاعل الرمزى كما يعرفه هيربرت بلومر على ثلاث مقدمات منطقية هى :

١ - أن الكائنات الإنسانية تسلك إزاء الأشياء فى ضوء ما تتطوى عليه هذه الأشياء من معانى ظاهرة لهم .

٢ - أن هذه المعانى هى نتاج التفاعل الاجتماعى فى المجتمع الإنسانى .

٣ - إن هذه المعانى تتعدل وتتشكل من خلال عملية التأويل التى يستخدمها كل فرد فى تعامله مع الرموز التى تواجهه<sup>(٢)</sup> .

وبناء على هذه المقدمات المنطقية الثلاث يصبح التفاعل الرمزى مخططاً تحليلياً للمجتمع الإنسانى يختلف عن بقية المخططات وتتفق معظم مدارس التفاعلية الرمزية على التسليم بأن الكائنات الإنسانية إنما تصوغ الواقع الذى تعيش فيه من خلال عملية التفاعل الاجتماعى .

رابعاً : جوانب الاتفاق والاختلاف بين التفاعلية الرمزية وغيرها من منظورات التفاعل الاجتماعى :

هناك عدة منظورات تهتم بعملية التفاعل بين الأفراد، منها التفاعلية الرمزية، والمدخل أو النموذج المسرحى ، ونظرية الوصم أو العلاقة ، والمنظور

---

(1) J.E. Conklin, OP.cit., P. 23.

(2) Herber Blumer, "Symbolic Interactionism: Perspective and Method", Englewood Cliffs, New Jersey : Prentice - Hall Inc., 1969, P.2.

الاشثوميشودولوجى ، ومنظور التبادل الاجتماعى (١) . وتتفق هذه المنظورات من حيث اهتمامها بتحليل الأنساق أو الوحدات الاجتماعية الصغرى . وذلك على عكس المنظورات التى تهتم بتحليل الأنساق أو الوحدات الاجتماعية الكبرى مثل المنظور الوظيفى ومنظور الصراع .

وننظر التفاعلية الرمزية إلى السلوك على اعتبار أنه الموضوع الأساسى لعلم الاجتماع ، لذلك يهتم أصحاب هذا المنظور بدراسة التفاعل بين الأشخاص والجماعات ، مع التركيز على دراسة اتجاهات الأشخاص والمعانى التى يعطيها الناس لسلوكهم وسلوك الآخرين . أى أن هذا المنظور يهتم بدراسة الاتجاه والمعنى ، ولذلك فهو يجعل الشخصية أو الذات محور دراسته . كما يهتم بدراسة العمليات الاجتماعية ، مما جعل هذا المنظور يختلف عن كل من المنظور الوظيفى ومنظور الصراع اللذان اهتمتا بدراسة البناء الاجتماعى (٢) .

وتشير بعض الافتراضات الرئيسية للتفاعلية الرمزية إلى أن الإنسان قادر على تحسين ذاته (٣) ، وإن الإنسان يقوم بصياغة وتشكيل الواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه من خلال عملية التفاعل الاجتماعى ، وعن طريق استخدام الرموز مثل اللغة (٤) .

وتتفق منظورات التفاعل الاجتماعى من حيث إن الناس لا يستجيبوا مباشرة للأشياء المادية ، إلا أنهم يستجيبون لتفسيراتهم الخاصة حول هذه الأشياء المادية (٥) . كما أن الناس يضعوا التفسيرات باستمرار حول العالم بوجه عام ، وحول الناس

---

(١) انظر :

- Mette Spencer, Foundations of Modern Sociology, New Jersey: Prentice -Hall, Inc. Englewood cliffs, 1985, PP.28 - 83.

(2) H.R.Kerbo , Op. cit ., PP.22 - 23 .

(3) Don Martindale, OP.cit., P.339.

(٤) سمير نعيم أحمد ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(5) B. Meltzer & Other , Sympolic Interactionism, London: Routledge & Kegan Panl, 1975, P.54.

الآخرين ، وحول أنفسهم ، ثم يتصرفون طبقا لهذه التفسيرات . لذلك يعد السلوك الإنسانى سلوكا مرنا وفى تغير مستمر . إذ تتغير طريقة تصرفنا بشكل مستمر طبقا لكيفية تفسيرنا لتصرفات الآخرين ورد فعلهم نحو سلوكنا الخاص (١) .

إلا أن هناك بعض الاختلافات بين منظورات التفاعل الاجتماعى . ويمكن التعرف على بعض هذه الاختلافات من خلال توضيح المدخل أو النموذج المسرحى، ونظرية الوصم أو العلامة.

#### ١ - المدخل أو النموذج المسرحى :

عرض إرفنج جوفمان Erving Goffman للنموذج أو المدخل المسرحى The Dramaturgical Approach فى كتابه (تقديم الذات فى الحياة اليومية) . وقد اهتم جوفمان فى هذا الكتاب بالأسلوب الذى يقدم به الشخص نفسه للآخرين ونشاطه فى مواقف العمل العادية ، والأساليب التى عن طريقها يضبط الفرد الانطباعات التى يشكلها الآخرون عنه ، ونوع الأشياء التى يرغب أو لا يرغب فى عملها أثناء إنجازه عمله أمامهم (٢) .

وقد استخدم جوفمان لغة المسرح وتصوراته فى تحليله السوسيولوجى للأفراد الذين يقومون بتقديم أنفسهم إلى غيرهم من الأفراد . ويرى أن الأفراد بمثابة الممثلين على المسرح والجهود فى نفس الوقت ، ويهدفون أثناء تفاعلهم مع الآخرين إلى تقديم الصورة الأفضل عن الذات (٣).

وفى النموذج أو المدخل المسرحى ، يتم تحليل السلوك بنفس الطريقة التى يقوم بها الفرد بتحليل عرض المسرحية على الجمهور . وطبقاً لما يذهب إليه جوفمان (١٩٥٩) فإن الناس يفرضون جوانب محددة من أنفسهم على الآخرين .

---

(1) Alex Thio, Op.cit., PP.16 - 17.

(2) Erving Goffman, The Presentation of self in Everyday Life, New York : Doubleday, 1959, P.XI.

(3) Margaret M. Poloma, Contemporary Sociological Theory, New York: Macmillan Publishing Co., 1979, PP. 161- 162.

ونجد أن الطريقة التي يعرض بها الفرد نفسه تتوقف على المحاور أو المواقف الاجتماعية فلا شك أن الإنسان يتصرف في مقابلة من أجل الحصول على العمل بطريقة مختلفة عن تصرفه في الحفلات التي يحضرها مع الأصدقاء .

وقد كان اهتمام جوفمان يتركز على كيفية عرض الناس لأنفسهم بطريقة جيدة أثناء تفاعلهم مع الآخرين في المواقف المختلفة . ويرى أن الناس يقومون بالأدوار المختلفة ، ويحاولون أداء هذه الأدوار بطريقة جيدة ، مستخدمين ما يستعان به في الإخراج المسرحي مثل : اللغة ، والسلوك ، وتصميم الملابس<sup>(١)</sup>.

وقد انتقد هيربرت بلومر H. Blumer النموذج أو المدخل المسرحي على أساس أن جوفمان قد قام بالتركيز على الفعل action إلا أنه قد فشل في التعامل بشكل كاف مع عملية التفاعل interaction<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - نظرية الوصم أو العلامة Labeling Theory

تهتم نظرية الوصم بكيفية إظهار الرموز لخصائص الناس ، وكيف يطور الناس تصوراتهم الذاتية ثم يتصرفون في ضوء هذه التصرفات الذاتية .

وتعد نظرية العلامة من النظريات المفيدة في مساعدتنا على فهم كيفية تعريف الناس لأنفسهم على اعتبار أنهم منحرفين ثم يتصرفون طبقاً لهذه الهوية الذاتية المنحرفة ، كما تساعدنا هذه النظرية على فهم كيفية تقبل الناس لمراكزهم في الحياة، وتساعدنا على معرفة أسباب نجاح بعض الناس وتمكنهم من تحقيق أهدافهم، بينما يتقبل بعض الناس أنفسهم على اعتبار أنهم فاشلين<sup>(٣)</sup>.

وقد استخدمت نظرية الوصم أو العلامة في تفسير مشكلة الجريمة ، حيث ترى هذه النظرية أن الأفراد يرتكبون السلوك الإجرامي نتيجة رد فعل المجتمع نحوهم . ونجد أن أجهزة الضبط الاجتماعي مثل الشرطة والمحاكم قد تصنف

---

(1) J.E. Conklin , Op.cit., P.23 .

(2) Margret M. Poloma, Op.cit., P.162.

(3) H.R.Kerbo, Op.cit., PP.22- 23.

الأفراد بناء على قوانين وقواعد رسمية. وهذه العملية التي تقوم بها أجهزة الضبط ليست عبارة عن مجرد حصر وتسجيل لأنماط أو صور السلوك المنحرف، بل أن هذه العملية تحدد في نفس الوقت نمط السلوك الذي يمكن النظر إليه على اعتبار أنه سلوك منحرف<sup>(١)</sup>.

وفي ضوء ما سبق ، نجد أن هناك بعض علماء الاجتماع الذين يرون أن الجهد الذي تبذله أجهزة الضبط الاجتماعي يعتبر من العوامل التي قد تؤدي إلى الانحراف وذلك نظرا لأن الفعل في حد ذاته لا يعد سلوكا انحرافيا ، وإنما يوصم الفعل على أنه كذلك إذا تولت أجهزة الضبط الاجتماعي وصف وتصنيف هذا الفعل على اعتبار أنه نمط من أنماط السلوك المنحرف ، فالانحراف ليس خاصة للفعل الذي يقوم به الشخص ، وإنما هو نتيجة لرد فعل المجتمع بالنسبة لهذا الفعل، وقيام أجهزة الضبط الاجتماعي بتطبيق العقوبات على الشخص الذي يقوم به . أي أن رد فعل المجتمع ومحاولاته لضبط عملية الانحراف قد تؤدي إلى زيادة أنماط السلوك المنحرف<sup>(٢)</sup>.

وفي ضوء نظرية العلامة ، نجد أن هناك بعض الانتقادات التي وجهت إلى المؤسسات العقابية على اعتبار أن تجربة الحبس في حد ذاتها تعتبر عاملا هاما في خلق الطريقة الإجرامية في الحياة<sup>(٣)</sup>.

ومما يؤخذ على تفسير نظرية الوصم أو العلامة للسلوك المنحرف ، أن هذه النظرية تعتمد على رد فعل المجتمع أو الاستجابة المجتمعية فقط في تفسير أسباب الانحراف ، وتميل إلى رفض وجود الانحراف بعيدا عن عملية الضبط أو المقاومة الاجتماعية للانحراف .

---

(1) J.W.V. Zandon, OP. cit., P.

(2) Broon et al., Sociology: A text with Adapted Readings, New York :Harper, Row, publishers, 1981, P.187.

(٣) سامية محمد جابر ، القانون والضوابط الاجتماعية ، مدخل علم الاجتماع ، إلى فهم التوازن في المجتمع ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٢ ، ص ٤٠٢ - ٤٠٤ .

#### خامساً : تقييم منظور التفاعلية الرمزية :

هناك عدة مزايا ، لمنظور التفاعلية الرمزية ، إذ يصحح أعضاء المجتمع على اعتبار أنهم كائنات حية نشطة لديهم المقدرة على التفكير وتشكيل الحياة الاجتماعية<sup>(١)</sup> ويهتم التفاعليون اهتماما كبيرا بأفعال الناس الواقعية ، ويحاولون تحديد المعانى التى يعطيها الناس لأفعالهم وتصرفات الآخرين .

وعلى عكس المفهومات المجردة التى نجدها فى كل من المنظور الوظيفى ومنظور الصراع ، نجد أن التفاعلية الرمزية توجه اهتماما كبيرا إلى التفاصيل المحسوسة للحياة البشرية كما يمكن رؤيتها من خلال ملاحظة الأفراد<sup>(٢)</sup> .

وقد تعرضت التفاعلية الرمزية لبعض أوجه النقد على أساس اهتمامها بدراسة الأنساق أو الوحدات الاجتماعية الصغيرة، وصعوبة التعامل مع الجوانب التنظيمية الكبيرة الحجم داخل المجتمع، بالإضافة إلى صعوبة التعامل مع العلاقات بين المجتمعات<sup>(٣)</sup> .

وفى مواجهة النقد الذى تعرضت له التفاعلية الرمزية على أساس قلة اهتمامها بدراسة المجتمعات ككل ، والنظم الاجتماعية الكبرى . يرى التفاعليون أن هذه المجتمعات والنظم الاجتماعية الكبرى قد تكونت نتيجة تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض ، ولا توجد خارج هؤلاء الأفراد ، وبالتالي فإن فهم عملية التفاعل الاجتماعى يوضح طبيعة هذه الأبنية الاجتماعية الكبرى ، كما اتجه بعض أصحاب المنظور التفاعلى - من أمثال ستريكر S. Stryker وستاتهام A. Statham - نحو الاهتمام بالوحدات البنائية الكبرى فى فكرهم التفاعلى . وعلى سبيل المثال ، حاول ستريكر تفسير بعض المفهومات مثل الوضع أو المركز Position والدور Role ، والجمع بين مستوى تحليل الوحدات الصغرى ومستوى تحليل الوحدات الكبرى للجماعات والنظم الاجتماعية<sup>(٤)</sup> .

(1) J.W.V. Zanden, Op.cit., P.37.

(2) Alex Thio, Op.cit., PP. 16 - 17.

(3) J.W.V. Zanden, Op.cit., P.37.

(4) J.W.V. Zanden, Op.cit, P.36.

والواقع أن التفاعليين لم يسهموا كثيراً في دراسة المجتمعات والنظم الاجتماعية الكبرى ، بالإضافة إلى عدم إسهامهم في فهم عملية التغير الاجتماعي على النحو الذي أسهم به كل من أصحاب المنظور الوظيفي ومنظور الصراع. إلا أنه يمكن القول بأن ما قام به التفاعليون يعد مكملاً لما قام به كل من الوظيفيين وأصحاب منظور الصراع ؛ وذلك نظراً لدراساتهم الطريقة الواقعية التي يتفاعل بها أعضاء الجماعات مع بعضهم البعض<sup>(١)</sup>.

ومن الملاحظ أن التفاعلية الرمزية قد جعلت من الشخصية أو الذات محور دراستها ، وجذبت انتباه الباحثين إلى دراسة التفاصيل الصغيرة في الحياة الاجتماعية ، وبذلك تكون قد استبعدت النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي من مجال الدراسة، وصرف انتباه الباحثين عن دراسة القضايا الأساسية للمجتمع، ونقد الأوضاع القائمة . بالإضافة إلى أن التفاعلية الرمزية قد جعلت التفسير الاجتماعي ينحصر في نطاق التغير النفسي للأفراد ، وليس التغير في الوحدات أو الأنساق الاجتماعية الكبرى.

#### سادساً : تطبيق المنظور التفاعلي في تفسير الظواهر والنظم والمشكلات الاجتماعية :

بعد أن عرضنا للجوانب أو الأبعاد المختلفة لمنظور التفاعلية الرمزية، سنحاول الآن التعرف على كيفية استخدام أو تطبيق المنظور التفاعلي بوجه عام في تفسير بعض الظواهر والنظم والمشكلات الاجتماعية ، مثل : مشكلات التحضر، ومشكلة عدم المساواة بين النوعين (الجنسين) ، والأسرة ، والمشكلات البيئية، والتنشئة الاجتماعية، ومشكلة الجريمة .

#### ١ - تفسير المنظور التفاعلي لمشكلات التحضر :

يهتم أصحاب مدخل علم النفس الاجتماعي بتأثير عملية التحضر على المشاعر النفسية للأفراد أو لملايين السكان الذين يشعرون بالوحدة والضياع في

---

(1) J.E. Conklin, Op.cit., 23.



المجتمعات الحضرية المعقدة. ويركز أصحاب هذا المدخل إهتمامهم نحو دراسة المشكلات النفسية الخطيرة الشائعة بين الأفراد الذين يعيشون فى المناطق المتخلفة Slums ، مثل مشكلة المرض العقلى ، وتعاطى الخمر، وإدمان المخدرات .

وقد أشار بعض العلماء مثل «جورج زيمل» G. Simmel و«لويس ويرث» L. Wirth إلى أن حياة المدينة تؤدي إلى نتائج سلبية ينعكس أثرها على كثير من الأفراد . وقد كانت آراء «زيمل» و«ويرث» تعكس القيم التقليدية التى تفضل نوعية الحياة الريفية بالنسبة لنوعية الحياة فى المناطق الحضرية. ونجد أن مثل هذه القيم التى تعد ضد الحضرية Antiurban Values يجعل أصحاب هذا المخل يفضلون حياة البلدة والمدينة الصغيرة عن الحياة فى المدن الكبرى. ومن أجل تحسين نوعية الحياة فى المدينة الكبرى ، يقترح هؤلاء العلماء تقسيمها إلى وحدات صغيرة حتى يتمكن الأفراد من المعيشة فى مجتمعات محلية صغيرة يشعرون فيها بالانتماء أو العضوية، ويتمكنون فيها من تدعيم علاقات الجوار <sup>(١)</sup> .

## ٢ - تفسير المنظور التفاعلى لمشكلة عدم المساواة بين النوعين (الجنسين):

يرى علماء النفس الاجتماعى أن أدوار الجنسين وما يتعلق بها تعد من أهم مكونات الشخصية الإنسانية ويؤكد معظم هؤلاء العلماء أن أدوار الجنسين تنمو خلال السنوات المبكرة من مرحلة الطفولة نتيجة التفاعل مع الآباء ، وجماعات الأقران، والمدرسين، ووسائل الإعلام .

ويشير علماء النفس الاجتماعى إلى أن التمييز ضد المرأة يظهر نتيجة الاختلافات فى عملية التنشئة الاجتماعية Socialization ، وفى هذه العملية تتم تنشئة الذكور على الاستقلال والسيادة، بينما تتم تنشئة الإناث على التبعية والخضوع. ومن ثم يتعلم كل من الجنسين أن يرى المرأة على اعتبار أنها فى منزلة أدنى من منزلة الرجل.

---

(1) J.W.Coleman & D.R. Cressey, Op.cit., PP.488- 489.

ومن بين علماء النفس الاجتماعى نجد أن هناك أصحاب النظرية البيولوجية الاجتماعية Biosocial Theorists الذين يرون أن الاختلافات بين الجنسين لها أصول بيولوجية، وقد يصعب تغييرها ، وبالتالي قد يصعب اتخاذ الإجراءات الكفيلة بالقضاء على مشكلة عدم المساواة بين الجنسين أو العمل على التخفيف من حدتها .

وعلى عكس وجهة نظر أصحاب النظرية البيولوجية الاجتماعية ، نجد أن هناك كثيرا من علماء النفس الاجتماعى - مثل أصحاب نظرية التفاعل الرمضى Sympolic Interactionists يرون أن مشكلة عدم المساواة بين الجنسين لها أصول ثقافية يمكن حلها عن طريق تغيير محتوى أو مضمون عملية التنشئة الاجتماعية، والعمل على تغيير أدوار الجنسين ، وخلق أدوار حديثة تتناسب مع التقدم الاقتصادى والاجتماعى الذى تشهده المجتمعات الحديثة<sup>(1)</sup>.

### ٣ - تفسير المنظور التفاعلى للأسرة :

يمكن لمثل النظرية التفاعلية دراسة الأسرة عن طريق التعرف على كيفية ارتباط الأزواج والزوجات ، والآباء والأبناء، وكيفية ارتباطهم بالمجتمع الخارجى. ويمكن دراسة العملية التى عن طريقها يتعلم أعضاء الأسرة من آبائهم أو أصدقائهم كيفية التصرف والسلوك مع الأعضاء الآخرين فى الأسرة .

كما توجهنا نظرية التفاعل إلى كيفية تنمية أعضاء الأسرة للفهم المشترك لأفعالهم من خلال عملية الاتصال اللفظى وغير اللفظى ، وكيف تعكس عملية الاتصال الاختلافات بين أعضاء الأسرة فى الثروة ، والقوة ، والنفوذ .

ويمكن للتفاعليين ملاحظة أن الآباء يبدأون المحادثات والحديث ويقومون مقاطعة حديث غيرهم غالبا أكثر مما يفعل الأبناء . كما يمكنهم ملاحظة أن الأزواج يقومون بمثل هذه الأشياء أكثر مما يقوم بها الزوجات غالبا. ونظرا لأن البحوث قد كشفت عن أن الناس الذين يتحدثون أكثر من غيرهم، ويبدأون بكثير

---

(1) Ibid., P.301.

من المحادثات ، ويقومون بمقاطعة حديث غيرهم غالبا ، يميلون إلى التأثير أكثر من غيرهم فى عملية اتخاذ القرار الجماعى . لذلك فقد يستخلص التفاعليون أن الآباء داخل الأسرة أكثر تأثيرا من الأبناء . كما أن الأزواج أكثر تأثيرا من الزوجات .

كما قد ينظر التفاعليون إلى بعض المؤشرات الأخرى للاختلافات فى القوة داخل الأسرة . وقد يستدل على ذلك من أنماط أو كيفية الجلوس أثناء تناول وجبات الطعام ، حيث يجلس الأزواج والآباء على رأس المائدة ، الأمر الذى يرمز إلى سيادتهم على جميع الأعضاء داخل الأسرة . ومما يشير أيضا إلى سيادة الرجل داخل الأسرة قيامه - وليس زوجته - بقيادة السيارة عندما يكون جميع أعضاء الأسرة داخلها <sup>(1)</sup> .

#### ٤ - تفسير المنظور التفاعلى للمشكلات البيئية :

يرى أصحاب المنظور التفاعلى أن الأزمة أو المشكلات البيئية تنجم عن القيم والأيديولوجيات والاتجاهات التى يتم تعلمها .

ويرى علماء النفس الاجتماعى أن المشكلات البيئية يرجع إلى الاتجاه نحو الاستقلال الكمى للبيئة ، حيث يتم تقييم البيئة فى ضوء بعض المصطلحات الكمية مثل إحصائيات الانتاج ، وليس عن طريق المصطلحات التى توضح مدى إسهامها فى تحسين نوعية الحياة ، والصحة ، وسلامة العقل .

كما يرى علماء النفس الاجتماعى أن الاتجاه نحو الحضرية Urbanism يؤدى إلى تدمير النظم البيئية ecosystems ، وبالتالي ظهور المشكلات البيئية <sup>(2)</sup> .

ويتحدث العلماء الذين تعرضوا لظاهرة سوء التنظيم الاجتماعى عن بعض المظاهر المرضية (الباثولوجية) التى تصاحب الحضرية وبدء عمليات التوطن الصناعى . وفى هذا الصدد ، يذكر «برجل» E.E. Bergel بعض هذه المظاهر المرضية مثل الأمراض ، والوفاة ، والرذيلة ، والجريمة ، والفساد السياسى ، ومشكلة

---

(1) J.E. Conklin, Op.cit., P.24.

(2) J.W.Coleman & D.R. Cressey, Op.cit., P.458. .

الأحياء المزدهمة الفقيرة . ولعل من أهم السمات المرضية التي تصاحب الحضرية البطالة ، والطلاق ، والجريمة ، وجناح الأحداث (١) .

وتشير كثير من الدراسات الاجتماعية إلى تدهور البيئة الاجتماعية للمدن، فلم تسلم البيئة الحضرية من المتاعب الناجمة عن تزايد السكان وجهلهم بالنظم البيئية المعروفة، بل إن اتجاههم نحو سكنى المدن قد أدخل بنظم اجتماعية عديدة، وأدى إلى تفكك كثير من عناصرها التي كانت مترابطة من قبل .

ويعتبر تدهور البيئة سواء من الناحية الطبيعية أو الجمالية من المظاهر الواضحة في مدن العالم الحديثة، ومن الأسباب التي أدت إلى تدهور واضطراب البيئة في المدن ، تلك التأثيرات المجردة من اللمسات الإنسانية للحياة خاصة في الأحياء الفقيرة منها، وتتضح هذه الصورة الإنسانية المؤسفة في المناطق الفقيرة حيث يضعف الأمل في تحسين أحوال سكانها المعيشية .

ففي الأحياء الفقيرة - وخاصة العشوائية - يصل معدل الجريمة إلى قيمته، ولا شك أن هذا من شأنه أن يجعل بيئة المدن أقل ملاءمة لسكنى وحياة الإنسان. وهناك أكثر من دليل يؤكد أن حياة المدن عامة، والنماذج المنتشرة لأنماط معينة من بعض العادات السيئة في المدن ، إنما يؤدي إلى عدم تقارب الأفراد والأسر وضعف في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، الأمر الذي يؤدي عادة إلى نوع من التوتر النفسى.

ويمكن القول بأن المدن المزدهمة ذات الكثافة السكانية العالية ، تتسم بسوء الحالة الصحية، والتلوث البيئى .

ويرى عالم النفس «زيمباردو» Zimbardo بأن الضغوط الحضرية في المدن تؤدي إلى الانحراف ، وتعمل على تحويل سكان المدن إلى جماعات من القتل ومرتكبي السلوك المتسم بالعنف . وقد رصد «زيمباردو» في الفترة من عام ١٩٦٤

---

(١) طلعت إبراهيم لطفى ، علم الاجتماع الصناعى ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ ، ص ١٧٤ .

إلى عام ١٩٦٩ حوالى ٢٢٠ ثورة عنف فى المناطق الحضرية داخل المدن ، كما ذكر أن المخربون قاموا فى عام ١٩٦٧ بتدمير ٣٦٠,٠٠٠ جهاز تليفون (بالأجرة) فى نيويورك وحدها، وتحطيم ٧١٢ و ٢٠٢ شباك مدرسة ، وأتلفوا الكثير من أماكن وقوف السيارات .

وقد أشار «زمباردو» إلى أن الكثافة السكانية العالية للسكان فى المدن تعد من العوامل المحفزة السلوك الإجرامى . فمعدلات الجريمة فى مناطق المدن تبلغ خمس أضعاف ما هى عليه فى الريف . كما اتضح من دراسات أخرى أن معدلات جرائم العنف والسرقة ترتبط ارتباطا وثيقا بالكثافة السكانية العالية فى المدن الأمريكية<sup>(١)</sup>.

ويرى أصحاب المدخل التفاعلى أنه يمكن علاج الأزمة أو المشكلات البيئية عن طريق عدم تعلم الاتجاهات التى تؤدى إلى تدمير البيئة وإستنزاف مواردها ، ولا يجب أن يتم نقل هذه الاتجاهات عبر الأجيال المختلفة، إذ أن عدم تعلم هذه الاتجاهات الضارة يؤدى إلى إحلال اتجاهات جديدة أخرى محلها ، الأمر الذى يساعد على علاج المشكلات البيئية . ويمكن أن يتعلم الناس فى القرن العشرين ما تعلمه الناس فى المجتمعات البدائية من حيث النظر إلى الطبيعة باحترام وتبجيل ، وأن البشر جزء يعتد على غيره من الأجزاء الموجودة فى البيئة الطبيعية ؛ وأن أسلوب الحياة الذى يحاول تحقيق الإنسجام مع الطبيعة يعد أفضل من أسلوب الحياة الذى يحاول التحكم فى الطبيعة وتدمير التوازن البيئى<sup>(١)</sup> .

#### ٥ - تفسير المنظور التفاعلى لعملية التنشئة الاجتماعية :

يرى أصحاب المنظور التفاعلى أن الشخصية متغيرة باستمرار . كما أن عملية التنشئة الاجتماعية تستمر مدى الحياة كما أن العالم الخارجى بما فيه من أشخاص ومعان وأفكار لا بد من أخذه فى الاعتبار عند تفسير موجهات التنشئة

(١) محمد عبد الرحمن الشرنوبى، المرجع السابق، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

(2) J.W. Coleman & D.R. Cresscy, op.cit., PP. 548-549.

الاجتماعية أو نمو الطفل أو تطور سمات الشخصية حتى مرحلة متأخرة من الحياة<sup>(١)</sup> .

ويوضح المنظور التفاعلي كيفية تنشئة كل من الذكور والإناث على أدوار خاصة بكل منهما . إذ أن المجتمع يسوده أنماط من التفاعل تؤكد على اختلاف الأدوار تبعاً للنوع . وتعمل مؤسسات التنشئة الاجتماعية - مثل الأسرة والمدرسة وجماعة الأقران ووسائل الإعلام - على تدعيم هذا الأسلوب من التفاعل . إذ أن جميع مؤسسات التنشئة وما يسودها من تفاعل يؤكد على أن هناك أدواراً خاصة بالذكور وأخرى مختلفة خاصة بالإناث<sup>(٢)</sup> .

#### ٦ - تفسير المنظور التفاعلي لمشكلة الجريمة :

<sup>\*</sup> قد يبدأ التفاعليون بدراسة الجريمة عن طريق النظر إلى الطريقة التي تتطور بها قواعد السلوك من خلال التفاعل بين أعضاء الجماعة . وتعد الجريمة سلوك قد تم تعريفه عن طريق جمع من الناس على اعتبار أنه إما أن يؤدي إلى الضرر الواقع (مثل الاعتداء، والاغتصاب والقتل) أو يرمز إلى أنه مصدر للإزعاج لأعضاء الجماعة (مثل التسكع ، والتشرد ، وتعاطي المخدرات) .

كما يدرس التفاعليون العلاقات بين المجرمين والضحايا، وبين رجال الشرطة والمشتبه بهم . وقد كشفت دراسة عن القتل عن أن الضحايا يسهمون غالباً في قيام المجرمين بقتلهم عن طريق قيامهم ببدء استخدام القوة أو تهديد المجرم بطرق رمزية مثل الإهانات والإيماءات القذرة . وقد كشفت دراسة عن سلوك رجال الشرطة عن أنهم يعتمدون على الرموز - من سلوك وإتصال لفظي - لتحديد ما إذا كانوا سيقومون بالقبض على المشتبه بهم ، أو تحذيرهم ، أو تركهم دون تحذير.

---

(١) سناء الخولي ، الأسرة والحياة العائلية ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨٤ ، ص ٢٣٦ .  
٢٣٧ .

(٢) سامية الخشاب ، المرجع السابق، ص ١١٥ و ١١٦ .

ونجد أن بعض أنماط السلوك غير القانوني يتم تعلمه من خلال عملية التفاعل . إذ أن النشالين واللصوص الذين يقومون بالسطو على المنازل ليلاً ، يتعلمون السرقة من خلال عملية التفاعل مع اللصوص المهرة وقد كشفت دراسة عن تعاظم المارجوانا عن أهمية عملية التفاعل الاجتماعي لتعلم كيفية التدخين السليم ، وكيفية إدراك وتفسير تأثيرات المارجوانا ، وكيفية الاستمتاع بتأثيرات المخدر<sup>(١)</sup>.

★ ★ ★

---

(1) J.E. Conklin, Op.cit., P.25.

## الفصل الخامس

### المنظور الاثنوميثودولوجي

مقدمة

أولاً: الجذور الفكرية للمنظور الاثنوميثودولوجي ودولوجي  
ثانياً: المفاهيم الأساسية في المنظور الاثنوميثودولوجي  
ثالثاً: تصور المنظور الاثنوميثودولوجي للواقع الاجتماعي  
رابعاً: تصور المنظور الاثنوميثودولوجي لطبيعة الإنسان  
وقدراته

خامساً: المناهج المستخدمة في الدراسات الاثنوميثودولوجية  
سادساً: مدى الشمول في المنظور الاثنوميثودولوجي  
سابعاً: المضمون الأيدولوجي للمنظور الاثنوميثودولوجي  
ثامناً: تقييم المنظور الاثنوميثودولوجي  
خاتمة :





## الفصل الخامس

### المنظور الاثنوميثودولوجي

#### مقدمة :

ظهر مصطلح «الاثنوميثودولوجيا» في عام ١٩٦٧ حينما نشر العالم الأمريكي «هارولد جارفينكل»<sup>(١)</sup> Harold Garfinkel كتابه بعنوان «دراسات في الاثنوميثودولوجيا» Studies in Ethnomethodology. ويعتد منظور «الاثنوميثودولوجيا» من أحدث الاتجاهات المعاصرة في علم الاجتماع، ونجد أن معظم الدراسات الاجتماعية التي انطلقت من هذا المنظور الجديد قد تم اجراؤها خلال العشرين سنة الماضية .

وبالإضافة إلى حداثة هذا المنظور الجديد الذي يعد في مرحلة النمو حتى الآن ، نلاحظ أن هذا المنظور يعد منظورا غامضا وغير واضح إلى درجة كبيرة على حد تعبير «بيرنارد فيليبس» Bernard Phillips<sup>(٢)</sup> ، فقد تضمن هذا المنظور بعض المفهومات والتراكيب اللغوية التي تعتبر في غاية الصعوبة. وقد صاغ «جارفينكل» مصطلح الاثنوميثودولوجي متأثرا بالفلسفة الظاهرية (فلسفة الظواهر) Phenomenology، ومن ثم فقد نهض المنظور الاثنوميثودولوجي على أسس فلسفية وعلى مستوى من التنظير يوصف بأنه ما وراء النظرية Metatheory<sup>(٣)</sup> .

---

(١) يعتبر «هارولد جارفينكل» Harold Garfinkel مؤسسا للمنظور الاثنوميثودولوجي ، وقد ولد في عام ١٩١٧ ، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة (هارفارد) في عام ١٩٢٥ . وقد نشر مجموعة من المقالات جمعها في مجلد أصدره عام ١٩٦٧ بعنوان «دراسات في الاثنوميثودولوجي» Studies in Ethnomethodology . انظر :

- Abraham, M. Francis, Modern sociological Theory, Delhi: Oxford University Press, 1982, P.260.

(2) Philips, Bernard, Sociology: from Concepts to Practice, N.Y.: MacGraw- Hill Book Company, 1978, P.119.

(3) Skidmore, William, theoretical Thinking in Sociology, Cambridge University Press , 1979, P.236.

ويتضح مما سبق مدى أهمية دراسة المنظور الاثنوميثودولوجى لإزالة الغموض عن هذا المنظور الحديث فى علم الاجتماع. كما ترجع أهمية دراسة هذا المنظور إلى ما اتخذته من مواقف نقدية نحو الاتجاهات النظرية الأخرى فى علم الاجتماع ، وما أثاره من تساؤلات وقضايا نظرية تختلف عن تلك التى أثارها الاتجاهات النظرية الأخرى، وخاصة فيما يتعلق بتصوير هذا المنظور الجديد للواقع الاجتماعى بشكل عام ، وتصوره لطبيعة الإنسان وقدراته، بالإضافة إلى قيام أصحاب هذا المنظور بنقد مناهج وأساليب البحث المستخدمة فى الاتجاهات النظرية الأخرى، وخاصة الاتجاه الوضعى فى علم الاجتماع، وقيام ممثلى هذا المنظور بتطوير مناهج وأساليب أخرى جديدة .

ويمكن إزالة الغموض الذى يحيط بالمنظور الاثنوميثودولوجى عن طريق محاولة فهم واستيعاب هذا المنظور الحديث بكافة أبعاده واستخلاص الافتراضات أو المسلمات الأساسية التى يدور حولها هذا المنظور . وذلك بالإضافة إلى محاولة تقييم هذا المنظور وتوضيح مدى إسهامه فى تطور نظرية علم الاجتماع المعاصرة، وذلك من خلال التعرف على أهم الافتراضات الأساسية التى يتضمنها هذا المنظور، والتى تتعلق بطبيعة الواقع الاجتماعى، وطبيعة الإنسان وقدراته، ومستوى الشمول فى هذا المنظور ، ومضمونه الأيديولوجى.

وسنحاول فيما يلى الإجابة على ثمانية تساؤلات محددة على النحو التالى :

- أولاً : ما الجذور الفكرية لمنظور الاثنوميثودولوجى .
- ثانياً : ما أهم المفاهيم الأساسية فى هذا المنظور ؟
- ثالثاً : كيف يصور هذا المنظور الواقع الاجتماعى بشكل عام ؟
- رابعاً : كيف يصور طبيعة الإنسان وقدراته ؟
- خامساً : ما أهم المناهج المستخدمة فى الدراسات الاثنوميثودولوجية ؟
- سادساً : ما مستوى النظرية أو مدى الشمول فى المنظور الاثنوميثودولوجى ؟
- سابعاً : ما المضمون الأيديولوجى لهذا المنظور ؟
- ثامناً : كيف يمكن تقييم مدى إسهام هذا المنظور فى تطور نظرية علم الاجتماع المعاصرة ؟

### أولاً : الجذور الفكرية لمنظور الاثنوميثودولوجي :

ترجع الجذور الفكرية لمنظور «الاثنوميثودولوجي» إلى كل من التفاعلية الرمزية Symbolic Interactionism والفلسفة الظاهرانية (فلسفة الظواهر) Phenomenology . وعلى الرغم من تأثر هذا المنظور بأراء هاتين المدرستين من مدارس الفكر الاجتماعي، إلا أن هذا المنظور قد اتخذ له وجهة نظر مختلفة عن الواقع أو العالم الاجتماعي. مما أدى إلى ظهوره على اعتبار أنه أحد البدائل النظرية المعاصرة المطروحة في علم الاجتماع الغربي <sup>(١)</sup> .

ويذهب «ولاس» W.L. Wallace إلى أنه يمكن اعتبار المنظور الإثنوميثودولوجي على أنه بمثابة أحد الاتجاهات المعاصرة للتفاعلية الرمزية، وهي أحد الاتجاهات النظرية التي ظهرت في الولايات المتحدة ، ومن أبرز ممثليها «تشارلز كولي» C.H. Cooley و«جورج هيربرت ميد» G. H. Mead <sup>(٢)</sup> .

وقد تأثر اتجاه التفاعلية الرمزية بالفلسفة النفعية، ومن ثم تركز اهتمامه حول تحليل الواحدات الاجتماعية الصغرى، حيث جعل من الشخصية أو الذات وحدة التحليل الأساسية في الدراسات السوسيولوجية ، ونظر إلى السلوك على اعتبار أنه الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع؛ لذلك أهتم بدراسة التفاعل بين الأشخاص والجماعات داخل المجتمع ويهدف هذا الاتجاه إلى دراسة المعاني والاتجاهات، ويهتم بالتركيز على دراسة العمليات الاجتماعية أكثر من اهتمامه بدراسة البناء الاجتماعي <sup>(٣)</sup> .

وتشمل المدرسة التفاعلية الرمزية المعاصرة في علم الاجتماع على عدد كبير من المدارس الفرعية مثل مدرسة «شيكاغو» Chicago ومدرسة «أيوا» Iowa . وقد

---

(1) Turner, Jonathan H., The Structure of sociological theory, Illinois: The Dorsey Press, 1982, P.400.

(2) Wallace, Walter L.(ed.), Sociological Theory, Chicago: Aldin, 1969, P.35.

(3) Martindale, Don, Nature and Types of Sociological Theory, London : Routledge and Kegan Paul, 1967, P.339.

تختلف هذه المدارس المتنوعة حول بعض الأفكار والقضايا ، إلا أن معظم هذه المدارس تتفق على أن الإنسان يقوم بصياغة وتشكيل الواقع الذي يعيش فيه من خلال عملية التفاعل الاجتماعي وعن طريق استخدام الرموز مثل اللغة (١).

وكما تأثر المنظور الاثنوميثودولوجي بالمدرسة التفاعلية الرمزية، فقد تأثر أيضاً بالمدرسة الظاهرية أو الفينومينولوجية، تلك المدرسة التي استمدت أفكارها من آراء بعض الفلاسفة خاصة «ادموند هوسرل» Edmund Husserl و«ألفريد شوتز» Alfred Schutz ، الذين نقلوا الفكر الألماني إلى الولايات المتحدة ، والذي كان له تأثيره في كثير من العلماء مثل «بيتر برجر» Peter Berger و«هارولد جارفنكل» Harlod Garfinkel الذي يعتبر مؤسساً لمنظور الاثنوميثودولوجي.

ويرى أصحاب الاتجاه الظاهراتي أن معرفة الإنسان للعالم الفيزيقي إنما تتم عن طريق خبرته الذاتية بهذا العالم ، فهذه الخبرة الذاتية هي التي تمكن الإنسان من إدراك جواهر الأمور أو الأشياء . ومن ثم يجب تجاهل مسألة الواقع الموضوعي حتى يمكن توجيه الاهتمام للواقع كما يوجد في الشعور . فالظاهرة موضوع الدراسة هي التي تعبر عن نفسها بشكل مباشر في الشعور . أما مشكلة العوامل المحددة للنظام الاجتماعي العام أو التغير الاجتماعي، فهي تعد خارج الاهتمامات الأساسية لأصحاب مدرسة فلسفة الظواهر (٢) .

ويذهب أصحاب الاتجاه الفينومينولوجي إلى أن الوعي يعد الوسيلة الأساسية لفهم العالم . ولا يمكن أن يتحقق الفهم الذاتي لأي موضوع إلا من خلال وعينا بذلك الموضوع . إذ أن جوهر الأشياء هو ما يدركه العقل الإنساني من خلال الشعور عن طريق خبرته بالعالم . ويفترض أصحاب الاتجاه الظاهراتي أن المجتمع يوجد بقدر ما يدرك الأعضاء وجوده (٣) .

---

(1) Meltzer, B., Petras, J. & Reynolds, L., Symbolic Interactionism, London: Routledge, & Kegan Paul, 1975, P.54.

(2) Tyrberm Jonathan, H., Op.cit., PP.390-339.

(3) Haralambos, M.&Heald, R., Sociology : Themes and Perspectives, University Tutorial Press Limited, 1980, PP. 552-553.

وإذا كان المنظور الاثنوميثودولوجي قد استمد جذوره من التفاعلية الرمزية والفينومينولوجية. إلا أن هذا المنظور - كما يرى «ألفن جولدنر» A. Gouldner يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاتجاهات النقدية التي شهدتها علم الاجتماع في الستينيات من القرن العشرين<sup>(1)</sup>. وقد ظهر المنظور الاثنوميثودولوجي كأحد البدائل النظرية التي تتخذ موقفاً نقدياً من النظريات الاجتماعية التقليدية، وخاصة من الاتجاه الوضعي في علم الاجتماع وامتداداته المعاصرة، والرجوع إلى الفلسفة الظاهرية أو فلسفة الظواهر.

ومن داخل هذا الإطار المتأثر بالتفاعلية الرمزية، والفينومينولوجية والاتجاهات النقدية، صاغ عالم الاجتماع الأمريكي «هارولد جارفنكل» Harold Garfinkel مفهومه عن المنظور الاثنوميثودولوجي. واستطاع «جارفنكل» تكوين مدرسة فكرية لتبنى هذا المنظور الجديد في جامعة «كاليفورنيا» California حيث كان يزاوّل مهنة التدريس في مدينة «لوس أنجلوس» Los Angeles. ثم انتشر هذا المنظور حديثاً في باقي الولايات المتحدة، وكندا، وبريطانيا، وغير ذلك من الدول<sup>(2)</sup>. وفي الوقت الحاضر نجد أن هناك كثيراً من العلماء الذين تبنوا المنظور الاثنوميثودولوجي، ومنهم على سبيل المثال: «دون زيمرمان» Don H. Zimmerman و«لورنس ويدر» Lawrence Wieder و«هيوج ميهان» Hugh Mehan و«هوستون وود» Houston Wood<sup>(3)</sup>.

## ثانياً: المفاهيم الأساسية في المنظور الاثنوميثودولوجي :

يتكون مصطلح "Ethnomethodology" من مقطعين : يتكون المقطع الأول من الكلمة اليونانية "ethno" التي تعنى الشعب أو الناس أو القبيلة أو السلالة، أما

---

(1) Meltzer, B. et al., Op.cit P.80.

(2) Timasheff, N, Theodorson, G., Sociological Theory : Its Nature and Growth, N.Y.:random House, 1967. P.300.

(3) Zanden James W.Vander, The Social Experience, N,Y.: McGraw- Hill Publishing Company, 1990, PP. 180-181.

المقطع الآخر "Methodology" فيشير إلى المنهج أو الطريقة <sup>(١)</sup> ومن ثم يمكن ترجمة هذا المصطلح على اعتبار أنه يعنى دراسة المناهج الشعبية أو الطرق التى يستخدمها الناس فى صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية <sup>(٢)</sup> مما يشير إلى أن المنظور الأنثوميثودولوجى يهتم أساسا بتطوير مناهج للبحث ، ويدفعنا إلى البحث عن هذه المناهج المستخدمة فى الدراسات الأنثوميثودولوجية .

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد إتفاق حول الترجمة العربية لمصطلح «الأنثوميثودولوجى» <sup>(٣)</sup> . وقد يرجع ذلك إلى صعوبة ترجمة هذا المصطلح بعيداً عن السياق أو الإطار الفينومينولوجى ، وبعبارة عن المواقف والظروف التى صاغ فيها «جارفنكل» هذا المصطلح. فقد يكون لهذا المصطلح من المعانى ما يفوق المعنى الذى تشير إليه الترجمة اللغوية لهذا المصطلح . وفى هذا الصدد ، يذكر «ألفريد شوتز» A. Schutz - وهو أحد الفلاسفة الظاهراتيين - أن أعضاء المجتمع قد يقولون ويسمعون بمعدلات تفوق المعانى الفعلية للكلمات والعبارات التى يستخدمونها ، نظراً لأن هذه الكلمات والعبارات لها معانى تفوق فى دلالتها ما قد تدل عليه كلمة أو عبارة فى حديث متبادل ، لأن هذه المعانى ترتبط بمواقف التفاعل التى شارك فيها أعضاء المجتمع فى الحياة اليومية <sup>(٤)</sup> .

---

(1) Broom , Leonard, Selznick, Philip & darroch, Dorothy B., Sociology : A Textt With Adapted readings , N.Y. : Harper& Row, Publishers, 1981, P.120.

(2) Timasheff, N.& Theoderson, G, Op.cit., P.30.

(٣) ترجم سمير نعيم أحمد المصطلح الإنجليزى Ethnomethodology إلى (المنهجية الشعبية) ، وترجم سعد الدين إبراهيم هذا المصطلح إلى (المنهجية الشعبية) ، كما ترجم على عبد الرازق جلبى ، هذا المصطلح إلى (المناهج الشعبية) ، أما أحمد زايد ، فيترجم هذا المصطلح إلى (منهجية الجماعة) . انظر :

- أحمد ، سمير نعيم ، النظرية فى علم الاجتماع ، دراسة نقدية ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧ ، ص ٢٢٥ .

- على عبد الرازق جلبى ، المرجع السابق ، ص ٤٠٥ .

- زايد ، أحمد ، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١ ، و ص ٤٤١ .

(4) Skidmore, W.Op.cit., P.238.

وبالرجوع إلى المواقف والظروف التي صاغ فيها «جارفنكل» مصطلح «الاثنوميثودولوجي» نجد أن هذا المصطلح قد تم صياغته داخل إطار الفلسفة الفينومينولوجية. ومما ساعد على صياغته إطلاع «جارفنكل» على بعض الموضوعات الانثروبولوجية التي تصف القبائل في المجتمعات غير الغربية ، والتي قامت بتطوير نظريات شعبية ethnotheories توضح طرق الشعب في حل المشكلات الاجتماعية، والتي تختلف عن الطرق العلمية في حل هذه المشكلات. ومن هذه النظريات الشعبية. نجد أن هناك نظرية توضح الطرق الشعبية في حل المشكلات الصحية، ويطلق عليها مصطلح Ethnomedecine ، كما أن هناك نظرية أخرى توضح طرق الشعب في حل المشكلات المتعلقة بالنبات ، ويطلق عليها مصطلح "Ethnobotany". بالإضافة إلى أن هناك نظرية ثالثة توضح الطرائق الشعبية في حل المشكلات الكونية، ويطلق عليها مصطلح "Ethnopsysics" ومن ثم فقد صاغ «جارفنكل» مصطلح "Ethnomethodology" لمشير إلى نظرية شعبية تعنى بدراسة المناهج أو طرق الناس في التعامل مع المشكلات الاجتماعية أثناء تفاعلهم في مواقف الحياة اليومية <sup>(1)</sup>. وقد قام «جارفنكل» بتعريف مصطلح «الاثنوميثودولوجي» على أنه يعنى «استقصاء الخصائص العقلية لمجموعة التعبيرات والأفعال العلمية التي تتم أثناء الحياة اليومية، وتعبير آخر ، يشير هذا المصطلح إلى دراسة المعاني التي يعطيها الناس لكلماتهم وأنماط سلوكهم <sup>(2)</sup>. كما حدد «جارفنكل» المقصود بالاثنوميثودولوجيا بقوله: «إن الدراسات الاثنوميثودولوجية تحلل أنشطة الحياة اليومية تحليلًا يكشف عن المعنى الكامن خلف هذه الأنشطة ، وتحاول أن تسجل هذه الأنشطة وتجعلها مرئية ومنطقية وصالحة لكل الأغراض العلمية . وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الطرق التي يسلكها أعضاء المجتمع خلال حياتهم اليومية لتكوين نوع من الألفة بالأحداث والوقائع <sup>(3)</sup> .

(1) Philips, B., OP.cit., 119- 120 .

(2) Carfinkel, Harold, Stuidies in Ethnomethodology, Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1967, P.11.

(3) Meltzer, B. et al., Op.cit., 75.



وبالإضافة إلى تحديد مفهوم «الاثنوميثودولوجي» نجد أن أصحاب هذا المنظور قد قاموا بتطوير بعض المفاهيم الأساسية مثل مفهوم «الفعل المنعكس» Reflexive action ومفهوم «البيئة المرتبطة بالمعنى» The Indexicality of Meaning ويشير مفهوم «الفعل المنعكس» إلى أن كثيراً من أنماط التفاعل التي تحدث بين أعضاء المجتمع تهدف إلى المحافظة على رؤية معينة للحقيقة الاجتماعية التي قاموا بتشكيلها في مواقف محددة. ونجد أن كثيراً من أنماط التفاعل بين أعضاء المجتمع تعتبر أفعالاً منعكسة. فالكلمات والإشارات والإيماءات التي نستخدمها أثناء عملية التفاعل، تهدف إلى المحافظة على رؤية معينة للحقيقة الاجتماعية، وتستخدم في تشكيل وتفسير وإعطاء المعاني للعالم الاجتماعي .

أما مفهوم «البيئة المرتبطة بالمعنى»، فيشير إلى أن التفاعل المتبادل بين أعضاء المجتمع يتضمن معان تدركها عقولهم مباشرة، وهي معان تفوق دلالاتها ومغزاها ما قد تدل عليه إشارة أو كلمة أو عبارة في حديث متبادل بينهم. ومن ثم فإن الإشارات أو الكلمات أو العبارات التي ترسل أو تستقبل أثناء عملية التفاعل بين أعضاء المجتمع يكون لها معان ترتبط بموقف معين، أو بيئة أو ظروف معينة. ومن الصعب تفسير عملية الاتصال الرمزي بين الأعضاء المتفاعلين دون الحصول على بعض المعلومات عن هذا الموقف أو البيئة أو الظروف، مثل التعرف على السير الذاتية للجماعات المتفاعلة، وأهدافها المعلنة، وخبراتها الماضية. وعندما نذهب إلى القول بأن تعبيراً معيناً يعد تعبيراً موقفياً، فإن هذا يشير إلى أن معنى هذا التعبير يرتبط بموقف أو بيئة أو ظروف معينة .

ومن خلال مفهوم «الفعل المنعكس» و«البيئة المرتبطة بالمعنى» حاول أصحاب المنظور الاثنوميثودولوجي التعرف على كيفية قيام أعضاء المجتمع باستخدام الإشارات والكلمات والعبارات في تشكيل العالم الاجتماعي الذي يعيشون فيه. ونجد أن ممثلي هذا المنظور لم يتركز اهتمامهم حول التعرف على حقيقة اجتماعية معينة أو على محتويات هذا العالم الاجتماعي، بل حول المناهج أو الطرق التي يستخدمها أعضاء المجتمع لتشكيل رؤية معينة للحقيقة الاجتماعية.

والمحافظة عليها، أو تغييرها <sup>(١)</sup>. ومن ثم يهتم المنظور الاثنوميثودولوجى بالكشف عن الطرائق أو أساليب الناس أو الشعب فى التعبير عن أنشطتهم وتوصيلها للآخرين <sup>(٢)</sup>. والكشف عن الإجراءات التى يستخدمها أعضاء المجتمع فى تشكيل وتفسير وإعطاء المعانى لعالمهم الاجتماعى <sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً : تصور المنظور الاثنوميثودولوجى للواقع الاجتماعى :

على الرغم من أن المنظور «الإثنوميثودولوجى» يعتبر أحد الاتجاهات المعاصرة للتفاعلية الرمزية، إلا أن هذا المنظور يعتبر منظوراً مختلفاً تماماً عن غيره من النظريات الأخرى التى تشكل الاتجاه التفاعلى. إذ يهتم هذا المنظور بتحليل الطرق التى يتحدث بها أعضاء المجتمع إلى بعضهم البعض فى الحياة اليومية، بحيث يظهر هؤلاء الأعضاء على أنهم كائنات عقلانية توجه سلوكهم مناهج عقلية رشيدة. وعلى سبيل المثال، يهتم المنظور الاثنوميثودولوجى بالطرق التى يتبعها أعضاء المجتمع لإقناع بعضهم البعض بأن أحد الأفراد يكون أو لا يكون منحرفاً <sup>(٤)</sup>.

ويفترض أصحاب المنظور الاثنوميثودولوجى أن النظام الاجتماعى العام يتم المحافظة عليه عن طريق استخدام أعضاء المجتمع لعدة طرق وإجراءات منهجية تجعلهم يشعرون بالحقيقة الاجتماعية الخارجية أو النظام الاجتماعى العام. أى أن اتفاق أعضاء المجتمع على مجموعة عامة من الطرق أو الإجراءات هو الذى يشكل معنى الواقع الاجتماعى بوجه عام <sup>(٥)</sup>. لذلك لابد من دراسة الطرق والإجراءات المعقدة التى يتخذها أعضاء المجتمع بشكل شعورى أو لا شعورى من أجل تشكيل الواقع الاجتماعى.

---

(1) Turner, J.H., Op.cit., P.406.

(2) Cuff, E.C. & Payne, G.C.(eds.) Perspectives in Sociology, London: George Allen&Unwin, 1979, PP.134 - 135.

(3) Haralambos, M.&Heald, R., OP.cit., PP. 552 - 553.

(4) Douglas, Jack D. et al., Introduction to the sociology of Everyday Life, Boston : Allyn and Bacon, Inc.1980, PP.15 - 18.

(5) Turner, J.H., Op.cit., PP.407 - 408.

وكما أشار كل من «ميهان» H. Mehan و «وود» H. Wood فإن المنظور الاثنوميثودولوجي لا يعد نظرية حول حقيقة اجتماعية معينة . بل إنه يعتبر نظرية حول الإجراءات التي تكون الحقيقة. مما أدى إلى أن يحاول أصحاب هذا المنظور التعرف على المناهج أو الطرق التي يستخدمها أعضاء المجتمع في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية<sup>(1)</sup> ويرى أصحاب المنظور الاثنوميثودولوجي أن جميع أنماط التفاعل الاجتماعي متساوية في الأهمية، نظراً لأنها تمدنا بالبيانات المتعلقة بالقواعد غير المكتوبة في المجتمع، تلك القواعد التي تؤثر في السلوك الاجتماعي. ومن ثم فإن أصحاب هذا المنظور يرون أن جميع المواقف الاجتماعية متساوية في الأهمية ، وليس هناك موقف اجتماعي بسيط أو أقل من أن تشملته الدراسة الاثنوميثودولوجية<sup>(2)</sup>. ويركز هذا المنظور على دراسة الحياة اليومية، ويسعى إلى فهم المواقف الاجتماعية كما تظهر لأعضاء المجتمع الذين يشاركون في هذه المواقف<sup>(3)</sup>.

ويهدف المنظور الاثنوميثودولوجي إلى وصف كيفية قيام أعضاء المجتمع - أثناء تفاعلهم في الحياة اليومية - بصياغة المفاهيم حول المواقف المختلفة ، وكيفية قيامهم بتشكيل الحقيقة الاجتماعية . ويرى أصحاب هذا المنظور أن تشكيل الحقيقة الاجتماعية تعد عملية مستمرة من التفسير. وذلك نظراً لأن موافقة أعضاء المجتمع حول تعريف مواقف الحياة الاجتماعية المختلفة تعد عملية متغيرة (ديناميكية) وغير ثابتة. ومن ثم ، فإن أصحاب المنظور الاثنوميثودولوجي يضيفون إلى الاتجاهات النظرية الأساسية في علم الاجتماع، اهتمامهم بدراسة التغير الاجتماعي على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغيرة النطاق<sup>(4)</sup> .

---

(1) Mehan, H.H.& Wood, H., The reality of Ethnomethodology, N.Y. : Wiley, 1975, P.114.

(2) Tischler, H.,Whitten, P.& Hunter, D., Introduction to Sociology, N.Y.: Holt, Rinehart & Winston, 1983, P.30.

(3) Gouldner, Alvin, The Coming Crisis of Western Sociology, London : Heineman, 1971, PP.390- 394.

(4) Philips, B. Op.cit., PP. 119- 120.

ويشير أصحاب هذا المنظور الجديد بعض التساؤلات حول كيفية قيام أعضاء المجتمع بأداء نشاط اجتماعي معين. وللإجابة على هذه التساؤلات نجد أنهم يحاولون دراسة الأنشطة الشائعة أو مظاهر السلوك الاجتماعي التي تعد من وجهة نظر أعضاء المجتمع من الأشياء المسلم بها Taken-for granted<sup>(١)</sup> .

ويرى أصحاب هذا المنظور أنه يجب إثارة التساؤلات حول الأبنية الاجتماعية القائمة . فكثيرا من القواعد والمعايير الاجتماعية ليست معروفة بشكل واضح لأعضاء المجتمع، ومع ذلك فهي تستخدم كأشياء مسلم بها. ومن ثم لابد من إثارة بعض التساؤلات التي تكشف عن الطرق والإجراءات التي يستخدمها أعضاء المجتمع لجعل أفعالهم ، وأهدافهم ، وخبراتهم الماضية ، قابلة للتفسير والفهم من قبل الأعضاء الآخرين في المجتمع .

ويرى «جار فنكل» أن وظيفة عالم الاجتماع هي محاولة التعرف على الجوانب الخفية من الحياة الاجتماعية ، تلك الجوانب غير المرئية والتي لا نشعر بها نظرا لأنها مألوفة جدا. ومن ثم يجب الكشف عن هذه الجوانب وجعلها في متناول إدراك أعضاء المجتمع. ويمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق مخالفة القواعد أو المبادئ الخفية بطريقة مفاجئة تجعلنا ندرك الجوانب المألوفة التي تختفى وراء السلوك. إذ أن مخالفة المألوف من شأنها أن تكشف عن وجوده<sup>(٢)</sup> .

ويتضح مما سبق أن المنظور الإثنوميثودولوجي يؤكد أن الواقع الاجتماعي في حالة تغير دائم، وأنه يمكن دراسة هذا التغير على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغرى، دون الوحدات الكبرى. ونجد أن هذا المنظور يحث الأفراد على تغيير ذواتهم بدلا من تغيير النظام الاجتماعي القائم .

#### رابعاً : تصور المنظور الإثنوميثودولوجي لطبيعة الإنسان وقدراته :

من تحليل الأفكار الواردة في المنظور الإثنوميثودولوجي ، يتضح أن هذا المنظور ينظر إلى الإنسان على اعتبار أنه إيجابي ، ويتصور أفراد المجتمع على

---

(1) Zanden, J.W. Vander, Op.cit., PP. 180 - 181.

(2) Gouldner, A. op.cit., P.562.

أنهم يشكلون الواقع أو الحقيقة الاجتماعية ، دون تصورهم فى حالة خضوع مستمر للقوى الخارجية .

ويصور المنظور الإثنوميثودولوجى الإنسان على اعتبار أنه كائن عقلانى له أفكاره وتصورات الخاصة التى تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات السائدة فيها . ويرى هذا المنظور أن لأعضاء المجتمع تصوراتهم العقلانية التى يكونونها من خلال علاقات التفاعل، ومن خلال المعانى الذاتية التى يضيفها هؤلاء الأعضاء على أفعالهم ، ومن خلال نقل المعرفة للآخرين، وتشكيل معنى مظهر النظام الاجتماعى العام . ومن ثم فإن أعضاء المجتمع هم الذين يقومون بتشكيل وبناء عالمهم الاجتماعى أكثر من كونهم يتم تشكيلهم عن طريق هذا العالم الاجتماعى، نظراً لأن هذا العالم ليس له وجود فى حد ذاته بعيداً عن حسابات وتفسيرات أعضاء المجتمع<sup>(١)</sup>. أى أن المنظور الإثنوميثودولوجى يصور الإنسان على أنه صانع الواقع وليس نتاجاً له .

ويرى أصحاب المنظور الإثنوميثودولوجى أن هناك مناهج عقلية رشيدة توجه سلوك الإنسان ، وإن الإنسان يحاول إضفاء المعقولية على سلوكه أثناء عملية التفاعل مع الآخرين فى الجماعات الصغيرة .

وقد أكد «جارفنكل» أن هناك عدة مجالات تظهر فيها أنماط السلوك الرشيدة للإنسان، ففى كتابة (دراسات فى الإثنوميثودولوجى) نجده يميز بين الفرد العادى الذى أطلق عليه (المنظر العلمى) Practical theorist وبين الباحث الذى أطلق عليه (المنظر العلمى) Scientific theorist كما يحدد عدة مجالات تظهر فيها أنماط السلوك الرشيدة للفرد العادى، وهذه المجالات هى :

- ١ - عندما يقوم بعملية التصنيف والمقارنة بين الناس والأشياء .
- ٢ - عندما يزن الأمور أو يقوم بتقدير الأخطاء المحتملة .
- ٣ - عندما يبحث عن الوسائل التى تحقق أهدافه .
- ٤ - عندما يحلل البدائل والنتائج .

---

(1) Haralambos, M. & Heald, R. Op.cit., P.558.

- ٥ - عندما يستخدم استراتيجية معينة فى مواجهة أمر من الأمور .
- ٦ - عندما يهتم بالتوقيت أو تقدير قيمة الوقت .
- ٧ - عندما يتنبأ بالأحداث التى قد تقع فى المستقبل .
- ٨ - عندما يستخدم قواعد إجراء معين .
- ٩ - عندما يشرع فى الاختيار .
- ١٠ - عندما يستعمل معايير مقررّة عند شروعه فى الاختيار .

أما أنماط السلوك العقلانية للباحث (المنظر العلمى) ، فهى تبدو فى أربعة مجالات فقط هى :

- ١ - عندما يطابق بين الأهداف ووسائل تحقيقها من خلال المعايير المقررة .
- ٢ - عندما يهدف إلى الوضوح والتمييز بين الأشياء حتى يتجنب الوقوع فى الخطأ .
- ٣ - عندما يهدف إلى الوضوح والتمييز بين الأشياء كهدف فى حد ذاته .
- ٤ - عندما يحاول التوفيق بين تحديده لموقف معين وبين المعرفة العلمية <sup>(١)</sup> .

ويستدل مما سبق على أن المنظور الاثنوميثودولوجى يسلم بأن الإنسان يمكنه تغيير ذاته، كما أنه يسهم فى تشكيل العالم الخارجى أكثر مما يسهم هذا العالم فى تشكيله ، بالإضافة إلى أن الإنسان كائن عقلانى يوجه سلوكه مناهج عقلية رشيدة.

#### خامساً : المناهج المستخدمة فى الدراسات الإثنوميثودولوجية :

تبين مما سبق أن مصطلح «الاثنوميثودولوجى» يشير إلى المناهج الشعبية أو الطرق التى تستخدمها الجماعة فى صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية فى حياتهم اليومية، لذلك يرى الباحث ضرورة توضيح المناهج المستخدمة فى الدراسات الاثنوميثودولوجية ، وفى هذا الصدد نجد أن «جارفنكل» وزملاءه من الباحثين قد قاموا بإجراء بعض الدراسات الامبيريقية التى تكشف عن المناهج

(1) Garfinkel, H., Op.cit., PP. 96 - 103.

المختلفة التي يمكن أن يستعين بها الباحث الإثنوميثودولوجي لكي ينفذ إلى مواقف الحياة اليومية ويتعرف على أفكار وقواعد سلوك المبحوث. وعلى الرغم من تعدد الدراسات الإثنوميثودولوجية، فإنه يمكن تصنيف هذه الدراسات إلى ثلاثة نماذج. يتمثل النموذج الأول في تلك الدراسات التي تهدف إلى اكتساب المعرفة الاجتماعية والثقافية. ويبدو النموذج الثاني في الدراسات التي تحاول التعرف على القواعد العامة التي يقوم الناس بصياغتها بهدف فهم أنماط السلوك وتفسير كيفية نشأة النظام الاجتماعي العام ومظاهره. أما النموذج الثالث من الدراسات الإثنوميثودولوجية، فيتمثل في تلك الدراسات الهامة التي تحاول التعرف على الطرق التي يتبعها الناس للحكم على أنشطة أقرانهم بأنها مقبولة ومفهومة<sup>(١)</sup>.

وقد انتقد أصحاب المنظور الإثنوميثودولوجي طرق وأدوات البحث المستخدمة حالياً في علم الاجتماع، مثل المسح الاجتماعي والمقابلات<sup>(٢)</sup> كما رفضوا استخدام صحيفة الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات الكمية التي تتطلبها الدراسات الإثنوميثودولوجية، وذلك على أساس أن مثل هذه الأساليب الكمية تفصل بين الباحث وموضوع دراسته، وتتضمن معرفة سابقة بالواقع يفرضها الباحث فرضاً على أداة بحثه، بالإضافة إلى أن موقف التفاعل بين الباحث والمبحوث يؤثر على حجم ونوعية البيانات التي يتم الحصول عليها<sup>(٣)</sup>.

ولكي يتعرف الباحث الإثنوميثودولوجي على أفكار وقواعد سلوك المبحوث دون أي تدخل من طرف الباحث، يرى أصحاب هذا المنظور أنه يمكن استخدام طريقة الملاحظة بالمشاركة Participant observation كما يستخدمها أصحاب منظور التفاعلية الرمزية. وذلك بالإضافة إلى استخدام بعض المناهج مثل ذلك

---

(1) Skidmore, W., Op.cit., PP. 242 - 243 .

(2) Poloma, Margaret M., Contemporary Sociological Theory, N.Y.: Macmillan Publishing Co., Inc., 1979, P.189.

(3) Denzin, Norman K., "Symbolic Interactionism and Ethnomethodology", in Douglas, J.D. (eds.), Understanding Everyday Life, London : Routledge & Kegan Paul, 1974, PP. 274 - 175.

المنهج شبه التجريبي الذي يطلق عليه (التجربة الاثنوميثودولوجية) Ethnome- thodological experiment، والمنهج الآخر الذي يطلق عليه «جارفنكل» المنهج التوثيقي Documentary Method.

ولكى يمكن فهم أى موقف فى الحياة اليومية من وجهة نظر أعضاء المجتمع المشاركين فى هذا الموقف، يمكن تطبيق منهج شبه تجريبي على الجماعة التى يحاول الباحث دراستها . ويمكن للباحث تطبيق هذا المنهج أو التجربة الاثنوميثودولوجية عن طريق محاولة كسر القواعد التى تحكم سلوك الجماعة، والتصرف بطريقة تختلف عن القواعد المتفق عليها، مع تسجيل رد فعل الجماعة تجاه الباحث. ومن ثم يمكن للباحث اكتشاف القواعد التى لا يعرفها الباحث كما يعرفها الأعضاء المشاركون فى عملية التفاعل. وعلى سبيل المثال، يحاول الباحث تعمد التصرف كما لو كان غريبا مع أعضاء أسرته ، مع تسجيل رد فعل أعضاء الأسرة تجاه سلوك الباحث. وبذلك يتمكن الباحث من التعرف على القواعد السلوكية المتفق عليها داخل الأسرة، والتى تحكم سلوك وتصرفات أعضاء هذه الأسرة .

أما المنهج الآخر الذى يعتمد عليه أصحاب المنظور الاثنوميثودولوجى ، فهو ما يطلق عليه المنهج التوثيقي. ويرى «جارفنكل» أن هذا المنهج يستخدمه كل من الباحث والأفراد العاديين فى تفسير سلوكهم أثناء تفاعلهم فى المواقف المختلفة بالحياة اليومية<sup>(1)</sup>.

وقد استخدم «جارفنكل» المنهج التوثيقي فى محاولة تفسير كثير من المواقف التى وردت فى فصول كتابه (دراسات فى الإثنوميثودولوجيا) . وعلى سبيل المثال، نجد أن «جارفنكل» قد حاول تحليل وتفسير بعض الشرائط المسجلة لأسلوب المداولة بين جماعة المحلفين Jurors وقد استمع إلى هذه التسجيلات وما يذكره هؤلاء المحلفون مع بعضهم البعض كجماعة داخلية . ثم بعد ذلك قام «جارفنكل» بمقابلة هؤلاء المحلفين للتعرف على كيفية وصفهم لأسلوب المداولة

---

(1) Timasheff, N.& Theodorson, G., Op.cit., P.302.



أمامه كشخص خارجي عن جماعة المحلفين. وعن طريق المقارنة بين ما استمع إليه في التسجيلات وتصرفات المحلفين في جماعتهم الداخلية وبين تصرفات هؤلاء المحلفين داخل إطار مرجعي مختلف في حالة وجود شخص خارجي، تمكن «جارفنكل» من التعرف على كافة الظروف التي يتخذ فيها المحلفون قراراتهم، والتي جعلت منهم جماعة لها سمات معينة. ونتائج مثل هذه الدراسات توضح بوجه عام، أن أرى فعل يبدو غامضاً حتى يمكن إدراك معناه من خلال ما يحدث في الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى أنها توضح كيفية صياغة أعضاء المجتمع للحقيقة الاجتماعية<sup>(1)</sup>.

ويوصي «هانز بيتر دريتزل» Hans Peter Dreitzel - وهو أحد العلماء الذين تبنا المنظر الإثنوميثودولوجي - بأن يقوم علماء الاجتماع باستخدام المنهج التوثيقي نظراً لأن هذا المنهج يمكنهم من فهم المعاني والدلالات التي تتضمنها عملية التفاعل<sup>(2)</sup>.

ويتضح مما سبق، أن الدراسات الإثنوميثودولوجية تعتمد أساساً على استخدام الملاحظة بالمشاركة. والمنهج شبه التجريبي الذي يطلق عليه (التجربة الإثنوميثودولوجية). والمنهج التوثيقي، مما يشير إلى أن المنظر الإثنوميثودولوجي يعتبر متحيزاً للأسلوب الكيفي. بالإضافة إلى أن هذا المنظر يختلف عن النظريات التقليدية في علم الاجتماع من حيث إنه لا يهدف أساساً إلى تفسير السلوك البشري والتعرف على حقيقة اجتماعية معينة، بل أنه يهتم أساساً بالكشف عن المنهج أو الطرق التي يستخدمها الناس في تشكيل الواقع الاجتماعي والمحافظة عليه. مما يشير إلى أن المنظر الإثنوميثودولوجي قد ساهم في تطور مناهج البحث أكثر مما ساهم في تطور نظرية علم الاجتماع المعاصرة.

#### سادساً : مدى الشمول في المنظر الإثنوميثودولوجي :

للتعرف على مستوى النظرية أو مدى الشمول في المنظر الإثنوميثودولوجي، يجب أن نميز أولاً بين النظرية والمنظر. إذ يمكن تعريف النظرية بأنها بناء

(1) Skidmore, W., Op.cit., P. 244.

(2) Dreitzel, Hans Peter, Recent Sociology, N.Y.: Macmillan, 1970, P.XV.

فرضى رمزى، يتضمن مجموعة من القوانين المتسقة منطقيا ، فكل قانون يستنتج مباشرة من القانون السابق عليه، والقانون يفسر الوقائع عن طريق ربطها ببعضها البعض<sup>(١)</sup>.

أما كلمة منظور Perspective فهي تستخدم للتعبير عن وجهة نظر معينة أو عرض بعض الأفكار ، وقد لا يعتبر المنظور أحيانا بمثابة نظرية على الإطلاق إلا أنه نظراً لاستخدام كل من النظريات والمنظورات بهدف تفسير وشرح جوانب الحياة الاجتماعية، لذلك يمكن اعتبار المنظورات بمثابة أحد أنماط النظريات الاجتماعية<sup>(٢)</sup> .

وفى ضوء ما سبق ، يمكن القول بأن الاتجاه الإثنوميثولوجى يعد منظورا - أى وجهة نظر - أكثر من كونه نظرية . إلا أنه يمكن النظر إلى هذا المنظور على اعتبار أنه أحد أنماط النظريات الاجتماعية نظراً لأنه يحاول تفسير وشرح الواقع الاجتماعى بشكل عام .

وعلى الرغم من أنه يمكن النظر إلى المنظور الإثنوميثولوجى على اعتبار أنه بمثابة نظرية فى علم الاجتماع. إلا أنه يمكن اعتبار هذا المنظور بمثابة نظرية كبرى أو نظرية متوسطة المدى Middle range theory بالمعنى الذى يقصده «روبرت ميرتون» Robert Merton<sup>(٣)</sup> ، إذ أن هذا المنظور يتضمن بعض المفاهيم والافتراضات العلمية البسيطة عن الحياة اليومية على النحو الذى يتبعه الاتجاه الإمبريقى، والذى يرى أن المعرفة شيئاً يتراكم جزءاً فوق جزء، وأن عناصر المعرفة

(1) Kaplan, abraham, the conduct of Inquiry, San Francisco: Chandler Publishing Co., 1964, PP. 29- 297.

(2) Skidmore, w., Op.cit., P 51.

(٣) ويقصد «روبرت ميرتون» Robert Merton بالنظرية المتوسطة المدى Middle tange theory تلك النظرية التى تقع بين النظرية الشاملة أو المتضخمة Grand theory التى تهتم بالتجريد، وبين الإمبريقية Empiricism التى تهتم بالظواهر الجزئية ، والتى لا تنطلق من أية افتراضات أو نظريات علمية ، بالإضافة إلى أنها لا تعتمد على مفاهيم تتعلق بطبيعة المجتمع أو الإنسان ، انظر .

- Mills, C.W.Right, the Sociological Imagination, N.Y. L. Oxford University Press. 1978, P.55.

سوف تتجمع على المدى البعيد بعضها فوق البعض الآخر لى تكون النظرية. ومن ثم تعتبر الدراسات التى تتطلق من المنظور الإثنوميثودولوجى بمثابة دراسات «ميكروسوسيولوجية» Micro - Sociological ، أى دراسات اجتماعية للوحدات الصغرى دون دراسة البناء الاجتماعى . ويركز المنظور الإثنوميثودولوجى على دراسة أعضاء الجماعات الأولية الصغيرة التى تقوم على علاقات الوجه للوجه ، أثناء تفاعلهم فى مواقف الحياة اليومية (١) .

ويتضح مما سبق ، أن الباحث الذى يتبنى المنظور الإثنوميثودولوجى يجعل من الشخصية أو الذات وحدة التحليل الأساسية فى دراسته ويهتم بتحليل أفكار أعضاء المجتمع، ويركز أساساً على الخصائص الكلية للأفعال والمعانى الشائعة. ومن ثم تقتصر دراسة الباحث على الاهتمام بدراسة الحقيقة الاجتماعية عند مستوى الوحدات الصغرى . وقد يصل الباحث إلى نتائج نظرية هامة ، غير أنها تتسم بالطابع الإمبريقي .

#### سابعاً : المضمون الأيديولوجى لمنظور الإثنوميثودولوجى :

إذا تساءلنا عن المضمون الأيديولوجى للمنظور الإثنوميثودولوجى ، نجد أن هذا المنظور قد ركز فى دراسته على الاهتمام بمواقف الحياة اليومية وكيف يقوم الناس أثناء تفاعلهم بصياغة المفاهيم حول المواقف المختلفة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية.. ومن ثم تجاهل أصحاب هذا المنظور الاهتمام بدراسة البناء الاجتماعى والتغيرات التى قد يتعرض لها هذا البناء، مما صرفهم عن دراسة القضايا الأساسية للمجتمع .

وعلى الرغم من إهتمام أصحاب هذا المنظور بدراسة التغير الاجتماعى على مستوى الوحدات الصغرى، ومن خلال الأبنية الاجتماعية الصغيرة النطاق ، إلا أننا نجد ممثلى هذا المنظور يدعون إلى تغيير الذات بدلا من تغيير البناء الاجتماعى، أو النظام الاجتماعى العام. وذلك نظرا لأن أعضاء المجتمع هم الذين يشكلون

---

(1) Philipos, B., op.cit., P.109.

الواقع أو الحقيقة الاجتماعية ، بالإضافة إلى أن أصحاب هذا المنظور يميلون إلى القول بأن النظام الاجتماعي العام «لا يوجد» أو على الأقل «ليس له وجود خارجي مستقل» كما يعتقد أصحاب الاتجاهات التقليدية في علم الاجتماع<sup>(1)</sup>.

وفي ضوء ما سبق يمكن القول بأنه على الرغم من أن أصحاب المنظور الإثنوميثودولوجي قد قدموه على اعتبار أنه أحد البدائل النظرية للاتجاهات التقليدية في علم الاجتماع، إلا أن هذا المنظور الجديد لم يذهب بعيدا عن الاتجاهات الكلاسيكية من حيث عدم دراسة التغير الاجتماعي على مستوى الوحدات الكبرى، وتبريره للنظام القائم ، وتأكيده للأيديولوجية السائدة في المجتمع. ومن ثم يمكن اعتبار المنظور الإثنوميثودولوجي - شأنه شأن الاتجاه الفينومينولوجي - اتجاها محافظا Conservative من الناحية الأيديولوجية ، ويهدف إلى إبقاء النظام أو الوضع الاجتماعي على ما هو عليه.

ومما يؤكد هذا المضمون الأيديولوجي للمنظور الإثنوميثودولوجي أن هناك بعض المؤسسات العلمية والاقتصادية والسياسية والعسكرية في الولايات المتحدة الأمريكية ، قد قامت بتشجيع وتمويل الدراسات التي تنطلق من هذا المنظور الجديد وعلى سبيل المثال ، نجد أن مركز البحوث بالقوات الجوية الأمريكية قد قام بتمويل عدة مؤتمرات بجامعة «كاليفورنيا» و«كلورادو» اشترك فيها عدد كبير من علماء الاجتماع المهتمين بهذا المنظور الإثنوميثودولوجي<sup>(2)</sup>. وذلك على الرغم من أن هذا المنظور يتجاهل البناء الاجتماعي والعوامل المحددة للنظام الاجتماعي العام، ويركز الاهتمام أساسا على مواقف الحياة اليومية.

وعلى الرغم من تفاؤل بعض العلماء الذين اعتقدوا أن المنظور الإثنوميثودولوجي يرجع إلى الفلسفة الظاهرية ، مما قد يؤدي إلى إبراز العنصر الإنساني الذي اختفى عندما تحول علم الاجتماع إلى مهنة منصهرة في النظام

---

(1) Skidmore, W., Op.cit., PP. 236- 237.

(2) Gouldner, A., Op.cit., P.411.

الكلى للمجتمع<sup>(١)</sup> . إلا أنه لا يمكن القول بأن هذا المنظور الجديد قد نجح فى الانفصال كلية عن التراث التقليدى المرتبط بالنظام والمدافع عنه.

#### ثامناً : تقييم المنظور الإثنوميثودولوجى :

بعد أن عرضنا للمبادئ العامة أو المسلمات الأساسية التى يعتمد عليها المنظور الإثنوميثودولوجى ، سنحاول الآن التأكد من مدى صحة أو خطأ هذه المبادئ أو المسلمات عن طريق البحث عن الأدلة التى تؤكد أو تنفيها، بالإضافة إلى محاولة التعرف على التحيزات الأيديولوجية والسياسية التى يتضمنها المنظور الإثنوميثودولوجى من جهة ، وما يشير إليه من إجراءات عملية من جهة أخرى . مما يمكننا من تقييم هذا المنظور على أسس علمية سليمة والتعرف على مدى إسهامه فى تطور نظرية علم الاجتماع المعاصرة .

ولا شك أن ظهور الاتجاه الإثنوميثودولوجى يعتبر دليلاً على أن علم الاجتماع لم يستكمل نموه النظرى حتى الآن ، مما يجعلنا نتوقع ظهور اتجاهات نظرية أخرى فى المستقبل<sup>(٢)</sup>.

وقد يتساءل الباحث عن مدى إمكانية ظهور مثل هذا الاتجاه الإثنوميثودولوجى الذى يقيم قضايا النظرية على أسس فلسفية؟ وهل يمكن أن يظهر فى علم الاجتماع ميدان يمكن أن يطلق عليه علم الاجتماع الفلسفى؟ وفى هذا الصدد ، يذهب «تيماشيف» إلى أن «علم الاجتماع يعد دراسة للظواهر على المستوى الإمبريقى ، بينما يستهدف البحث فى الفلسفة مستوى آخر من التجريد، وهو التصور المتكامل للواقع الاجتماعى. إلا أنه يحدث فى بعض الأحيان أن يستخدم علماء الاجتماع فروضاً كمجرد وسيلة يقيمون قضاياهم النظرية على أساسها ، على أن يتم إثبات صحة قضاياهم إمبريقياً بعد التخلص من هذه الوسيلة أو الفروض الفلسفية. ومن ثم يجب على نظريات علم الاجتماع التى

(1) Roche, Maurice, Phenomenology, Language and the Social Sciences, London: Routledge & Kegan Paul, 1973. P.316.

(2) Philips, B. Op.cit., P.109.

تتهض على جذور فلسفية أن يتم التحقق من مدى صحتها على المستوى الامبيريقى<sup>(١)</sup>. ويبدو أن القضايا النظرية التي أثارها المنظور الاثنوميثودولوجى لم تتحقق صحتها إمبيريقيا حتى الآن . ونجد أن الصياغات السوسيولوجية لأصحاب المنظور الاثنوميثودولوجى لم تكن وليدة «التجريد الفكرى» كما يعتقد أصحاب هذا المنظور ، وإنما قامت هذه الصياغات على أساس معرفة سابقة للواقع وبيانات تمكنوا من جمعها عن طريق الملاحظة بالمشاركة للحياة اليومية<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان أصحاب هذا المنظور يقررون أن أعضاء المجتمع يشاركون فى مجموعة من التصورات عن علاقات التفاعل ، فهذا لا يشير إلى أن العلاقات التفاعلية بين أعضاء المجتمع تخلو من الصراع، نظراً لأن التصورات المنبثقة عن موقف معين قد تختلف باختلاف ديناميات هذا الموقف<sup>(٣)</sup>.

ونجد أن المنظور الإثنوميثودولوجى لم يذهب بعيداً عن النظريات الكلاسيكية، وإنما تناول نفس القضايا من خلال مفاهيم ومناهج جديدة. وعلى الرغم من نقد أصحاب هذا المنظور للمفهومات التي وردت فى النظريات الاجتماعية التقليدية ، مثل مفهوم النظام الاجتماعى العام، حيث يرى أصحاب هذا المنظور أن هذا النظام قد لا يوجد أساساً وليس له خصائص طبيعية<sup>(٤)</sup> .

ويختلف المنظور الإثنوميثودولوجى عن غيره من الاتجاهات النظرية الأخرى فى علم الاجتماع من حيث اهتمامه بدراسة التغير الاجتماعى على مستوى الوحدات الصغرى. وذلك دون دراسة قوى التغير أو التحول فى أنماط البناء الاجتماعى على مستوى الوحدات الكبرى<sup>(٥)</sup> .

---

(١) تيماشيف، نيقولا ، نظرية علم الاجتماع : طبيعتها وتطورها ، ترجمة محمود عودة وآخرون ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٩٧ ، ص ٤٥٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .

(3) Zimmerman, D. & Wieder, W., "Ethn methodology and the Problem of Order : Comment on Denzin," , In douglas, J.D. (ed.) Understanding Every day Life London : Routledge & Kegan Paul, 1974, P. 287.

(4) Skidmore, W., Op.cit., PP. 236-237 .

(5) Philips, B., Op.cit., P.109 .

ومن بين أوجه النقد الرئيسية التى توجه إلى المنظور الإثنوميثودولوجى فشله فى تقديم افتراضات مترابطة حول طبيعة العالم الاجتماعى أو الحقيقة الاجتماعية<sup>(١)</sup> بالإضافة إلى تسليم المنظور الإثنوميثودولوجى بثبات البناء الاجتماعى ضمناً عن طريق استبعاده من الدراسة. ومن ثم يصرف هذا المنظور الانتباه عن القضايا الأساسية للمجتمع، كما يؤخذ على هذا المنظور عدم اهتمامه بالمتغيرات التاريخية وتجاهله للنظام الاجتماعى العام فى المجتمع، وتأكيد الموقف التفاعلى، دون الأخذ فى الاعتبار للأنساق الكبرى للقوى أو البناء الطبقي فى المجتمع، تلك الأنساق التى تؤثر تأثيراً كبيراً فى درجة قيام أعضاء المجتمع بتكوين مواقف الحياة اليومية<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من نجاح المنظور الإثنوميثودولوجى فى تحقيق قدر من الانفصال عن الاتجاهات التقليدية فى علم الاجتماع، خاصة عندما اهتم أصحاب هذا المنظور بالحياة اليومية، وسلوك الفرد فى مقابل المجتمع، واهتمامهم بلغة الحياة اليومية والتصورات الذاتية، إلا أن تحليلات أصحاب هذا المنظور قد انتهت بهم إلى أن يواجهوا نفس المشكلات الاجتماعية التقليدية، وعلى رأسها مشكلة النظام الاجتماعى العام. وقد عبر عن هذا رأى كثير من العلماء مثل «جون ركبس» (1975:27)، الذى ذهب إلى أن دراسة المعانى التى يسلم بها أعضاء المجتمع فى لغتهم اليومية يتضمن قبول هؤلاء الأعضاء لنظام ميعارى معين<sup>(٣)</sup>.

ويتضح مما سبق أن المنظور الإثنوميثودولوجى لم ينجح نجاحاً تاماً فى تقديم صياغات نظرية تختلف تماماً عن تلك الصياغات التى وردت فى الاتجاهات التقليدية. وعلى الرغم من أن أصحاب هذا المنظور قد قدموه على أساس أنه محاولة لإيجاد بديل نظرى للاتجاهات الكلاسيكية فى علم الاجتماع، إلا أن

---

(1) Coleman, James, "Review Symposium", American Sociological Review, 33 (February): PP. 126 - 130.

(2) timasheff, N.& Theodorson, G., Op.cit., PP. 303 - 304.

(3) Rex, J., Sociology and Demystification of Modern World, London : Routledge and Kegan Paul, 1975, P.27.

النتيجة النهائية لظهوره هي إضافة اتجاه جديد يزيد من تعدد وتنوع الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، مما قد يزيد من حدة أزمة علم الاجتماع الغربي<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الإسهام الحقيقي للمنظور الإثنوميثودولوجي هو إسهام منهجي أكثر منه إسهام نظري. فقد قام أصحاب هذا المنظور بتطوير بعض المناهج التي تستخدم في البحث الاجتماعي مثل المنهج التوثيقي، والمنهج شبه التجريبي الذي أطلق عليه التجربة الإثنوميثودولوجية. بالإضافة إلى اهتمام أصحاب هذا المنظور بالأسلوب الكيفي الذي يعتمد على استخدام الملاحظة بالمشاركة، دون الأسلوب الكمي الذي يعتمد على طريقة المسح الاجتماعي أو صحيفة الاستبيان<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من قيام أصحاب المنظور الإثنوميثودولوجي بنقد مناهج وطرق البحث المستخدمة في الاتجاهات النظرية الأخرى، إلا أن أصحاب هذا المنظور قد فشلوا في تحديد مناهجهم وطرق بحثهم بشكل واضح<sup>(٣)</sup>، وذلك بالإضافة إلى التحيز الواضح لأصحاب هذا المنظور للأسلوب الكيفي في البحث الاجتماعي دون الأسلوب الكمي.

ويشترك المنظور الإثنوميثودولوجي مع كل من اتجاه التبادلية السلوكية ex-change behaviorism والاتجاه المسرحي dramaturgy والتفاعلية الرمزية sym-bolic interaction، من حيث النظر إلى الفرد على أساس أنه يمثل وحدة التحليل الأساسية في الدراسة. إذ يتفق جارفنكل مع ممثلي هذه الاتجاهات السابقة مثل «هومانز» G. Homans و«جوفان» E. Goffman و«بلومر» H. Blumer، من حيث التركيز على الفرد كوحدة للتحليل السوسيولوجي أكثر من التركيز على دراسة التنظيم الاجتماعي أو الأنساق الاجتماعية، كما هو الشأن بالنسبة للنظريات الكبرى<sup>(٤)</sup>.

---

(1) Hamilton, Peter, Knowledge and Social Structure, London Routledge and Kegan Paul, 1979, P. 80.

(2) Denzin, N.K., Op.cit PP. 274 - 275.

(3) Coleman, J., Op.cit., 126-130.

(4) poloma, M., Op.cit., P.188.



وعلى الرغم من أنه يمكن اعتبار المنظور الإثنوميثودولوجي من بين أنماط النظريات الاجتماعية نظراً لأنه يحاول شرح وتفسير الواقع الاجتماعي بوجه عام. إلا أنه لا يمكن اعتبار هذا المنظور على أنه بمثابة نظرية كبرى متضخمة أو حتى نظرية متوسطة المدى <sup>(1)</sup> ومن ثم يصبح هذا المنظور أقرب إلى التجريد الإمبيرقي. وتجد الإشارة إلى أن عالم الاجتماع الأمريكي «بيتر سوروبكين» P.Sorokin يعارض مثل هذا النوع من الدراسات الميكروسوسيولوجية، بل أنه يهاجم بعنف مثل هذه الدراسات، ويرى أنها لا تؤدي إلى نتائج هامة، بل تنتهي إلى ملاحظات بسيطة جداً. ويؤيده في ذلك بعض النقاد الذين يرون أن القضايا الأولية التي صاغها القائلون بهذه الدراسات الميكروسوسيولوجية لم تشكل حتى الآن كيانا نظرياً يمكن أن تدب فيه الحياة <sup>(2)</sup>.

#### خاتمة :

ظهر مصطلح «الإثنوميثودولوجي» في الولايات المتحدة عام ١٩٦٧ عندما نشر «جارفنكل» كتابه بعنوان «دراسات في الإثنوميثودولوجي». وقد صاغ «جارفنكل» هذا المصطلح ليشير إلى نظرية تهتم بدراسة طرق الناس في التعامل مع المشكلات الاجتماعية أثناء تفاعلهم في مواقف الحياة اليومية ، ووصف كيفية قيام أعضاء المجتمع بصياغة المفاهيم المرتبطة بمواقف التفاعل أثناء الحياة اليومية ، وكيفية تشكيلهم للحقيقة الاجتماعية.

وتمتد الجذور الفكرية للمنظور الإثنوميثودولوجي إلى كل من التفاعلية الرمزية، والفلسفة الظاهرية (الفينومينولوجية) . وترجع أهمية هذا المنظور إلى ما أثاره من قضايا نظرية ومنهجية ، وما اتخذته من مواقف نقدية إزاء الاتجاهات النظرية الأخرى في علم الاجتماع بالإضافة إلى أن ظهور هذا الاتجاه الحديث في علم الاجتماع ، يشير إلى أن هذا العلم لم يستكمل نموه النظري حتى الآن. ويجعلنا نتوقع ظهور اتجاهات نظرية أخرى في المستقبل .

---

(1) Skidmore, W., Op.cit., P.51.

(2) Timasheff, N.&theodorson, G., Op.cit., P.232.

ويساهم هذا المنظور - شأنه شأن الاتجاهات النظرية الأخرى - فى نمو وتطور نظرية علم الاجتماع المعاصرة . إلا أنه يبدو أن إسهامه الحقيقى هو إسهام منهجى أكثر منه إسهام نظرى . فالمنظور الإثنوميثودولوجى لا يعد نظرية حول حقيقة اجتماعية معينة ، بل إنه يعتبر نظرية حول الإجراءات التى تشكل الحقيقة الاجتماعية . ومن ثم تركّز اهتمام أصحاب هذا المنظور حول الكشف عن المناهج أو الطرق التى يستخدمها أعضاء المجتمع فى صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية ، وإعطاء المعاي لعمالهم الاجتماعى . إلا أن هذا المنظور قد قدم صياغات نظرية غامضة تبالغ فى تبسيط الحقيقة الاجتماعية ، وتتضمن افتراضات غير مترابطة حول طبيعة هذه الحقيقة .

ويتفق المنظور الإثنوميثودولوجى مع غيره من الاتجاهات النظرية الأخرى مثل التبادلية السلوكية والاتجاه المسرحى ، والتفاعلية الرمزية ، من حيث تناول دراسة الوحدات الاجتماعية الصغرى ، والتركيز على الفرد كوحدة أساسية للتحليل السوسيولوجى أكثر من التركيز على دراسة التنظيم الاجتماعى أو الأنساق الاجتماعية ، كما هو الشأن فى النظريات الكبرى الشاملة فى علم الاجتماع ، إلا أن هذا المنظور يختلف عن غيره من الاتجاهات النظرية من حيث اهتمامه بدراسة التغير الاجتماعى على مستوى الوحدات الصغرى .

ويتمثل الإسهام المنهجى للمنظور الإثنوميثودولوجى فى قيام أصحاب هذا المنظور بنقد مناهج وطرق البحث المستخدمة فى الاتجاهات النظرية الأخرى ، وخاصة الاتجاه الوضعى فى علم الاجتماع . وقيام ممثلى المنظور بتطوير بعض المناهج التى تستخدم فى البحث الاجتماعى مثل المنهج التوثيقى ، والمنهج شبه التجريبي الذى أطلق عليه التجربة الإثنوميثودولوجية ، إلا أنه قد غلب على أصحاب هذا المنظور التحيز للأسلوب الكيفى دون الأسلوب الكمي فى البحث الاجتماعى ، والتحيز للنزعة الضيقة فى علم الاجتماع .

ومن الانتقادات التى يتعرض لها المنظور الإثنوميثودولوجى ، أن هذا المنظور يجرّد العلاقات المتبادلة بين أعضاء المجتمع من سياق الاستمرار التاريخى ، وعدم

اهتمامه بالمتغيرات الاقتصادية ، وتبنى تصورات خاطئة عن القوة الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي. إذا يميل أصحاب هذا المنظور إلى إبراز الجوانب الأصغر من الحياة الاجتماعية، دون الاهتمام بالقضايا الأساسية للمجتمع. وقد تصبح الدراسات الميكروسوسولوجية المنطلقة من هذا المنظور بمثابة تبرير للواقع والنظام القائم، وتأكيد الأيديولوجية السائدة في المجتمع . وعلى الرغم من أن أصحاب هذا المنظور قد قدموه كبديل نظري للاتجاهات النظرية التقليدية في علم الاجتماع. إلا أننا نجد أن هذا المنظور لم يذهب بعيدا عن الاتجاهات الكلاسيكية، وإنما تناول نفس القضايا من خلال مفهومات صعبة ، وصياغات نظرية غامضة تبالغ في تبسيط الحقيقة الاجتماعية، ومناهج جديدة متحيزة للأسلوب الكيفي في البحث الاجتماعي . ومن ثم تصبح المحصلة النهائية لظهوره هي إضافة اتجاه جديدة يزيد من تعدد وتنوع الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع ، مما يزيد من حدة أزمة علم الاجتماع الغربي .

\* \* \*

## الفصل السادس

### منظور التبادل الاجتماعي

مقدمة

أولاً : الملامح الأساسية لمنظور التبادل الاجتماعي

ثانياً : منظور بلاو عن التسبادل في الحياة الاجتماعية

ثالثاً : مدى الالتقاء بين منظور بلاو وغيره من الاتجاهات النظرية

رابعاً : تقييم مدى إسهام منظور بلاو في تطوير نظرية التبادل الاجتماعي

خاتمة



## الفصل السادس

### منظور التبادل الاجتماعى

مقدمة :

شهدت الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية إبتداء من ستينات القرن العشرين اتجاهاً متزايداً بين المتخصصين فى علم الاجتماع وخاصة الشباب منهم نحو نقد وإعادة تقييم نظريات علم الاجتماع السائدة وخاصة النظرية الوظيفية وما تضمنته من مسلمات وما تحتوى عليه من مضمون إيديولوجى وما تشير إليه من إجراءات عملية تطبيقية<sup>(١)</sup>.

ونتيجة لحركة التجديد والنقد فى علم الاجتماع الغربى ، اتجه بعض العلماء نحو صياغة مجموعة من البدائل النظرية التى اعتقدوا أنها يمكن أن تحل محل النظريات التقليدية فى المجتمعات الغربية ، خاصة النظرية الوظيفية عند «بارسونز» T.Parsons (زايد ، ١٩٨١ : ٤١١) ، وقد كان ظهور هذه البدائل النظرية بمثابة أحد الدلائل على ما يطلق عليه «جولدنر» A. Gouldner بالأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى<sup>(٢)</sup>.

وفى هذا الفصل ، سنحاول التعرف على ملامح إحدى البدائل النظرية الحديثة التى ظهرت فى علم الاجتماع الغربى ، وهى نظرية التبادل الاجتماعى

---

(١) سمير نعيم أحمد ، النظرية فى علم الاجتماع ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٩ ، ص ٢٥٧ .  
(٢) يرى جولدنر A. Gouldner أن الأزمة القادمة فى علم الاجتماع الغربى سوف تتجسم عن التغييرات السريعة التى يمر بها هذا العلم وما يصاحب ذلك من تناقضات وصراعات يمكن أن تؤدى إلى حدوث تلك الأزمة فى علم الاجتماع الغربى إذا لم يصحح العلم من مساره ويتقلب على تناقضاته .

انظر :

- Gouldner, Alvin W., The Coming Crisis of Western Sociololgy, Londo : Heinmann 1971. PP. 341-342.

Social Exchange Theory والتعرف على ملامح أحد المنظورات التي تتضمنها هذه النظرية ، وهو منظور «بيتريلو» عن التبادل في الحياة الاجتماعية ، وهو ما يطلق عليه (البنائية التبادلية) Exchange Structuralism ، مع محاولة تقييم هذا المنظور في ضوء بعض أسس التقييم الموضوعية .

ويرجع الاهتمام بدراسة نظرية التبادل الاجتماعي إلى أن هذه النظرية الحديثة لا زالت في طور التكوين والتطوير ، بالإضافة إلى الرغبة في متابعة أحد البدائل النظرية أو أحد التيارات الجديدة التي ظهرت في داخل علم الاجتماع الغربي نفسه ، وحاولت هدم الاتجاهات التقليدية أو تغييرها أو على الأقل قد شككت في بعض مفاهيمها وقضايا النظرية .

كما يرجع الاهتمام بالتركيز على مدى إسهام «بيتريلو» في تطور نظرية التبادل الاجتماعي، إلى أنه يعد من بين أهم العلماء الذي قدموا مؤخراً إسهامات ملفتة في مجال بناء نظرية علم الاجتماع<sup>(١)</sup>. فقد حاول «بلاو» صياغة منظور سوسيولوجي يختلف عن غيره من المنظورات الأخرى التي تتضمنها نظرية التبادل الاجتماعي من حيث اهتمامه بالتبادل الاجتماعي على مستوى البناء الاجتماعي ، دون الاهتمام فقط بالجوانب الفردية النفسية على النحو الذي قام به غيره من العلماء من أصحاب نظرية التبادل الاجتماعي أمثال (هومانز) G.Homans و«ثبيوت» J.Thibaut و«كيللي» H.Kelley . بالإضافة إلى أن المنظور الجديد الذي قدمه «بلاو» يعد محاولة لإحداث التكامل بين عدة اتجاهات نظرية في منظور سوسيولوجي واحد ، يجمع بين التحليل على مستوى الوحدات الكبرى والتحليل على مستوى الوحدات الصغرى<sup>(٢)</sup>.

وسنحاول الآن الإجابة على أربعة تساؤلات رئيسية على النحو التالي :

---

(١) ن. تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع : طبيعتها وتطورها ، ترجمة محمود عودة وآخرون ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ ، ص ٢٧٨ .

(2) Poloma, Margaret M., Contemporary Sociological Theory, New York : Macmillan Publishing Co., Inc., 1979, PP. 61 - 62.

أولاً : ما أهم الملامح الأساسية لنظرية التبادل الاجتماعى بوجه عام ، وكيف تفسر هذه النظرية طبيعة كل من الإنسان والمجتمع، وكيفية أداء المجتمع لوظائفه؟  
ثانياً: ما هو المنظور الذى قدمه «بيترىلاو» عن التبادل فى الحياة الاجتماعية وما مدى كفاءة وقدرة هذا المنظور على فهم الجوانب المختلفة للواقع الاجتماعى؟  
ثالثاً: ما مدى الالتقاء أو التقارب بين المنظور الذى قدمه «بلاو» وبين غيره من الاتجاهات النظرية الأخرى فى علم الاجتماع ؟

رابعاً: كيف يمكن تقييم المنظور الذى قدمه «بلاو» فى ضوء بعض أسس تقييم النظرية ، وما أهم أوجه النقد التى تعرض لها هذا المنظور ؟

#### أولاً : الملامح الأساسية لمنظور التبادل الاجتماعى :

وفى هذا الصدد سنحاول توضيح أسباب نشأة نظرية التبادل الاجتماعى، والسياق المجتمعى والعلمى لنشأتها وأهم منطلقاتها الفكرية، وأهم مفهوماتها ، وقضاياها النظرية الأساسية بهدف التعرف -فيما بعد - على مدى الإسهام الذى قدمه «بلاو» فى تطور هذه النظرية .

والواقع أن نظرية التبادل الاجتماعى تعد إحدى النظريات السيوسولوجية المعاصرة التى ظهرت كإحدى البدائل النظرية فى علم الاجتماع الغربى ، وترجع الجذور الفكرية لهذه النظرية إلى آراء بعض الفلاسفة والعلماء الذين اهتموا بعملية التبادل (الأخذ والعطاء) Reciprocity منذ القدم . فقد شغلت هذه العملية اهتمام بعض فلاسفة اليونان من أمثال أرسطو، والفيلسوف الأخلاقى « آدم فيرجسون» Adam Ferguson و«آدم سميث» Adam Smith فى القرن الثامن عشر . كما تأثرت نظرية التبادل فى نشأتها بثلاث مصادر هامة ، هى : الاقتصاد الكلاسيكى ، والانثروبولوجيا الوظيفية ، وعلم النفس السلوكى<sup>(1)</sup>.

وقد استفادت نظرية التبادل الاجتماعى من آراء بعض الاقتصاد الكلاسيكى

---

(1) Turner, Jonathan H., The Structure of Sociological Theory, I linois: The Dorsey Press, 1982 P.211.



النفعى من أمثال «دافيد ريكاردو» David Ricardo و «جون ستيوارت ميل» J.S Mill و«بينتام» Jermy Bentham . إلا أن مفهوم التبادل فى الاقتصاد الكلاسيكى يشير إلى التبادل المادى فقط ، بينما ينظر أصحاب نظرية التبادل الاجتماعى إلى مفهوم التبادل على أنه يعنى كل من التبادل المادى والتبادل الرمضى غير المادى.

ونجد أن الأنثروبولوجيا الوظيفية قد أثرت أيضاً فى نشأة نظرية التبادل الاجتماعى. إذ تأثرت هذه النظرية ببعض الدراسات الأنثروبولوجية التى أجريت فى بعض المجتمعات البدائية ، والتى قام بها بعض علماء الأنثروبولوجيا الوظيفية من أمثال «سير جيمس فريزر» Sir James Frazer و «برونيسلومالينوفسكى» Bronislaw Malinowski و«مارسيل موس» Marcel Maus و «كلاود ليفى ستراوس» Claud L'evi Straus .

ومن جهة أخرى ، نجد أن نظرية التبادل الاجتماعى قد تأثرت بآراء بعض علماء النفس السلوكيين من أمثال «سكينر» B.F.Skinner الذى نشر بعض الدراسات عن السلوك الاجتماعى فى كتابه عن (سلوك الكائنات العضوية) The Behavior of Organism ، والتى كان لها تأثير كبير فى نشأة نظرية التبادل الاجتماعى .

وقد أسهم فى تطور نظرية التبادل الاجتماعى حالياً بعض علماء الاجتماع المعاصرين أمثال «ثيبوت» J.Thibaut و«كيلى» H.Kelley<sup>(1)</sup>. كما اهتم بعض العلماء من أمثال «جورج زيمل» Geore Simmel و«تشارلز كولى» Charles H.Cooley بدراسة عملية التبادل فى العلاقات الاجتماعية بين الأفراد خلال تفاعلهم مع بعضهم البعض . إلا أن هؤلاء العلماء لم يتمكنوا من تطوير منظمة عن التبادل فى الحياة الاجتماعية<sup>(2)</sup>.

ويذكر «تيرنر» J.H.Turner<sup>(3)</sup> أنه على الرغم من أن الجذور الفكرية لنظرية

(1) Skidmore, William, Theoretical thinking in Sociology, Cambridge: University Press. 1979, PP. 79 - 1104.

(2) Timasheff, N.S& Theodorson, G.A., Sociological Theory : Its Nature and Growth, New York : Random House, , 1976.P. 340.

(3) Turner,J.H., Op.cit., P.197.

التبادل الاجتماعي ترجع إلى اهتمام الفلاسفة والعلماء منذ القدم ، كما ترجع إلى ثلاثة مصادر هامة هي : الاقتصاد الكلاسيكي ، والأنثروبولوجيا الوظيفية ، وعلم النفس السلوكي ، بالإضافة إلى إسهام بعض علماء الاجتماع المعاصرين من أمثال «ثيوت» و «كيلى» ، «زيمل» ، إلا أن هذه النظرية يمثلها حاليا كل من «جورج هومانز» George C.Homans و«بيتر بلاو» Peter. M. Blau ويسمى اتجاه الأول (السلوكية التبادلية) Exchange Behaviorism ، بينما يسمى اتجاه الثانى (البنائية التبادلية) Exchange Structuralism مما يشير إلى أن نظرية التبادل الاجتماعي تتضمن عدة منظورات مختلفة .

وقد كان لجهود كل من «هومانز» و«بلاو» الفضل فى ظهور نظرية التبادل الاجتماعي ، كأحدى البدائل النظرية المطروحة فى علم الاجتماع الغربى . ونجد أن «هومانز» G.C.Homans<sup>(1)</sup> . قد قدم فى كتابه عن (السلوك الاجتماعي) Social Behavior بعض الافتراضات النظرية التى يعتبرها بمثابة أسس للسلوك الاجتماعي، وقد ذهب فى تحليله لهذا السلوك إلى أنه كلما كانت نتيجة الفعل ذات قيمة بالنسبة للفرد، زادت احتمالات أدائه لهذا الفعل . ولم يقدم «هومانز» مثل هذه الافتراضات على أنها حقائق تم إثباتها ، وإنما يطرحها كقضايا جديرة بالدراسة عن طريق البحوث الإمبريقية<sup>(2)</sup> .

ونجد أن نظرية التبادل الاجتماعي تتضمن بعض المفاهيم Concepts الأساسية التى تشكل العناصر الرئيسية فى هذه النظرية ، ويحدد «ريتشارد إميرسون» Richard Emerson<sup>(3)</sup> ، بعض هذه المفاهيم الأساسية التى تستخدم فى نظرية التبادل الاجتماعي والتى تعبر عن أهم القضايا التى تثيرها هذه النظرية،

---

(1) Homans, George C., Social Behaviour: Its Elementary forms, New York: Harcourt, Brace and World , 1961, P.16.

(2) Timasheff, N.S.& Theodorson G.A., OP.cit., P.344.

(3) Emerson, Richard M., "Social Exchange Theory" in Alex Inkeles (ed.), Annual Review of Sociology, Vol.2 PaloAlto, Calif Annual Review of Sociology, Vol.2 PaloAlto, Calif : Annual Review, Inc., 1976, PP.335-62.

ومن أهم هذه المفاهيم : مفهوم الفاعل actor ، وعلاقة التبادل exchange relation ، والقيمة Value ، والمكافأة Reward ، والبدائل alternatives ، والتكلفة cost ، والاعتماد dependence ، والتوازن balance والقوة Power ، والفوائد benefits ، والموارد Resources<sup>(1)</sup> ، وتتضمن نظرية التبادل الاجتماعي بعض القضايا أو الافتراضات الأساسية حول طبيعة الإنسان ، وطبيعة المجتمع وكيفية أدائه لوظائفه .

ومن حيث طبيعة الإنسان ، ترى هذه النظرية أن الإنسان يتصرف بشكل منطقي وعقلاني ، فكل إنسان يضع أمامه مجموعة من الأهداف ويحدد لنفسه أكثر الوسائل كفاءة لبلوغ هذه الأهداف ، ويضع الإنسان غيره من أعضاء المجتمع في اعتباره أثناء سعيه لتحقيق أهدافه ، حيث إن هؤلاء الأعضاء يؤثرون أو حتى يتحكمون في عملية سعي الإنسان لتحقيق أهدافه . وهذا الموقف هو الذي ينتج العلاقة الأساسية للتبادل ، ويصبح السلوك بهذا المعنى سلوكاً اجتماعياً ، كما يتخذ السلوك شكل التبادل ، حيث إن أعضاء المجتمع أو الأشخاص الآخرين الموجودين في الوسط الاجتماعي يملكون المصادر أو الموارد المختلفة ، ومن ثم فإننا نتبادل القيود بالسلع ، والعمل بالنقود ، كما نتبادل المشاعر والعواطف ، ويجد الناس أنفسهم دائماً في مواقف اجتماعية تبادلية ، حيث يتبادلون السلوك والخدمات ، ويتبادلون الدعم العاطفي والانفعالي .

وفيما يتعلق برؤية نظرية التبادل الاجتماعي لطبيعة المجتمع وكيفية أدائه لوظائفه فيرى أصحاب هذه النظرية أن الحقيقة يجب أن نبحث عنها في (الفرد) وليس في (المجتمع) . وتتخذ هذه التبادلات بمرور الوقت شكل التنظيمات الاجتماعية المعقدة كالجامعات والشركات والمؤسسات ، وفي هذا الصدد ، يذكر «سكدمور» W.Skidmore<sup>(2)</sup> أن الفرد يمثل وحدة التحليل الأساسية في نظرية التبادل الاجتماعي فالفرد هو الوحدة التي تتم ملاحظتها للتعرف على طبيعة النظام

---

(1) Turner, J.H., Op.cit PP. 288-289.

(2) Skidmore, W., Op.cit., P. 71.

الاجتماعى وعلى الرغم من أن الفرد يمثل نقطة البداية فى نظرية التبادل ، إلا أن النظرية لا تستمر فى تركيزها على ملاحظة الفرد ، بل تنتقل إلى محاولة فهم طبيعة الجماعات .

وتقوم نظرية التبادل الاجتماعى على أساس أن الأفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض نظراً لأنهم يحصلون عن طريق هذا التفاعل على بعض المكافآت الاجتماعية فالأفراد يستمرون فى علاقاتهم الاجتماعية طالما أن هذه العلاقات تحقق لهم بعض الفائدة التى تفوق التكلفة التى تترتب عليها . وتشير التكلفة إلى بعض الاعتبارات أو العوامل السلبية مثل التعب أو القلق ، وكل ما نحاول تجنبه ، كما تشير المكافآت إلى أى شئ نتحمل التكلفة من أجل الحصول عليه أما الأرباح ، فهى ناتج طرح التكاليف من المكافآت ، وفى الواقع، نحن لا نتبادل النقود والأشياء المادية فقط، بل نتبادل أيضاً الخدمات الاجتماعية ، والعواطف ، والأمن ، والنفوذ، والمعلومات<sup>(١)</sup>.

كما تذهب هذه النظرة إلى أن الناس يتفاعلون بطريقة عقلانية رشيدة، بالإضافة إلى أنهم معتمدين على بعضهم البعض فى سبيل تحقيق أهدافهم. والمجتمع عبارة عن شبكة عمليات التبادل، ومن خلال هذه العمليات التبادلية يؤدى المجتمع وظائفه المختلفة، إذ أن الموارد أو المصادر تعد محدودة، ويجب أن يحصل الناس على حاجتهم من الآخرين عن طريق تكوين العلاقات الاجتماعية ، وتبادل السلع والخدمات<sup>(٢)</sup>.

ويتضح مما سبق، أن نظرية التبادل الحديثة تقوم على بعض الافتراضات النفعية ، فالأفراد يأخذون فى الاعتبار أثناء تعاملهم الاجتماعى حساب الفوائد (الأرباح) فى مقابل التكلفة التى تترتب على هذا التعامل ، ويتم التعامل بين الأفراد عادة عن طريق كل من الفوائد والتكلفة<sup>(٣)</sup>. كما تشير هذه النظرية إلى أن التبادل

(1) Zanden, James W. Vander, The Social Experience, New York : McGraw - Hill Publishing Co., 1990, P.182.

(2) McGee, Reece et al. (ed.) , sociology : An Introduction, Illionis: The Dryden Press, 1977, PP. 28 - 31.

(3) Turner, J.H., Op.cit., P.198.

لا يقتصر على التعامل المادى فى السوق الاقتصادى ، بل إن الأفراد قد يتبادلون مع بعضهم البعض أشياء غير مادية مثل المشاعر والخدمات المتعلقة، ومن الواضح أن هذه النظرية تعبر عن المجتمع الأمريكى الذى ظهرت فيه ، وما يسوده من نزعة فردية ، ومنافسة والسعى من أجل الربح <sup>(١)</sup>.

### ثانياً : منظور «بلاو» عن التبادل فى الحياة الاجتماعية :

الواقع أن «بلاو» له عدة مؤلفات هامة <sup>(٢)</sup>، وللتعرف على أهم ملامح المنظور الذى قدمه «بلاو» عن التبادل فى الحياة الاجتماعية ، يمكن الرجوع إلى مؤلفه عن (التبادل والقوة فى الحياة الاجتماعية) Exchange and power in Social life الذى

---

(١) ولد «بيتر بلاو» Peter M. Blau فى (فيينا) Vienna، وحصل على شهادته الجامعية الأولى من كلية (المهرست) Elmhurst عام ١٩٤٢، ثم حصل على درجة الماجستير فى علم الاجتماع من جامعة (كامبريدج) Campridge عام ١٩٥٠، كما حصل على درجة الدكتوراه من جامعة (كولومبيا) Columbia عام ١٩٥٢، وقد قام بالتدريس فى كل من جامعة (كورنل) Cornell و جامعة (شيكاغو) Chicago وفى عام ١٩٧٠ عاد إلى جامعة (كولومبيا) التى سبق أن حصل منها على درجة الدكتوراه ، حيث شغل وظيفة أستاذ علم الاجتماع، وفى عام ١٩٧٤ شغل وظيفة رئيس الجمعى الأمريكية لعلم الاجتماع .  
انظر :

- محمد فؤاد حجازى ، النظريات الاجتماعية ، القاهرة مكتبة وهبة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٢ .  
- Timashiff, N.S. & theodorson, G.A., Op.cit., P. 346.  
(٢) نشر «بلاو» عدة مؤلفات هامة ، منها مؤلفه بعنوان (ديناميكية البيروقراطية) the Dynamic of Bureaucracy الذى نشره عام ١٩٥٥، ومؤلفه عن (البيروقراطية فى المجتمع الحديث) Bureaucracy in Modern Sociery الذى نشره عام ١٩٥٦، بالإضافة إلى مؤلفه بعنوان (تنظيم العمل الأكاديمي) The Organization of Academic Work، الذى نشره عام ١٩٧٣ ، كما اشترك «بلاو» مع «سكوت» W.richard Scott فى إعداد مؤلف بعنوان (التنظيمات الرسمية) Formal organizations عام ١٩٦٢ ، واشترك مع «دنكان» Otis Dudely Duncan فى إعداد مؤلف بعنوان (البناء المهني الأمريكى) The American Occupational Structure عام ١٩٦٧ ، بالإضافة إلى اشتراكه مع «شونهار» Richard A. Schoenherr فى مؤلف بعنوان (بناء التنظيمات) The Structure of Organizations عام ١٩٧١ ، إلا أن إسهام قدمه «بلاو» لنظرية التبادل الاجتماعى قد ورد فى كتابه عن (التبادل والقوة فى الحياة الاجتماعية) Exchange and Power in Social Life الذى نشره عام ١٩٦٤ .  
انظر فى :

- Timasheff, N.S. & Theodorson, Op.cit, P. 346.

نشره عام ١٩٦٤ . إذ يتضمن هذا المؤلف أهم القضايا النظرية التي أثارها «بلاو»، والتي شكلت منظوره الجديدة الذي يطلق عليه (البنائية التبادلية) Exchange Structuralism .

ويذكر «تيماشيف»<sup>(١)</sup>، أن النصف الأول من كتاب «بلاو» السالف الإشارة إليه ، يوضح المقصود بالتبادل والقوة ، فالتبادل الاجتماعي (الذي يمثل التبادل الاقتصادي أحد أنواعه فقط) يعتبر (الميكانيزم) الرئيسى فى الحياة الاجتماعية ، أو المبدأ الرئيسى الذى تنهض عليه الطبيعة البشرية أو يمثل على الأقل جزءاً جوهرياً منها ، أما مفهوم القوة الاجتماعية Social Power ، فيشير إلى (الميكانيزمات) التى تكتل ضبط سلوك الآخرين عن طريق الجزاءات السلبية فمن الضروري أن يكون هناك عقاباً لكل من يخرق القواعد التى تستند إليها النظم العامة التى يتولى صياغتها أصحاب القوة، أما النصف الثانى من كتاب «بلاو» السالف الذكر ، فقد تضمن تحليل الجماعات الثانوية على اعتبار أنها تتكون من جماعات أولية ، بالإضافة إلى توضيح بعض المفاهيم مثل القيم والمعايير الاجتماعية .

وقد استخدم «بلاو» فى منظوره الجديد بعض المفاهيم مثل التشبث الاجتماعية والضبط الاجتماعى على أساس أنها عمليات تعمل على تحقيق النظام فى المجتمع<sup>(١)</sup>.

كما يحتل مفهوم القيم أهمية خاصة فى المنظور الذى قدمه «بلاو»، فالأفراد يشاركون فى علاقات متبادلة فى ضوء مجموعة من القيم . وقد استخدم «بلاو» مفهوم الإتفاق حول القيم للإشارة إلى التضامن والتكامل بين أعضاء الجماعات وتماسك عناصر البناء الاجتماعى ، ويذهب «بلاو» إلى أن المشاركة فى قيم جماعة معينة يشير إلى التضامن والتكامل بين أعضاء هذه الجماعة ، إلا أن الالتزام بقيم جماعة معينة قد يؤدي إلى تمايز واختلاف الجماعات بعضها عن البعض الآخر ، مما قد يؤدي إلى ظهور التناقضات والصراع والعداوة بين الجماعات المختلفة ، إلا

(١) ن . تيماشيف ، المرجع السابق ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٤ .

(2) Turner, J.H., OP.cit., P. 269.

أن بعض القيم العامة قد تخفف من حدة هذه التناقضات والصراع ، وعلى سبيل المثال ، إذا اعتبرنا النجاح الاقتصادي يمثل قيمة مقبولة للإنجاز الاجتماعي ، فإن ذلك قد يؤدي إلى تماسك البناء الاجتماعي، إلا أنه في نفس الوقت بمثابة معيار للتفرقة نسبياً بين الأفراد الذين يحققون هذا النجاح ، وبين الأفراد الذين يعجزون عن تحقيقه بنفس الدرجة ، ومن ثم يتضمن البناء الاجتماعي كل عوامل التماسك المتمثلة في القيم العامة ، بالإضافة إلى عوامل التفكك التي تؤدي إلى الصراع وضعف التضامن الاجتماعي .

وقد استعار «بلاو» من علم الاقتصاد بعض المفاهيم مثل مفهوم التكلفة Cost، والفائدة Profit ، والاستثمار Investments ، ولم يقتصر «بلاو» على مجرد استخدام هذه المفاهيم ، بل حاول صياغة بعض القوانين والافتراضات النظرية الأولية حول التبادل في الحياة الاجتماعية ، تشبه تلك القوانين والافتراضات النظرية الاقتصادية، ويتضمن مؤلف «بلاو» عن (التبادل والقوة في الحياة الاجتماعية) كثيراً من الأمثلة التي توضح محاولاته استخدام قوانين العرض والطلب وتناقص الغلة، والمنحنيات الاقتصادية، في تفسير السلوك الفردي والجماعي<sup>(1)</sup>.

ونجد أن المنظور الذي قدمه «بلاو» يصور الإنسان على أنه منطقي وعقلاني في وضعه لأهدافه وفي تحديده لوسائل تحقيقها ، فالتناس يبحثون بعقلانية عن الأهداف. إلا أن هذه الأهداف تتأثر ببعض العوامل التي ترجع إلى البناء الاجتماعي، أي أن الناس أحراراً في اختيار أهدافهم من خلال بدائل بنائية محددة<sup>(2)</sup>.

وقد استخدم «بلاو» مفهوم التبادل الاجتماعي لتفسير كافة أنماط التجمعات الإنسانية ، وكذلك العمليات التي تتم داخل هذه التجمعات (4: 1964, Blau). ويؤكد «بلاو» أن نفس العمليات الأساسية التي تميز علاقات المواجهة في الجماعات الصغيرة ، تظل قائمة على مستوى الوحدات الكبرى ، فالعمليات الاجتماعية الأكثر

---

(1) Skidmore, W., Op.cit., PP. 96-97.

(2) Poloma, M.M., Op.cit., 61.

تعقيداً تتطور من عمليات بسيطة ويطلق «بلاو» على أنماط التفاعل المنبثقة عن المواجهة المباشرة مصطلح (البناءات الصغرى) Microstructures، وهو يعتبرها (بناءات) لأن المكافآت التي ينطوى عليها هذا اللون من التفاعل إنما تدعم القواعد المنظمة للعلاقات، والسيطرة، والقوة، والضبط الشرعي، وتقسيم العمل، كما أنه يعتبرها (صغرى) لأنها تحدث على مستوى علاقة المواجهة المباشرة، إلا أن عدد الأعضاء يزيد باستمرار، فتتكون البناءات الكبرى، بحيث يمكننا أن نتحدث عن المنظمات الرسمية، والهيئات، والبيروقراطيات، وهذه البناءات الكبرى تتألف بدورها من بناءات صغرى<sup>(١)</sup>.

ويتضح مما سبق، أن «بلاو» ينظر إلى البناء الاجتماعي على اعتبار أنه يتشكل من عدة أجزاء مترابطة، إلا أنه يرى أنه هذا البناء يعد بمثابة ظاهرة تحدث تلقائياً نتيجة عمليات تبادل الاجتماعي.

يرى «بلاو» أن قوى الجاذبية الاجتماعية Social attraction تتركب من الشعور بالانجذاب والرغبة في الحصول على مختلف أنواع المكافآت rewards. وهذه القوى لها جذور في العمليات النفسية الأولية، وتؤدي إلى حدوث عملية تبادل الموارد أو المصادر exchange of resources، التي تعتبر أول خطوة في عملية تكوين الرابطة الاجتماعية Social association، وبمجرد أن تحدث عملية التبادل للموارد أو المصادر يحدث التمايز والاختلاف بين الأفراد في المكانة Status والقوة Power<sup>(٢)</sup>.

وقد اعتبر «بلاو» التبادل يؤدي للصراع طالما أنه يتضمن دائماً التفاوت في توزيع القوة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) محمد على محمد، تاريخ الاجتماع: الرواد والاتجاهات المعاصرة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٣، ص ٥٠١.

(٢) محمد فتّاد حجازي، المرجع السابق، ص ٢٢٤.

(٣) Coser, Lewis, a., the Functions of Social Conflict, London : Free Press of Glencoe, 1956, P.123.



وقد اهتم «بلاو» بتحليل التفاعل المتبادل وأنماط المكافآت والتكاليف التي ينطوى عليها هذا التفاعل. ويفترض «بلاو» أن الأفراد يسعون إلى زيادة المكافآت وتقليل التكاليف ، إلا أن هناك بالضرورة حالات لعدم لتوازن عندما لا تتضمن التبادلات الاجتماعية مكافأة متساوية بالنسبة لطرفي التبادل . وقد جذبت حالات عدم التوازن اهتمام «بلاو» ، واعتبرها ذات أهمية خاصة في فهم بناء الجماعة والقوة الاجتماعية.

وقد كشف منظور «بلاو» عن النتائج المترتبة على أنماط التبادل غير المتوازنة بين الأشخاص ، إذ أن انعدام التوازن يؤكد قدرة أحد أطراف العلاقة التبادلية على تحقيق مكافأة أكثر من الطرف الآخر ، ويترتب على هذه العلاقة غير المتكافئة من حيث العائد الذي يعود على أطراف العلاقة التبادلية، أن يمتلك حد الطرفين للمصادر أو الموارد، وبالتالي اكتساب المكانة والقوة ، والتمتع بالقيادة ، والقدرة على السيطرة على الآخرين ، ويتطلب الموقف من الطرف الآخر الخضوع subordination أو الامتثال compliance لرغبات الطرف الآخر الذي اكتسب المكانة والقوة<sup>(١)</sup>.

وهكذا تؤدي عمليات التبادل الاجتماعي إلى نشأة التمايز بين الأشخاص في المكافآت والقوة. وتحتاج كل المنظمات الاجتماعية إلى هذا النوع من التمايز ، فبدون القادة وبدون امتثال وخضوع المرءوسين للأوامر الصادر من الرؤساء يتعذر أداء العمل وإنجاز أهداف المنظمات، نظرا لأن تنسيق الجهود يحتاج إلى القوة أو السلطة كما يحتاج في نفس الوقت إلى الخضوع أو الامتثال<sup>(٢)</sup>.

وقد حاول «بلاو» الكشف عن الكيفية التي يستطيع بها البناء الاجتماعي تحقيق نوع من الاستقرار أو عدم الاستقرار لأنماط التبادل الاجتماعي، بالإضافة إلى أنه قد حاول التعرف على العوامل التي تؤدي إلى حدوث عملية التغير الاجتماعي. وفي هذا الصدد ، يرى «بلاو» أنه إذا كانت المميزات والمنفعة الناجمة

---

(١) محمد علي محمد ، المرجع السابق ، ص ٤٩٩ - ٥٠٠ .

(2) Heath, Anthony, "Economic Theory And Sociology : A Critique of P.M. Blau's Exchan'g and Power in Social life". Sociology, 2, (September) 1968, PP. 273 - 92.

عن الإذعان أو الامتثال تفوق المشقة والعناء المبذول في العمل طبقاً لرغبة صاحب القوة ، أدى ذلك إلى الاتفاق العام consensus، وبالتالي إلى شرعية القوة ، ومن ثم تصبح السلطة الشرعية أساس التنظيم ، وتؤدي إلى استقراره . أى أن شرعية القوة تؤدي إلى التوازن في العلاقات واستقرار التنظيم .

أما إذا كانت المميزات والمنفعة الناجمة عن الإذعان والامتثال لا تعدل المشقة والعناء المبذول في العمل الذي يرغبه صاحب القوة ، فإن ذلك يؤدي إلى شعور الأفراد بالاستغلال لأنهم يحصلون على مكافآت غير مشبعة وغير كافية ، مما قد يؤدي إلى إحساس الأفراد بالغضب والإحباط أو العدوانية ، وبالتالي رفضهم الجمعي للقوة، ومن ثم تظهر قوى معارضة للجماعة التي في مركز القوة ، ومن ثم يحدث عدم التوازن في العلاقات، والصراع ، وعدم الاستقرار التنظيم وبالتالي حدوث عملية التغير الاجتماعي Social Change<sup>(١)</sup>.

ويتضح مما سبق ، أن المنظور الذي قدمه «بلاو» يجمع بين التحليل على مستوى الوحدات الكبرى والتحليل على مستوى الوحدات الصغرى . ويذهب هذا المنظور إلى أن عمليات التبادل الاجتماعي تؤدي إلى نشأة التمايز والفروق في المكانة والقوة بين الأشخاص ، كما تؤدي إلى استقرار أو عدم استقرار البناء الاجتماعي، بالإضافة إلى أنها تؤدي إلى حدوث عمليات الصراع والتغير الاجتماعي.

### ثالثاً : مدى الالتقاء بين منظور «بلاو» وغيره من الاتجاهات النظرية :

من استعراض الملامح الأساسية للمنظور الذي قدمه «بلاو» عن التبادل في الحياة الاجتماعية، يتضح أن هذا المنظور لا يمكن النظر إليه على اعتبار أنه منظور مستقل تماماً عن غيره من الاتجاهات النظرية السابقة ، مثل الاتجاه البنائي الوظيفي، ونظريات الصراع ، والتفاعلية الرمزية .

وعلى الرغم من أن منظور «بلاو» يختلف عن غيره من الاتجاهات النظرية السابقة اختلافاً واضحاً، إلا أن هذا الاختلاف لا يمنعنا من القول بأن هناك نوع من

---

(١) محمد فؤاد حجازي ، المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

التقارب أو الإلتقاء بين هذا المنظور وبين غيره من الاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع .

ومن الملاحظ أن هناك كثيراً من أوجه الاتفاق بين منظور «بلاو» عن البنائية التبادلية ، وبين الاتجاه البنائى الوظيفى structural functionalism ويتضح هذا الاتفاق خلال استخدام «بلاو» لبعض المفاهيم مثل الاتفاق حول القيم للإشارة إلى التضامن والتكامل بين أعضاء الجماعات وتماسك البناء الاجتماعى<sup>(١)</sup>.

كما يتفق منظور «بلاو» مع الاتجاه البنائى الوظيفى من حيث استخدام هذا المنظور لبعض المفاهيم مثل التشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعى على أساس أنها عمليات تعمل على تحقيق الانتظام فى المجتمع<sup>(٢)</sup>. وقد كان ذلك هو ما يهدف إليه «بارسنور» فى مؤلفه (النسق الاجتماعى) social System ، حيث أشار إلى أن الانتظام فى المجتمع و ما يطلق عليه التوازن الاجتماعى social equilibrium إنما يتحقق ويتم المحافظة عليه عن طريق كل من التشئة الاجتماعية Socialization والضبط الاجتماعى Social Control والأسلوبين مكملين لبعضهما البعض، وهدفهما جعل أفراد المجتمع يمثلون للمعايير التى توجد بالنسق الاجتماعى فإذا فشلت عملية التشئة الاجتماعية فى جعل الأفراد يمثلون للمعايير، فإن عملية الضبط الاجتماعى تجبرهم على ذلك الامتثال<sup>(٣)</sup>.

وبالإضافة إلى ما سبق ، يتفق منظور «بلاو» مع الاتجاه الوظيفى من حيث تخيل كل منهما للطبيعة الإنسانية ، إذ يتفق «بلاو» مع كل من «بارسونز» T.Parsons و «ميرتون» R.Merton فى الاعتقاد بأن الناس يبحثون بعقلانية عن الأهداف، إلا أن هذه الأهداف تتأثر ببعض العوامل التى ترجع إلى البناء الاجتماعى ، فالتناسق أحرار فى اختيار الأهداف من خلال بدائل بنائية محددة<sup>(٤)</sup>.

---

(1) Skidmore , W. Op.cit., P.96.

(2) Turner, J.H., Op.cit., P.269.

(3) Mills, C. Wright, The Sociological Imaginations, London : Oxford Univeristy Press, 1969, PP. 32 - 33.

(4) Poloma, M.M Op.cit., P.61 .

كما يتفق منظور «بلاو» مع الاتجاه البنائى الوظيفى من حيث مفهومه عن البناء الإجتماعى . إذ ينطلق مفهوم البناء الاجتماعى عند «بلاو» P.M. Blau<sup>(1)</sup> من مفهومات محسوسة بسيطة للأجزاء المكونة له، والعلاقات بين هذه الأجزاء. فأجزاء البناء الاجتماعى تتمثل فى الجماعات أو الفئات الاجتماعية كالرجال ، والنساء، والجماعات الإثنية، أو الطبقات الاجتماعية الاقتصادية . وتمثل هذه الأجزاء مراكز الناس فى الجماعات والطبقات المختلفة. ونجد أن الارتباط بين كل من هذه الأجزاء وبين الأجزاء وبعضها البعض تمثل العلاقات الاجتماعية بين الناس فى مختلف الجماعات والطبقات ، والتي تعبر عن نفسها خلال عملية التفاعل والاتصال بين الناس.

إلا أن منظور «بلاو» يختلف عن الاتجاه البنائى الوظيفى من حيث افتراض هذا المنظور أن البناء الاجتماعى يعد بمثابة ظاهرة تحدث تلقائياً نتيجة عمليات التبادل الاجتماعى . أما الاتجاه البنائى الوظيفى ، فيفترض وجود البناء الاجتماعى دون الحاجة إلى إثبات وجود عن طريق أى جهد نظرى<sup>(2)</sup> وبينما تميل البنائية الوظيفية إلى التركيز على جانب واحد فقط للعلاقة بين متغيرين ( أ ) ، ( ب ) ، نجد أن البنائية التبادلية تسمح بتحليل كافة أنماط التفاعل المتوقعة بين هذين المتغيرين . فالبنائية الوظيفية تعنى ببحث النتائج المصاحبة للمتغير ( أ ) على الظاهرة الاجتماعية (ب)، وتفترض أن تأثير (ب) شئ آلى أو لا يمثل مشكلة يجب دراستها. أما البنائية التبادلية ، فهي تشير إلى ضرورة بحث كلا الجانبين أى دراسة العلاقات المتبادلة بين المتغيرين.

كما أن هناك نوع من الاتفاق بين منظور «بلاو» وبين نظريات الصراع Conflict theories . وذلك كما يبدو من خلال عرض «بلاو» لمنظوره عن الصراع الجدلى. فلم يتجاهل «بلاو» حدوث عمليات الصراع، وإنما اعتبر التبادل مؤدياً إلى

---

(1) Blau, Peter M., "Parameters of Social Structure" , In Peter M. Blau (ed.), Approaches of the Study of Social Structure, New York : the Free Pres, 1975, P.221.

(2) Poloma, M.M., Op.cit ., P.61.

الصراع، طالما أنه يتضمن دائماً على التباين أو التفاوت في توزيع القوة<sup>(١)</sup>. بالإضافة إلى أنه لم يتجاهل حدوث عملية التغير الاجتماعي . ومن ثم يتفق منظور «بلاو» مع نظريات الصراع في الاهتمام بدراسة الصراع والتغير الاجتماعي .

وبالإضافة إلى ما سبق ، يتفق المنظور الذي قدمه «بلاو» مع كل من اتجاه التفاعلية الرمزية Symbolic interactionism واتجاه الاهتمام بدراسة علاقات الوجه للوجه في مواقف التفاعل المختلفة. فعلى الرغم من اهتمام «بلاو» بالتبادل على مستوى البناء الاجتماعي ، إلا أنه يؤكد أن نفس العمليات الأساسية التي تميز علاقات المواجهة تظل قائمة على مستوى الوحدات الأكبر. ويطلق «بلاو» على أنماط التفاعل المنبثقة عن المواجهة المباشرة مصطلح البناءات الصغرى Microstructures<sup>(٢)</sup>. مما يشير إلى أن منظور «بلاو» قد جمع بين التحليل على مستوى الوحدات الكبرى والتحليل على مستوى الوحدات الصغرى<sup>(٣)</sup>.

كما نجد أن هناك بعض أوجه التشابه بين المنظور الذي قدمه «بلاو» وبين غيره من المنظورات الأخرى التي قدمها بعض علماء الاجتماع المعاصرين من أصحاب نظرية التبادل الاجتماعي أمثال «هومانز» G. C. Homans ، و«ثيبوت» J. Thibaut ، و«كيللي» H.Kelly ، حيث أولى كل منهم موضوع التبادل في الحياة الاجتماعية المحل الأول من عنايته، وانطلق كل منهم من مسلمة أساسية، تزعم أنه من الملائم تناول البناء الاجتماعي من وجهة النظر الفردية. إلا أن الاختلاف الأساسي بين المنظور الذي قدمه «بلاو» وبين غيره من المنظورات السابقة، يتمثل في اهتمام «بلاو» بالتبادل الاجتماعي على مستوى البناء الاجتماعي، على اعتبار أن هذا البناء ينبثق عن أنماط التبادل. وذلك على عكس المنظورات النفسية للتبادل<sup>(٤)</sup>.

ويجدر الإشارة إلى أن «بلاو» و«هومانز» يعتبران من أهم المنظرين الذين

---

(١) محمد عاطف غيث ، الموقف النظري في علم الاجتماع ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٠ . ص ١١٤ .

(٢) محمد علي محمد ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(3) Turner, J.H., Op.cit., P.242.

(4) Skidmore, W., Op.cit., P.91.

يمثلون حالياً نظرية التبادل الاجتماعي. إلا أن «بلاو» قد اهتم بالجوانب البنائية للتبادل الاجتماعي، لذلك يطلق على منظوره (البنائية التبادلية) . أما «هومانز» فقد اهتم بالجوانب النفسية الفردية، ودراسة السلوك الاجتماعي. لذلك يطلق على منظوره (السلوكية التبادلية) Exchange Behaviorism<sup>(1)</sup> ونجد أن اهتمام «بلاو» بالتبادل الاجتماعي على مستوى البناء الاجتماعي ، قد جعل «بيترليك» Peter P. Ekeh<sup>(2)</sup> يصف ما قام به «بلاو» بأنه يمثل اتجاه بنائي جمعي، بينما يصف ما قام به «هومانز» بأنه يمثل نظرية سلوكية فردية .

ويتفق «بلاو» مع «هومانز» من حيث أن البناءات الاجتماعية المعقدة قد تنشأ عن عمليات التبادل الاجتماعية الأساسية . إلا أن «هومانز» يذهب إلى أن هذه البناءات الاجتماعية التي تنشأ لا يكون لها قوانينها الخاصة المستقلة، وأن جميع العمليات الاجتماعية ترجع إلى الظواهر النفسية الأساسية<sup>(3)</sup>. وعلى عكس ما سبق، يرى «بلاو» أنه بمجرد أن تنشأ هذه البناءات الاجتماعية المعقدة، فهي تحقق استقلالها، ويكون لها قوانينها الخاصة غير المعتمدة على العمليات الاجتماعية الأساسية التي أدت إلى ظهورها<sup>(4)</sup>.

ويتضح مما سبق، أن هناك نوع من الالتقاء بين المنظور الذي قدمه «بلاو» عن البنائية التبادلية وبين غيره من الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، مثل الاتجاه البنائي الوظيفي، ونظرية الصراع، والتفاعلية الرمزية. فقد حاول «بلاو» أن يجمع بين المفاهيم والافتراضات النظرية التي أثارها الاتجاهات النظرية السابقة في منظور سوسيولوجي واحد. مما يشير إلى أن هذا المنظور الذي قدمه «بلاو» يعد بمثابة محاولة لإحداث التكامل بين عدة اتجاهات نظرية مختلفة. ويأمل الباحث أن يستمر التقارب والالتقاء بين الاتجاهات النظرية المختلفة في علم الاجتماع، بهدف التوصل إلى نظرية سوسيولوجية موحدة .

(1) Turner, J.H., Op.cit., P.19.

(2) Ekeh, Peter P., Social Exchange Theory : The Two Traditions, Cambridge, Mass: Harvard University Press, 1974, P.180.

(3) Turk, H., & Simpson (eds.), Institutions and Social Exchange , Indianapolis: Bobbs-Merrill , 1971k, P.373.

(4) Blou, P.M., Op.cit., P. 193.

رابعاً : تقييم مدى إسهام منظور «بلاو» فى تطوير نظرية التبادل الاجتماعى :

لتقييم منظور «بلاو» عن التبادل فى الحياة الاجتماعية (البنائية التبادلية) ، يتطلب الأمر تحديد بعض الأسس الموضوعية التى يتحدد على أساسها هذا التقييم . ومن هذه الأسس الافتراضات أو المسلّمات الأساسية التى تدور حولها النظرية فيما يتعلق بالواقع الاجتماعى، وفيما يتعلق بطبيعة الإنسان وقدراته، وعلاقة العالم بالظواهر الاجتماعية التى يدرسها، ومستوى النظرية ومدى الشمول فيها . وذلك بالإضافة إلى بعض أسس التقييم الأخرى مثل المضمون الأيديولوجى للنظرية ، والأدلة على صدق المسلمات والاستنتاجات التى تتضمنها النظرية ، والإجراءات العملية التى تشير إليها <sup>(١)</sup> .

ويتضمن منظور «بلاو» بعض الافتراضات الخاصة بطبيعة الواقع الاجتماعى . إذ يفترض هذا المنظور أن البناء الاجتماعى يعد بمثابة ظاهرة تحدث تلقائياً نتيجة عمليات التبادل الاجتماعى . وقد سبق أن أشرنا إلى أن «بلاو» قد حاول التعرف على العوامل التى تؤدى إلى التكامل والاستقرار من جهة، بالإضافة إلى التعرف على العوامل التى تؤدى إلى الصراع والتغير الاجتماعى من جهة أخرى . أى أن منظور «بلاو» يتضمن بعض الافتراضات التى تتعلق بكل من الاستقرار والتغير فى البناء الاجتماعى . كما أن هذا المنظور يتضمن بعض الافتراضات المتعلقة بكل من التكامل والصراع فى الواقع الاجتماعى . مما يشير إلى أن منظور «بلاو» يعتبر بمثابة محاولة لاحداث التكامل بين الاتجاهات النظرية المختلفة فى علم الاجتماع .

وبتحليل منظور «بلاو» يتضح أن هذا المنظور يتضمن أيضاً بعض الافتراضات عن طبيعة الإنسان وقدراته، فهو يهوضه على أنه منطقى وعقلانى فى وضعه لأهدافه وفى تحديده لوسائل تحقيقها . فالإنسان يبحث عن أهدافه بعقلانية، ويقوم بإختيار أهدافه من خلال بدائل بنائية محددة . أى أن أهداف الإنسان تتأثر ببعض العوامل التى ترجع إلى البناء الاجتماعى <sup>(٢)</sup> إلا أننا نلاحظ أن منظور «بلاو» - شأنه

(١) سمير نعيم أحمد ، المرجع السابق ، ص ٦٠ - ٧٣ .

(2) Poloma, M.M., Op.cit., P. 61.

شأن المنظورات المختلفة التى تتضمنها نظرية التبادل الاجتماعى- يتضمن نزعة ضد الإنسان ، فهو يصوره على اعتبار أنه كائن اقتصادى نفعى ينحصر سلوكه فى حساب المكافأة والتكلفة تحقيقاً لرغباته وميوله الفردية الخاصة. فالأفراد ينضمون إلى عضوية الجماعات لأسباب نفعية <sup>(١)</sup> كما يتضمن منظور «بلاو» بعض المتغيرات التى استخدمها فى تفسيره للظواهر التى يدرسها ، والتى تعكس افتراضاته الأساسية عن طبيعة الواقع الاجتماعى، ومن أهم هذه المتغيرات، متغير القوة الاجتماعية Social Power ومتغير القيم الثقافية Cultural Values ويتضح أهمية متغير القوة من عنوان مؤلفه (التبادل والقوة فى الحياة الاجتماعية). ويشير هذا المتغير إلى (الميكانيزمات) التى تكفل ضبط سلوك الآخرين عن طريق الجزاءات السلبية، فمن الضروري أن يكون عقاباً لكل من يخرج على القواعد التى تستند إليها النظم العامة التى يتولى صياغتها أصحاب القوة . كما يحتل متغير القيم أهمية خاصة فى منظور «بلاو» حيث إنه ذهب إلى أن الأفراد يشاركون فى علاقات متبادلة فى ضوء مجموعة من القيم. وقد استخدم «بلاو» مفهوم الاتفاق حول القيم للإشارة إلى التضامن والتكامل بين أعضاء الجماعات وتماسك عناصر البناء الاجتماعى .

أما عن الافتراضات الأساسية التى وردت فى منظور «بلاو» المتعلقة بمستوى النظرية ومدى الشمول فيها. فنجد أن المنظور الذى قدمه «بلاو» يتميز بمحاولته الجمع بين التحليل على مستوى الوحدات الصغرى والتحليل على مستوى الوحدات الكبرى فقد حاول «بلاو» سد الثغرات الموجودة بين دراسة العمليات الصغرى للتفاعل، والصراع ، والتبادل بين الأفراد من جهة ، وبين دراسة الوحدات البنائية كالجماعات، والمجتمعات المحلية، والتنظيمات، والنظم الاجتماعية من جهة أخرى<sup>(٢)</sup>.

ونجد أن منظور «بلاو» يختلف عن غيره من المنظورات الأخرى التى تتضمنها نظرية التبادل الاجتماعى من حيث اهتمام هذا المنظور بالتبادل الاجتماعى على مستوى البناء الاجتماعى. أما المنظورات الأخرى فقد ردت العمليات الاجتماعية إلى

---

(١) محمد على محمد ، المرجع السابق ، ص ٥٠٤ .

(2) Poloma, M.M., Op.cit., P. 62.



الظواهر النفسية الأولية. واهتمت بالجوانب الفردية النفسية <sup>(١)</sup> ومن ثم فإن هذه المنظورات الأخرى قد جعلت السلوك في النهاية هو الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع، وهو الوحدة الأساسية للتحليل السوسيولوجي ، مما يجعل من علم الاجتماع علماً إمبيريقياً يعتمد على استخدام بعض الأساليب مثل الإحصاء ، ودراسة الحالة، والدراسة المقارنة <sup>(٢)</sup>.

ويتضمن منظور «بلاو» بعض جوانب القوة والضعف. وتتمثل جوانب القوة في محاولة هذا المنظور الاستفادة من القضايا الحيوية التي قدمتها بعض الاتجاهات النظرية السابقة مثل الوظيفية، ونظريات الصراع، والتفاعلية الرمزية، والمنظورات المختلفة الأخرى لنظرية التبادل الاجتماعي ، وذلك مع محاولة تلافي أوجه النقد التي تعرضت لها هذه الاتجاهات النظرية السابقة، وعلى سبيل المثال، نجد أن منظور «بلاو» قد اهتم بدراسة التبادل على مستوى البناء الاجتماعي، مما جعل منظره يقترب من الوظيفية. إلا أنه في نفس الوقت قد اهتم بدراسة التغير الاجتماعي، وذلك حتى يتلافى أوجه النقد التي وجهت إلى الوظيفية على أساس إهمالها لدراسة التغير الاجتماعي. أي أن منظور «بلاو» يعد بمثابة محاولة للتقريب بين عدة اتجاهات نظرية مختلفة. فقد حاول «بلاو» أن يجمع بين المفاهيم والافتراضات التي أثارها الاتجاهات النظرية السابقة في منظور سوسيولوجي واحد. ومن ثم فإن «بلاو» يشبه إلى حد كبير بعض المنظرين - مثل «بارسونز» T. Parsons الذين حاولوا تطوير نظرية سوسيولوجية عامة، وقدموا إسهامات ملفتة في مجال بناء نظرية علم الاجتماع <sup>(٣)</sup>.

إلا أنه مما يؤخذ على هذا المنظور الذي قدمه «بلاو» أنه قد جعل التبادل الاجتماعي محوراً لمختلف أنماط السلوك في جميع المواقف. أي أن كثيراً من أنماط السلوك الإنساني توجد عن طريق التبادل <sup>(٤)</sup> ، وأنه يتعين حساب العلاقات

---

(1) Turner, J.H., Op.cit., P. 242.

(2) Poloma, M.M., Cti, P61 .

(3) Martindal , D., Op.cit., P.432.

(4) Timasheff, N.S. & Theodorson, G.A., Op.cit., P.349.

الاجتماعية التى تنشأ بين الأفراد فى ضوء متغيرات اقتصادية خالصة. بالإضافة إلى أن هذا المنظور قد أدخل مفهوم البناء الاجتماعى إلى خريطة التبادل الاجتماعى بصورة تعسفية، بوصفه مفهوماً يمكن اختزاله إلى مجموعة تفاعلات شخصية تقوم على علاقة المواجهة المباشرة<sup>(١)</sup>.

ومن أوجه النقد الأخرى التى تعرض لها منظور «بلاو» عن التبادل فى الحياة الاجتماعية، أن هذا المنظور قد استخدم مفهومات غير دقيقة، واعتمد على بعض المبادئ الأساسية غير المحددة بشكل واضح. بالإضافة إلى اقتصار أفقه على الاقتصاد والحياة السياسية، وندرة استخدامه لحقائق من الخبرة اليومية<sup>(٢)</sup> ومن ثم يرى بعض النقاد أن معالجة هذا المنظور للواقع الاجتماعى تعد معالجة غامضة وغير دقيقة، وغير مقنعة من الناحية السوسيولوجية.

ويشير «بيرسى كوهن» Percy Cohen<sup>(٣)</sup> إلى أن تحليل «بلاو» لنشأة التمايز والفروق بين الأشخاص فى القوة نتيجة عمليات التبادل الاجتماعى، يتجاهل الموقف الاجتماعى الذى تظهر فيه القوة. أى أن هذا المنظور يتجاهل الظروف الاجتماعية الخارجية المسؤولة عن ظهور القوة. فالقيادة لا يمكن أن تظهر إلا إذا تهيأت الظروف المناسبة لاستخدام الشخص لمهاراته وتحقيق أهدافه. وقد تكون هذه الظروف هى المسؤولة عن ظهور نمط القيادة.

ويتضح مما سبق، أن منظور «بلاو» قد تعرض لبعض أوجه النقد، خاصة من بعض المؤيدين للاتجاهات النظرية المختلفة التى حاول «بلاو» أن يستفيد من مفهوماتها وقضاياها فى صياغة منظوره الجديد عن (البنائية التبادلية). فقد رأى هؤلاء المؤيدين للاتجاهات النظرية الأخرى أن منظور «بلاو» سوف يضعف من شأن اتجاهاتهم النظرية، وأنه من الصعب صياغة منظور جديد يجمع بين عدة اتجاهات نظرية متباينة داخل إطار منظور سوسيولوجى واحد. ومن ثم يرجئ بعض علماء

---

(١) محمد على محمد، المرجع السابق، ص ٥٠٤.

(2) Timasheff, N.S. & theodorson, G., Op.cit., P.P.348.

(3) Cohen, Percy, Modern Social theory, New York: Basic Books, 1968, PP. 123 - 124.

الاجتماع تقيييمهم لمدى الإسهام الذى قدمه منظور «بلاو» إلى أن يتم التحقق من صدق القضايا التى يثيرها هذا المنظور عن طريق البحث الإمبريقي من جهة، ومن خلال التطور النظرى من جهة أخرى (١) .

ويجدر الإشارة إلى أن أوجه النقد التى تعرض لها منظور «بلاو» تعد قليلة نسبياً بالمقارنة بأوجه النقد التى تعرض لها منظور «هومانز» عن السلوكية التبادلية (٢) كما أن هذا المنظور يتضمن من جوانب القوة ما قد يفوق جوانب النقص (٣) إلا أننا يجب أن نلاحظ أن القضايا النظرية التى أثارها نظرية التبادل بوجه عام ، والتى أثارها «بلاو» فى منظوره عن (البنائية التبادلية) بوجه خاص ، إنما تعكس طابع الحياة والثقافة الأمريكية، فهى تعد بمثابة تعبير واضح ومثال حى للمجتمع الأمريكى وما يسوده من نزعة فردية ، والسعى من أجل الربح، واعتبار هذا الربح مقياس كل شئ ، حتى العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين أعضاء المجتمع يتعين حسابها فى ضوء مقولات اقتصادية خالصة.

ويرى الباحث ، أنه إذا كانت نظرية التبادل الاجتماعى قد نشأت فى المجتمع الأمريكى ، فقد تكون ملائمة للواقع الاجتماعى فى هذا المجتمع. ويجب على الباحثين فى المجتمع العربى الحذر عند الاستعانة بمثل هذه النظرية فى توجيه البحوث الاجتماعية التى تجرى فى المجتمع العربى الذى يختلف واقعه عن واقع المجتمع الذى ظهرت فيه هذه النظرية.

\*\*\*

---

(1) timasheff, N.S. & Theodorson, G.A., OP.cit., P.349.

(2) Turner, J.H., Op.cit., P.269.

(3) Poloma, M.M. Op.cit., 62.

## خاتمة :

تعد نظرية التبادل الاجتماعي من النظريات المعاصرة التي ظهرت كإحدى البدائل النظرية في علم الاجتماع الغربي. وترجع الجذور الفكرية لهذه النظرية إلى كل من الاقتصاد النفعي، والأنثروبولوجيا الوظيفية، وعلم النفس السلوكي. وتقوم هذه النظرية على أساس أن الأفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض بطريقة عقلانية رشيدة، نظراً لأنهم يحصلون عن طريق هذا التفاعل على بعض المكافآت الاجتماعية التي تفوق التكلفة التي تترتب على هذا التفاعل ، ويتكون المجتمع من مجموعة التبادلات التي تتم بين الأفراد، والتي تتخذ بمرور الوقت شكل التنظيمات المعقدة، وتعتبر أساس النظام الاجتماعي العام .

ويعتبر «بيتر بلاو» P. M. Blau من أهم العلماء الذين أسهموا في تطوير نظرية التبادل الاجتماعي. ففي مؤلفه بعنوان (التبادل والقوة في الحياة الاجتماعية) قدم منظوره عن التبادل في الحياة الاجتماعية. وقد ذهب «بلاو» في هذا المنظور إلى أن التبادل الاجتماعي يعد المبدأ الرئيسي الذي تنهض عليه الطبيعة البشرية. ويؤدي هذا التبادل إلى استقرار البناء الاجتماعي، كما أنه يؤدي إلى حدوث عملية التغير الاجتماعي. فالأفراد تحركهم وتجذبهم الرغبة في الحصول على مختلف أنواع المكافآت. وعن طريق التبادل الاجتماعي ينشأ التمايز والفروق بين الأفراد في المكافآت والقوة .

ويؤدي الاتفاق العام أو التأييد الجمعي لموقف القوة إلى شرعيتها، وبالتالي إلى استقرار البناء الاجتماعي، أما الرفض لموقف القوة، والإحساس بالاستغلال أثناء عملية التبادل الاجتماعي، يؤدي إلى عدم التوازن في العلاقات ، وإلى المعارضة، والصراع ، وبالتالي حدوث عملية التغير الاجتماعي .

وبعد هذا المنظور الذى قدمه «بلاو» بمثابة إسهام نظرى فى سبيل إنشاء نظرية عامة إستقرائية تحاول دراسة التبادل الاجتماعى على مستوى البناء الاجتماعى. ومن ثم يطلق على هذا المنظور (التبادلية البنائية) Exchange Structuralism . ويتميز هذا المنظور بعدم الاقتصار على مجرد الاهتمام بالجوانب الفردية النفسية فى عملية التبادل على النحو الذى اتبعه «هومانز» G. C. Homans فى منظوره الذى يطلق عليه (التبادلية السلوكية) Exchange Behaviorism .

كما يتميز المنظور الذى قدمه «بلاو» بمحاولته إضافة بعض المبادئ الاقتصادية إلى وجهة النظر الاجتماعية التبادلية، وصياغة بعض القوانين والافتراضات النظرية الأولية عن التبادل فى الحياة الاجتماعية، تشبه تلك القوانين والافتراضات النظرية الاقتصادية، مما قد يثرى عملية التفسير السوسيولوجى .

وبالإضافة إلى ما سبق حاول «بلاو» الاستفادة من المفاهيم والافتراضات المختلفة التى وردت فى بعض النظريات السوسيولوجية مثل الوظيفية ونظرية الصراع، والتفاعلية الرمزية. مما يشير إلى أنه قد حاول سد الثغرات الموجودة بين التحليل على مستوى الوحدات الكبرى والتحليل على مستوى الوحدات الصغرى .

وعلى الرغم من أن منظور «بلاو» يتضمن من جوانب القوة ما قد يفوق جوانب النقص، إلا أننا لا زلنا فى حاجة إلى التحقق من صدق القضايا التى تثيرها هذا المنظور عن طريق البحث الإمبريقي ، خاصة فى المجتمع العربى الذى يختلف واقعه عن واقع المجتمع الأمريكى الذى ظهر فيه منظور «بلاو» عن التبادلية البنائية.

\* \* \*

## المراجع

أولاً: المراجع العربية  
ثانياً: المراجع الأجنبية



## المراجع

### أولاً : المراجع العربية :

- ١ - السيد حامد ، النظرية الإنثروبولوجية، البنائية : كلود ليفى ستروس، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦ .
- ٢ - السيد محمد الحسينى، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم ، القاهرة: دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ .
- ٣ - بيرس كوهن، النظرية الاجتماعية الحديثة ، ترجمة وتقديم عادل مختار الهوارى، القاهرة : مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٠ .
- ٤ - جورج ريتز ، رواد علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، الإسكندرية: منشأة المعارف ، ١٩٧٣ .
- ٥ - جون ركس ، مشكلات أساسية فى النظرية الاجتماعية، ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، الإسكندرية: منشأة المعارف ، ١٩٧٣ .
- ٦ - رايت ميلز ، الخيال العلمى الاجتماعى، ترجمة عبد الباسط عبد المعطى وعادل مختار الهوارى ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ .
- ٧ - سامية الخشاب ، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة ، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢ .
- ٨ - سامية محمد جابر ، القانون والضوابط الاجتماعية ، مدخل علم الاجتماع إلى فهم التوازن فى المجتمع ، الإسكندرية ، دارالمعرفة الجامعية ، ١٩٨٢ .
- ٩ - سناء الخولى ، الأسرة والحياة العائلية ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨٤ .
- ١٠ - سمير نعيم أحمد ، النظرية فى علم الاجتماع : دراسة نقدية ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١ .



- ١١ - طلعت إبراهيم لطفى، «المدخل النظرية فى دراسة التنظيم»، حولية مجلة الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قطر، العدد الثامن، ١٩٨٥.
- ١٢ - \_\_\_\_\_، «المنظور الإثنوميثودولوجى ومدى إسهامه فى تطوير نظرية علم الاجتماع المعاصرة»، مجلة العصور، لندن: دار المريخ للنشر والإنتاج الفنى، يوليو ١٩٨٦.
- ١٣ - \_\_\_\_\_، «بيتر بلاو ومدى إسهامه فى تطور نظرية التبادل الاجتماعى»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد ٤٦، ١٩٩٤.
- ١٤ - على ليلة، النظرية الاجتماعية المعاصرة: دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١.
- ١٥ - على عبد الرازق جلى، الاتجاهات الأساسية فى نظرية علم الاجتماع: الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، (ولم يذكر تاريخ النشر).
- ١٦ - كمال عبد الحميد الزيات، بناء النظرية فى علم الاجتماع نموذج نظرية تقسيم العمل، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٩١.
- ١٧ - محمد عاطف غيث، الموقف النظرى فى علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠.
- ١٨ - \_\_\_\_\_ وآخرون، مجالات علم الاجتماع المعاصر: أسس نظرية ودراسات واقعية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٢.
- ١٩ - محمد عبد الرحمن الشرنوبى، الإنسان والبيئة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١.
- ٢٠ - محمد على محمد، تاريخ علم الاجتماع: الرواد والاتجاهات المعاصرة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٢.
- ٢١ - محمد عوض عبد السلام، الفعل الاجتماعى عند تالكوت بارسونز: دراسة تحليلية نقدية، الإسكندرية: دار المطبوعات الجديدة، ١٩٨٦.

- ٢٢ - محمد فؤاد حجازي، النظريات الاجتماعية ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٠ .
- ٢٣ - محمد الفريب عبدالكريم ، السيولوجيا الراديكالية : دراسة نقدية تحليلية في النظرية الماركسية ، الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٨ .
- ٢٤ - نبيل محمد توفيق السمالوطي ، الأيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر: دراسة تحليلية للمشكلات النظرية والمنهجية ، والإسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- ٢٥ - نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع : طبيعتها وتطورها ، ترجمة محمود عودة وآخرون، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ .

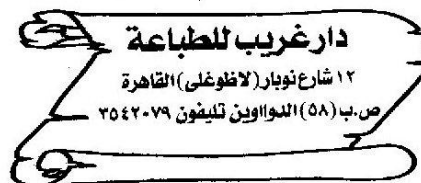
#### ثانياً : المراجع الأجنبية :

- 1 - Abraham, M.Francis , Modern Sociological Theory, Oxford : Oxford University Press, 1982.
- 2 - Bierstedt, Robert, "Critique of Blan's Exeheange and power in social Life", A merican Sociological review, 30, (October)1965.
- 3 - Blan, Peter M., "Parameters of social structure", in Peter M Blan(ed), Approaches to the Study of social structure , N.Y.: The Free Press, 1975.
- 4 - Blumer, Herbert, "Symbolic Interactionism: perspective and Methods", Englewood cliffs , New Jersey : Prentice - Hall Inc., 1969.
- 5 - Broom, L., selznick, P.& Darroch, B., Sociology : A Text with Adapted readings, New York: Harper & Row, Pnblishers, 1981.
- 6 - Cohen, Percy, Modern Social Theory, New York : Basic Books, 1968.
- 7 - Coleman, James W. & cressey, D.R., Social Problems, New York: Harper & Row Pnblishers, 1987.
- 8 - Coleman, James W., Review, Symposium", American Sociolgical Review, 33, February, .
- 9 - Conklin, John E., Sociology : an Introduction, New York : Macmillan Publishing Company, 1987 .

- 10 - Coser, Lewis A., *Masters of Sociological Thought: Ideas in Historical and Social Context*, New York : Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1977.
- 11 - Coser, Lewis A., *The Functions of social conflict*, New York: Free Press, 1956 .
- 12 - Cuff, E.C. & Payne, G.C. (eds.), *Perspectives in Sociology*, London: George Allen & Unwin, 1979.
- 13 - Dahrendorf, Ralf, *Essays in the theory of Society* , Stanford, California: Stanford University Press, 1968 .
- 14 - Denzin, Norman K., "Symbolic Interactionism and Ethnomethodology in : Douglas J. D.(eds.) *Understanding Everyday Life* , London: Routledge & Kegan Paul, 1974.
- 15 - Douglas , Jack D. et. al., *Introduction to the Sociology of Everyday life* , Boston : Allyn and Bacon, Inc., 1980 .
- 16 - Dreitzel , Hans Peter, *Recent Sociology*, New York: Macmillan, 1970.
- 17 - Ekeh, Peter P., *Social Exchange Theory : The Two Traditions*, Cambridge, Mass : Harvard University Press, 1974.
- 18 - Emerson, Richard M., "Social Exchange Theory", in Alex Inkeles (ed.), *Annual Review of sociology*, Vol.2, Palo Alto, Calif: Annual Review, Inc., 1976.
- 19 - Garfinkel, Harold, *Studies in Ethnomethodology* , Englewood cliffs, N.J. : Prentice - Hall, 1967.
- 20 - Goffman , Erving, *Interaction Ritual: Essays on Face-to-Face Behavior*, New York: Doubleday, 1967.
- 21 - \_\_\_\_\_ , *The Presentation of self in Everyday life*, New York : Doubleday, 1959.
- 22 - Gouldner, Alvin, *The Coming Crisis of Western Sociology*, London: Heinemann , 1971.
- 23 - Hamilton , Peter, *Knowledge and social Structure*, London: Routledge & Kegan Paul, 1979.
- 24 - Haralambos, M. & Heald, R., *Sociology : Themes and Perspectives* , University Tutorial Press Limited , 1980.

- 25 -Heath, Anthony, Economic Theory and sociology : Acritique of P.M. Blou's Exchange and Power in social Life" Sociolgy, 2, (september)1968.
- 26 - Homans , George C., Social Behaviour : Its Elementary formas, New York: Harcouty, Brace andWorld , 1961.
- 27 - Horton, P.B.& Hunt , C.W., Sociology , New York: Mc Graw- Hill Book Co. 1980 .
- 28 - Kaplan, AbrahamThe conduct of Inquiry, San Francisco : Chandler Publishing Co., 1964.
- 29 - Kerbo, Harold R., Sociology: Social structure and social Conflict, New Youk: Macmillan Publishing Company, 1989.
- 30 - Martindale, Don, Nature and Types of sociological Theory, London: Routledge & Theory, Kegan Panl, 1967.
- 31 - Mc Gree, Reeceet al., Sociology: An Introduction, Illinois : The Dryden Press, 1977.
- 32 - Mehan, H.&Wood, H., The Reality of Ethnomethodology, New York: wiley, 1975.
- 33 - Meltzer, B., Petras, J.& Reynolds , L., Sympolic Interactionism, London: Routledge & Kegan Paul, 1975.
- 34 - Mills, C.Wright, The Sociological Imagination, New York : Oxford University Press, 1979.
- 35 - Persell, Caroline Hodges, understanding Society, New York: Harper & Row, Publishers, 1987.
- 36 - Philips, Bernard, Sociology: From Concepts to practice, New York: Mac graw- Hill Book Co., 1979.
- 37 - Rex, John, Key Problems of Sociological Theory, London : Routledge and Kegan Paul, 1978.
- 38 - Rex, J., Sociology and Demystigation of Modern World, London:Routledge and Kegan Paul, 1975.
- 39 - Roche. Mourice, Phenomenology, Language and the social sciences, London, Routhedge & Kegan Paul, 1973.
- 40 - Singleton, Royce et al., Approaches to social Research , Oxford : Oxford university Press, 1988.

- 41 - Skidmore, William, Theoretical Thinking in Sociology, Cambridge University Press, 1979.
- 42 - Smelser, N.J.& Warner, R.S., sociological theory: Historical and Formal, N.J.: General Learning Press, 1976.
- 43 - Taylor , I., Walton, P.& Young, J., Critical Criminology, London: Routledge & Kegan Paul, 1975.
- 44 - Thio, Alex, Sociology: An Introduction, New York: Harper & Row, Publishers, 1986.
- 45- Timasheff, NicholasS.& Theodorso, George A., Sociological Theory : Its Nature and Growth, New York: Random Hause, 1976.
- 46 - Tischler, H. et al., Introduction to sociology, New York : Holt, Rinehart & Winston, 1983.
- 47 - Turk, H.& simpson (eds.), Institutions and social Exchange Indionapolis: Bobbs-Merrill, 1971.
- 48 - Turner , Jonathan H., The structure of Sociological Theory, Illinois : The Dorsey Press, 1982.
- 49 - Wallace, Walter L. (ed.), Sociological Theory Chicago : Aldin, 1969.
- 50 - Zanden, James W. Vander, The social Experience, New York: Mc Graw- Hill Publishing Company, 1990.
- 51- Zeitlin, Irving M., Ideology and the Development of Sociological Theory, New Delhi: Prentice Hall, 1969.
- 52 - Zimmerman, D. & Wieder, W., "Ethnomethodology and the problem of order : Comment on Denzin", in : Douglas. J.D.(ed.), understanding Everyday life, London : Routledge & Kegan Paul, 1974.







## هذا الكتاب

يعد هذا الكتاب من الكتب الأساسية فى النظرية الاجتماعية المعاصرة ، حيث يتضمن عرضا لأحدث النظريات أو المنظورات الأساسية فى علم الاجتماع ، وهى : المنظور الوظيفى ، ومنظور الصراع ، والمنظور التفاعلى . كما يعرض هذا الكتاب للمنظور الاشتوميثودولوجى ومنظور التبادل الاجتماعى .

ولم يكتف هذا الكتاب بعرض المنظورات المختلفة فى علم الاجتماع وتقييمها ، بل حاول توضيح كيفية تطبيق كل من هذه المنظورات فى تفسير بعض الظواهر والنظم والمشكلات الاجتماعية ، مثل : الأسرة ، والتنشئة الاجتماعية ، ومشكلة عدم المساواة بين النوعين (الجنسين) ، والمشكلات الحضارية ، والمشكلات البيئية ، ومشكلة الجريمة ، الأمر الذى قد يساعد الباحثين وطلاب الدراسات العليا عند تبني أحد هذه المنظورات كموجه نظرى لدراساتهم ، ويعاونهم على القيام بعملية التحليل السوسيولوجى لنتائج هذه الدراسات فى ضوء التعميمات أو القضايا النظرية التى تثيرها النظريات الاجتماعية المعاصرة .

هانى أحمد غريب